علو الهمة

عند النساء

محمد علي العلاوي

مهبط الوحي
للطباعة والنشر

خالد عبد الفتاح
٠٥٧٥٨٦٥٧٥

عُلُوْ الهِمَّـة عِنْد النِّسَـــاء

جمع وترتيب

أبي عبدالرحمن

محمد بن علي العلاوي

مركز المراة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

٢١٠٢٤
٤٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله ؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد...

«فإن المرأة نصف الأمة، بل إنها تلد النصف الآخر ، فهي الأمة بأسرها» (١)؛ ولذا كانت لها المكانة السامية في الشريعة الإسلامية ، أمًّا وأختًا ، وبنتًا، وزوجة.

وما ستقرئينه - إن شاء الله في هذا البحث ما هو إلا نبذة مختصرة عن تكريم الإسلام لك أيتها المرأة فقد كانت رعاية الإسلام تلاحقك دومًا منذ الصغر، وفي الشباب ، والهرم، أبعد هذه الرعاية تستجيبين لدعاة السفور والتبرج وأصحاب الرذيلة وطمس الفضيلة ، فأنت أيتها اللؤلؤة

---

(١) قاله الشيخ محمد بن إسماعيل كما في «عودة الحجاب» الجزء الثاني.

المكنونة غرض لهؤلاء، فإياك أن يصيبوك بسهامهم الفتاكة ، واحذري أن يؤتى الإسلام من جانبك ، فإنك على ثغر من ثغوره، فالأبطال يتربون في حجرك ، والعلماء يترعرعون في حنانك ، والمصلحون يكتسبون من خبراتك وتجاربك.

وسوف أبين لك الفرق الشاسع بينك ـ أيتها المسلمة ـ وبين غيرك من نساء العالمين اللائي بَعُدْنَ عن منهج رب العالمين؛ لتعرفي مكانك وفضلك ، فتُقدمي أفضل ما عندك على إثر ذلك ، ثم نضرب لك أمثلة عديدة من صواحب الهمم العالية من النساء المسلمات في مجالات الدين المختلفة ، صلاةً وصيامًا ، وصدقةً ، ودعوةً إلى الله ، وتربية أبناء، ووفاءً للأزواج ، ونحو ذلك ؛ كي تقتدي بهن ، وتنسجي بنسجهن ، والله معك يحفظك ويرعاك.

وأسأل الله عز وجل ألا يعذب بنانًا كتب عنه ، ولسانًا ذكَّر به، وقلبًا اشتاق إلى لقائه، وعينًا اشتاقت إلى رؤيته في دار كرامته ، وأسأله سبحانه أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي يوم أن ألقاه.

وصلِّ اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبدالرحمن / **محمد بن علي العلاوي**
منية سمنود ـ دقهلية ـ مصر

غرة شهر الله المحرم سنة ١٤٢٢ هـ
عفا الله

بين يدي الكتاب

لقد كرم الإسلام الوالدين ، وخاصة الأم، وجعل برهما والإحسان لهما بعد عبادته عز وجل ، كما قال تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

قال الإمام الطبري :

إن الله سبحانه وتعالى أمر ألا تعبدوا إلا إياه، وأمركم أن تحسنوا إلى الوالدين ، فتبروهما ، فإذا وصلا إلى مرحلة الكبر والضعف؛ فرد الإحسان إليهما ، والتذلل بين أيديهما ، ولا تقل لهما أف، فلا تأفف من شيء تراه من أحدهما ، أو منهما، مما يتأذى به الناس ، ولكن اصبر على ذلك عنهما، واحتسب في الأجر عليه منهما ، كما صبرا عليك في صغرك ، وقل لهما القول الحسن ، اللين، الجميل، وإياك أن تزجرهما، بل قل لهما أحسن ما تجد من القول ، وكن لهما ذليلاً ، رحمة منك بهما ، تطيعهما فيما أمراك به، مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبا ، وادع لهما بالرحمة، ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ وتعطف عليهما،

بمغفرتك ورحمتك ، كما تعطفا عليَّ في صغري ، فرحماني وربياني صغيرًا؛ حتى استقللت بنفسي، واستغنيت عنهما [(١)].

وقال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)﴾ [لقمان : ١٤ ـ ١٥].

وقال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)﴾ [الأحقاف: ١٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» ، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك» [(٢)].

وقد جاءت أحاديث الرسول ﷺ، تحرم عقوق الوالدين ، وخاصة الأم، قال الرسول ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر! قلنا: بلى يا رسول

(١) «تفسير الطبري» (م ٩ ، ح ١٥ ، صـ ٦٢ ، ٦٧).

(٢) رواه البخاري (٢٥٩٧١) ، ومسلم (٢٥٤٨).

الله! قال ﷺ: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس، فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[٢].

وقد صدق من قال[٣]:

هي الأم روضات تدفق جودها ... وفاح شذاها فاستطابت بها الدنا
لك الفضل يا أمي لك المجد والعلى ... وطوبى لمن أمسى ببرك مؤمنًا
يسارع في الخيرات يرجو مبرة ... لوالدة ضحت وكابدت العنى
فكم ليلة باتت تعلل طفلها ... وتمضي الدياجي ليس تعرض أعينا
تلاقي تعاني في نمو وليدها ... وترضعه عامين تنشئه لنا
إذا نابه سوء تبيت على أسى ... وتذرف دمعًا في المحبة بينا
تقول إلهي أدرك القلب بالشفا ... تعطف علينا بالسلام تأذنًا
«وربك» إن الخير فيها سجية ... فسبحان من أعطى الحنان المهيمنا[٤]

---

(١) رواه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

(٢) رواه البخاري (٥٩٧٥).

(٣) للشاعر محمد راجح الأبرش، بعنوان بر الوالدين، انظر الأمومة ومكانتها في الإسلام (١/ ٤٩١ - ٤٩٢).

(٤) وانظر رسالتي بر الوالدين يسر الله إتمامها.

وكرم الإسلام المرأة أختًا:

فعلى كل مسلم أن يحرص بأن يدفع الخير إلى أخته ، ولا يتوانى في ذلك قدر استطاعته، فهذا من باب صلة الأرحام التي أمرنا الله بوصلها ، وحذرنا من قطعها ، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)**﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى : ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]

وها هي صورة من نماذج الرعاية للأخت في الإسلام التي يُحتذى بها:

قال جابر ﷺ : لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ ، فإن عليَّ دينًا فاقض ، واستوص بأخواتك خيرًا[1] ، وحفظ جابر الوصية بعد موت أبيه، فقال ﷺ : تزوجت امرأة في عهد رسول الله ﷺ فلقيت النبي ﷺ فقال: «**يا جابر! أتزوجت؟**» قلت : نعم، قال : «**بكر أم ثيب؟**» قلت : ثيب، قال : «**فهلا بكرًا تلاعبها؟**» قلت: يا رسول الله ! إن لي أخوات ، فخشيت أن تدخل بيني وبينهن ، قال: «**ذاك إذن، إن المرأة تنكح على**

---

(١) رواه البخاري (١٣٥).

دينها، ومالها، وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك»[١] .

وفي رواية عند الإمام البخاري : أجاب جابر رضي الله عنه رسول الله ﷺ حين قال له ﷺ : **«فهلا جارية تلاعبك؟»** قال: جابر رضي الله عنه إن أبي قتل يوم أحد ، وترك تسع بنات ، كن لي تسع أخوات، فكرهت أن أجمع إليهن جارية خرقاء مثلهن، ولكن امرأة تمشطهن ، وتقوم عليهن ، قال رسول الله ﷺ : **«أصبت»**[٢] .

وكرم الإسلام المرأة بنتاً :

فقد حث الشرع على العناية بالبنات ، وبين ثواب من قام عليهن ، وأحسن إليهن .

قال ﷺ : **«من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن ؛ كن له ستراً من النار»**[٣] .

وقال ﷺ : **«من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو»**[٤] وضم أصابعه.

وهذه أمامة رضي الله عنها **«يحملها جدها رسول الله ﷺ على عاتقه وهو في الصلاة ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها»**[٥] .

---

(١) رواه مسلم (٥/٧) كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين.

(٢) رواه البخاري (٤٠٥٢).

(٣) رواه البخاري (١٤١٨) ، ومسلم (٢٦٢٩).

(٤) رواه مسلم (٢٦٣١) .

(٥) رواه البخاري (٥١٦) .

ولما مرض سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي ، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال : «**لا**»، فقلت : بالشطر؟ فقال «**لا**»، ثم قال: «**الثلث ، والثلث كبير ـ أو كثير ـ إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لم تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في فيّ امرأتك**»[1].

بل هذه الرعاية تجعل رسول الله ﷺ يلاطف أم خالد بما تعرفه من الكلام ، ويخاطبها بما تفهمه من اللغة[2]، وهي طفلة صغيرة ، وهو قائد الأمة وسيدها ﷺ.

فعن عمرو بن سعيد بن العاص ، عن أم خالد بنت خالد ، قالت: أتى النبي ﷺ بثياب خميصة سوداء صغيرة ، فقال ﷺ : «**من ترون نكسو هذه؟**» فسكت القوم ، قال ﷺ : «**ائتوني بأم خالد**» ، فأتي بها تُحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: «**أبلي وأخلقي**» وكان فيها علم أخضر ، أو أصفر، فقال: «**يا أم خالد! هذا سناه**»[3] وسناه بالحبشية حسن.

---

(١) رواه البخاري (٢٩٥) ، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) لأنها كانت بالحبشة وهي صغيرة . انظر : «الفتح» (١٠/ ٢٩١).

(٣) رواه البخاري (٥٨٢٣) في كتاب اللباس ، وجاء تفسير سناه التي بالحبشية أنها حسن بالعربية في نفس الرواية في كتاب الجهاد.

وكرم الإسلام المرأة زوجة:

فإن الله عز وجل كرم الزوجة ، وجعلها هي المكفولة من قبل الرجل في كل شئون حياتها ، كما قال تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤)﴾ [النساء: ٣٤].

وقال تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : «ما أحب أن أستنظف جميع حقي عليها ـ زوجته ـ لأن الله تعالى ذكره يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾»[1].

قال الإمام الطبري :

معنى الدرجة : الرتبة والمنزلة، وهذا القول من الله تعالى ذكره وإن كان ظاهره ظاهر الخبر ، فمعناه معنى ندب الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل ؛ ليكون لهم عليهن فضل درجة[2].

---

(١) رواه الطبري (٤٧٨٠) ، وابن أبي حاتم (٢١٩٨) من طريق وكيع، عن بشير بن سلمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به.

(٢) «تفسير الطبري» تحقيق أحمد شاكر (٤/ ٥٣٦).

وها هو الرسول ﷺ يضرب المثل الأعلى بإكرام زوجاته ، وحسن تعاملهن ، ولنا فيه القدوة الحسنة.

قالت عائشة رضي الله عنها : «ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين ، لما كنت أسمعه يذكرها ، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان رسول الله ﷺ ليذبح الشاة ، ثم يهدي في خلتها منها»(1) .

قال أنس : رأيت رسول الله ﷺ يحوِّي لها ـ أي لصفية رضي الله عنها ـ وراءه بعباءة ، ثم يجلس عن بعيره ، فيضع ركبته ، فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب(2) .

وتقول عائشة رضي الله عنها رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد ، حتى أكون أنا الذي أسأم ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو»(3) .

ويوصي الرسول ﷺ الرجال بحسن الرعاية لنسائهم.

فيقول ﷺ : «**استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن**

---

(1) رواه البخاري (٦٠٤).

(2) رواه البخاري (٢٨٩٣).

(3) رواه البخاري (٢٨٩٣).

أعوج شيء في الضلع أعلاه، وإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج؛ فاستوصوا بالنساء»[(١)] [(٢)].

● ● ●

(١) رواه البخاري (٣٣٣١).

(٢) راجع الأمومة ومكانتها في الإسلام (١/٢٨٦ وما بعدها)، وعودة الحجاب (٢/١٥٦ ـ ٢٣٥).

توطئة

يحسن بنا أن نعلم في هذه التوطئة مكانة المرأة في القيم القبلية والعالم الغربي لتعلم المرأة المسلمة مكانتها السامية ، فبضدها تتبين الأشياء.

«لقد عاشت المرأة ـ ولم تزل ـ ترزح تحت نير القيم القبلية العصبية، التي اعتبرتها مخلوقة لمتعة الرجل وخدمته، وتأمين حاجاته، ولم تنل المرأة حقها وإنسانيتها إلا في ظل حاكمية الله سبحانه، وما عدا ذلك، فقد عاشت مخلوقة محتقرة ضعيفة، مهيضة الجناح في جميع المجتمعات، وعلى مر العصور، وتتالي الأزمان ؛ حتى الوقت الحاضر.

فهي عند الأمم القديمة لم يعترف بإنسانيتها ، بل هي كسقط المتاع مسلوبة الحرية والإرادة.

فعند اليونان : كانت تباع وتشترى كأي شيء ، وأي متاع، فلم تتعلم ، ولم تتثقف ، ولم تسهم في أي مجال من مجالات الحياة العامة، لكنها كانت إلى حد ما محصنة، عفيفة، وكان الحجاب شائعًا في البيوتات العالية ، وإن كانت فيما بعد قد انحدرت وسقطت، واختلطت بالرجال ، مما أدى إلى زوال قوة اليونان[1].

(١) انظر : «غوستاف لوبون ، حضارة العرب» ، ترجمة عادل زعيتر ، بيروت ، ص٤٩٠ . د/ مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ص ١٣ ، نقلاً عن د/ محمود سلام الزناتي ، المرأة عند اليونان.

وعند الرومان : كانت المرأة ، ناقصة الأهلية للحياة الإنسانية الكريمة، فكانت تباع وتشترى كما يشاء رب الأسرة، بل كانت تحبس في أعماق البيوت، حتى وصل بهم الأمر إلى أن نادى مفكروهم بأنه يجب أن يحبس اسم المرأة في البيت كما يحبس جسمها[١].

وفي الهند : كانت أسوأ حالاً من المرأة في الأمم الأخرى، لقد نص تشريع (مانو) في الهند على أن المرأة طوال حياتها ينبغي أن تكون تحت إشراف الرجل، فأبوها أولاً ، وزوجها ثانيًا ، وابنها ثالثًا[٢].

فالمرأة في الهند مصدر العار والشقاء ؛ لأنها سبب الوجود الدنيوي في نظرهم[٣].

ويسأل بوذا أحد تلاميذه : عما ينبغي أن يفعله إزاء النساء، فيجيبه: كن على حذر تام منهن ، تردد كثيرًا قبل أن تسمح لهن بالانضمام إلى الطائفة الدينية[٤].

إنها يجب أن تبقى بعيدة عن التعاليم الدينية ؛ لأنه ليس لها الأهلية لذلك.

وفي بلاد ما بين النهرين ، كانت المرأة في أسوأ حال، فقد كان من حق الرجل أن يفعل بالمرأة ما يشاء، ولا سيما الزوج ، فمن حقه في

---

(١) انظر : ول ديورانت «قصة الحضارة» (م١ ، ج٢ ، صـ ١١٤ ـ ١١٧).

(٢) ول ديورانت «قصة الحضارة» (ج٣ ، صـ ١٧٨).

(٣) ول ديورانت «قصة الحضارة» (صـ ١٨٧).

(٤) ول ديورانت «قصة الحضارة» (صـ ٧٧).

وكـان الحكم الأخلاقي على الرجل يختلف عن الحكم الأخـلاقي على المرأة، فزنى الرجل يعد نزوة، يمكن الصفح عنها، أما زنى الزوجة فإن عقابه الإعدام، وكان للأب أن يتبرأ من أبنائه متى يشاء(١).

وعند اليهود : اعتبرت المرأة لعنة ؛ لأنها في اعتقادهم سبب غواية آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض، وكانت تباع أحيانًا من قبل الأب، وللأب الحق المطلق في أن يزوجها بمن يشاء(٢).

وعند المسيحيين (٣): كانت أسوأ حالاً ، وأقل حظًّا ، فهي الشر المحض، الذي لابد منه، وهي سبب كل بلية ، وكل شر، وهي الشيطان بعينه ، وهي مخلوقة من أجل الرجل(٤).

جاء في الإصحاح الثاني ـ في إحدى رسائل بولس ـ : (لست آذن للمرأة أن تتعلم، ولا تتنسك على الرجل، بل تكون في سكون؛ لأن آدم جبل أولاً ، ثم حواء، وآدم لم يغو ، ولكن المرأة أغويت، فحصلت في التعدي ، ولكنها ستخلص بولادة الأولاد)(٥).

فهي سبب الخطايا ؛ ولذا عليها أن تكفر عن ذلك بولادة الأولاد!

---

(١) ول ديورانت «قصة الحضارة» (م١ ، ج ٢ صـ ٣٢ ـ ٣٣).

(٢) انظر : المرجع السابق ، (ص ٣٧٤).

(٣) الأصوب ـ والله أعلم ـ أن نطلق عليهم النصارى كما ذُكروا بهذا في القرآن الكريم.

(٤) انظر «الكتاب المقدس» ، العهد الجديد ، الإصحاح الحادي عشر ، ص ٢٨٠ ، وما بعدها.

(٥) «الكتاب المقدس» ، العهد الجديد ، صـ ٣٣٩ .

وعند الفرس : كانت النظرة إلى المرأة ، على أنها لا فائدة منها ؛ لأنها تنشأ لغير أهلها، أي لزوجها ، والذكور في نظرهم ذوو فائدة اقتصادية كبيرة للأسرة، أما الفتاة ، فهي تربى لغير بيت أهلها، والمستفيد منها غير أهلها ؛ لذا فقد كان من أقوال الفرس : إن الرجال لا يدعون الله أن يرزقهم بنات، وهن لسن من النعم التي أُنعِم بها على بني الإنسان»[1].

أما عند العرب : فقد جمعت المرأة عندهم كل صور الشر والبؤس والعار؛ ولذا بلغ بهم الأمر أن وأدوا البنات ـ وهن أحياء ـ في التراب، فندد القرآن الكريم بفعلتهم الشنيعة هذه ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾ [التكوير: ٨، ٩].

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)﴾ [النحل: ٥٨ ـ ٥٩].

وذلك مخافة العار والسبي والفقر ، فالرجل عليه عبء نفقتها وصيانتها ، والمدافعة عنها؛ لذا فالوأد خير وسيلة للخلاص من هذا الهم.

والمرأة في نظر الجاهلي ، غنيمة مطلوبة، سواء في قومها، أو في السبي، فليس منها إلا الخدمة والاستمتاع، أو العار.

وهي لا شأن لها، ولا حق لها، ولا حرية ، ولا رأي، وكانت

---

(١) انظر : ول ديورانت ، «قصة الحضارة» (م١ ، ج٢ صـ ٤٤٢).

تُورَث، ولا تَرث ، شأنها كأي متاع ، أو حاجة ، قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩].

إن القرآن الكريم حرم ما كان عليه حال العرب من إرث المرأة كالمتاع حين وفاة زوجها ، وذلك من قبل أبنائه وذويه وأقربائه ، وكان للزوج أن يطلقها ويردها متى شاء ، وكيفما شاء، وله أن يعضلها عن الزواج طيلة عمرها.

وليس لها أن تتعلم، بل هي مخلوقة أقل من الرجل بكثير، ولوليها أن يمنعها من الزواج، وأن يعضلها كما يشاء ، وهو إن شاء زوجها بمن يريد دون علم منها ، ودون إذن، إلى غير ذلك من العادات التي كانت تكبل المرأة وتقيدها ، فتجعلها أشبه بالجمادات والآلات أو الدمي.

وهكذا كانت المرأة في المجتمعات القبلية ، وفي العصبيات والشرائع الوضعية والمحرفة، وما أشبه حالها اليوم بحالها في المجتمع القبلي ، وكان لهذا الوضع أثره الذي لا ينكر في المجتمع، حيث انعكس ذلك على المجتمع العام فيه لأن - المرأة شاء الرجل أم أبى - هي الأم ، وهي المربية، وهي كما تكون يكون الرجل، فإن ضعفت؛ ضعف، وإن عفت؛ عف، وإن سقطت؛ سقط، وإن فَضُلَتْ وقويت؛ صار هو فاضلاً قويًا.

صورة المرأة في القيم الغربية المعاصرة:

كانت المرأة في المجتمع الغربي إلى عهد ليس ببعيد، تعيش داخل بيتها، بين أسرتها، محتشمة، محجبة حين تخرج من بيتها، وكان يعولها الرجل على الغالب.

وإن كانت في ذلك الوقت مهانة ضعيفة، مظلومة، لم تنل شيئًا من حقها في الحياة، إلا أنها كانت عفيفة مصونة إلى حد ما.

إلى أن حل العصر الحديث، وحدثت الكارثة في حياة المرأة الغربية، لينتشر وباؤها، ويصل إلى جميع النساء - إلا من رحمه الله سبحانه وتعالى منهن - فتنبهن لمقاومة هذا الداء.

والكارثة ممثلة في المساواة التي طالبت بها المرأة الغربية، ومن ثم حصلت وهمًا عليها، مقابل الخسارة الكبيرة التي تسعى الآن لاستردادها، ولكن بلا جدوى.

لقد طالبت أن تكون ندًّا للرجل في كل شيء من أمور الحياة، وأن تعيش حياتها، مثله وعلى نمط عيشته، تخلع الحجاب، وتخلع معه الحياء، تخرج من البيت تفعل ما تشاء، تتزوج كيف تشاء، تعمل وتكسب المال كما تريد، وبأي كيفية.

إنها تريد أن تعيش الحياة بلا قيم، بلا ضوابط، بلا هدى، وحققت ذلك، وخسرت بالمقابل كل شيء، خسرت معنى الحياة، ومعنى أن تعيش في الحياة؛ لأنها تنكرت لدورها في المجتمع، وخالفت السنن الكونية الربانية في الخلق، وكل مخالفة لفطرة الله سبحانه التي فطر الناس عليها، لابد أن يدفع المخالف جزاءها مرتين، مرة من ذاته، ومرة من مجتمعه، بفقدان السعادة والطمأنينة والهدوء النفسي، والاستقرار، وذلك كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ

أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦].

إن المساواة بين الرجل والمرأة، هي أساس المجتمع الغربي - في ظاهره فقط - وامتدت هذه المساواة لتتجاوز الحقوق البشرية والإنسانية؛ لتصل إلى وظيفة المرأة وعملها ودورها في الحياة.

مما أدى إلى انحراف المرأة عن واجبها الفطري، وانغماسها في الأعمال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، حتى بلغ بها الأمر أن تعمل أي عمل كان وكيفما كان في دوائر الحكومة، في الشركات، في المخازن الكبرى، بائعة أو محاسبة، في بيع الجرائد، في تنظيف الشوارع، في حراسة الأبنية ليلاً، في حمل الأثقال، في صناعة الصلب والحديد، في حمل الصناديق الثقيلة، في المعامل، في كل ما يشتغل فيه الرجل ، ويقوم به من أعمال(١).

واستغنت المرأة عن الرجل ؛ لأنها استقلت اقتصاديًّا ، وقد تبدل الحال، فبعد أن كان الرجل هو الذي يكسب ، ويعيل المرأة في حين كانت هي مسئولة عن تدبير شئون البيت ، تبدل الحال، بأن يكسب الرجل والمرأة كلاهما ، والبيت تفوض شئونه إلى الفنادق والشركات،

---

(١) انظر : د/ مصطفى السباعي « «المرأة بين الفقه والقانون»، الطبعة السادسة، (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤) ص ١٧٤ .

ولم يعد ثمة ما يرغم الزوجين على الحياة الزوجية، وصار لكل منهما شأنه الخاص ؛ ليمارس حياته وشهواته ومتعه، كما يحلو له[١] .

يقول الأستاذ محمد قطب في ذلك:

«والمرأة قد استقلت اقتصاديًا بحكم سلسلة من الظروف الاقتصادية المتوالية... فلم يعد الرجل هو الذي يعولها، ومن ثم لم يعد الرجل هو المسيطر ، أو على الأقل لم تعد سيطرته مطلقة، فلم يعد في وسعه تدريجيًّا أن يفرض العفة على المرأة ، أي : يفرض عليها أن تكون له وحده، فصار من حقها ـ تدريجيًا ـ ألا تكون عفيفة؛ لأنها تستطيع حين يرفضها الرجل إذا رفضها ؛ لعدم عفتها ، أن تعول نفسها بنفسها ... ولأنها استقلت اقتصاديًّا ؛ اضطر الرجل أن يحترمها ، وينزل لها عن سلطانه، ويعطيها حق الإباحية الجنسية... ثم انتهى الأمر أن يحبذ هو تلك الإباحية بحكم «التطور»[٢] .

وخرجت المرأة لتختلط بالرجال ، ولتظهر بأبهى زينة ، وأجذبها للجنس الآخر، وتجاوز ذلك التبرج الحدود كلها واحدًا بعد واحد؛ ليصل إلى العري المشين[٣] ، والسقوط في الهاوية.

بل ليصل بهم الأمر كما يعتقد الأمريكيون إلى أن بقاء البنت عذراء قد يسبب لها الإصابة بمرض السرطان فيتخلصون من ذلك بسرعة[٤] .

---

(١) انظر : المودودي «الحجاب» (ص ٣٢ ـ ٣٣).

(٢) «التطور والثبات في حياة البشرية» (ص ٧٨).

(٣) انظر : المودودي «الحجاب» (ص ٣٥).

(٤) د / سفر الحوالي «العلمانية»، رسالة ماجستير (مكة المكرمة : جامعة أم القرى صـ٣٦٥ ، نقلاً عن مجلة الدعوة المصرية . العدد ٢٦ .

وهكذا تحررت المرأة الغـربية من كل معنى للفضـيلة ، أو العفة، أو الحيـاء، وغدت سلعـة معـروضة في الشـوارع، والطرقات، والمصـانع، والمكاتب ، بلا ثمن، بل قد تدفع هي الثمن...

ولم يعـد الرجل بحاجـة ؛ لأن يتزوج أو ينشئ أسـرة ، ويتحـمل تكاليفها ومـسئوليتها، فالدافع الجنسي الذي يـقهره على تحمل ذلك يمكن إشباعه بأسهل الطرق وأيسرها، فلِمَ كل هذا العناء؟!

وضـاعت المرأة ، وأضـاعت الرجل، وفـسـدت الأرض ، وهلك الحرث والنسل.

وبذلك تحطمت في المجتـمع الغـربي كل القـيم الدينية والخـلقيـة والعصـبية، نتـيجة خـروج المرأة من بيتهـا بحكم التطور المادي الصناعي الذي أصاب المجتمع ، والذي دبر له اليهـود ، وخططوا له ليل نهار ، حتى استطاعوا بمكرهم وخبثهم، وغباء الأمميين - غير اليهود - وانصرافهم لمتعهم، أن يصلوا إلى ما يريدون عن طريق المرأة بنـشر الفساد والانحلال الخلقي والاجتمـاعي، وذلك بتوهين عرى الأسرة، ومن ثم سـد الحاجة إلى الزواج بالبغاء، وعرض المرأة عارية أو شبهه في كل مكان، واستعباد الناس بالحاجة إلى المال لتأمين سبل الحياة»[1].

أصبح الغرب الكافر بعد عقود وسنوات يستخدم المرأة مصيدة لجمع المال، ومطية لتحصيل المتعة واللذة، وكل ذلك يتم باسم «حرية المرأة» أو «تحرير المرأة»!

---

(١) «الأمـومة ومكانتـهـا في الإسلام في ضـوء الكتـاب والسنة (٢/ ٥٢٥ _ ٥٣٢) ، وانظر: «عودة الحجاب» (٢/ ٤٧ _ ٥٦).

مسكينة المرأة في عالم الكفر ، تنتقل من استعباد إلى استعباد ، ومن ظلم إلى ظلم، فكانت بالأمس تباع وتشترى ، سلعة رخيصة، وأصبحت اليوم تُستغل في الدعاية للمنتجات والسلع المختلفة، إلا أن بعض العاقلات منهن بدأن يشعرن بالسقوط أمام قدمي الرجل ونفسيته الجشعة، فقد نشرت جرائد العالم في العام الماضي أن ممثلة فرنسية بينما كانت تمثل مشهداً عارياً أمام «الكاميرا» ثارت ثورة عارمة ، وصاحت في وجه الممثل والمخرج قائلة : «أيها الكلاب ! أنتم الرجال لا تريدون منا ـ النساء ـ إلا أجسادنا ، حتى تصبحوا من أصحاب الملايين على حسابنا ، ثم انفجرت باكية.

لقد استيقظت فطرة هذه المرأة في لحظة واحدة على الرغم من الحياة الفاسدة التي تغرق فيها، استيقظت لتقدم الدليل القاطع على المأساة الكبرى التي تعيش فيها المرأة ، التي قالوا إنها : «متقدمة ، ومتحضرة، ومتمدنة»[(١)].

أما المرأة المسلمة: فقد كفل لها الإسلام الخير والعناية في كل وقت فهي شقيقة الرجل، كما قال ﷺ : **«إنما النساء شقائق الرجال»**[(٢)].

---

(١) انظر : «عناية النساء بالحديث» (ص ٦٩) ، و«المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم» (٣٢ ـ ٣٣).

(٢) حسن لغيره . رواه أبو داود (٢٣٦) ، والترمذي (١١٣) ، وأحمد (٦/ ٢٥٦) من طريق عبدالله العمري ، عن عبيدالله، عن القاسم ، عن عائشة ، عن الرسول ﷺ فذكره ، وفي الإسناد العمري ، وهو ضعيف ، ولكن له شاهد عند أحمد (٦/ ٣٧٧) من طريق إسحاق بن عبدالله ، عن جدته أم سليم، فذكرته مرفوعًا، وإسحاق لم يسمع من أم سليم.

«ولقد كرم الإسلام المرأة عامة، ورفع من شأنها ، واعتبرها إنسانه مساوية للرجل، فهي الأم والأخت والبنت والزوجة؛ ولذا فقد نزل القرآن الكريم مشنعًا على الجاهلية فعلتها في وأد البنات وإهانتهن ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨ - ٥٩] ، ولم يكتف القرآن الكريم بذلك، بل عرض للسؤال والحساب عن هذه الموءودة التي دفنت في التراب ظلمًا ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ - ٩].

لقد كرم الإسلام المرأة عامة ، ورفع من شأنها، واعتبرها مساوية للرجل في كل شيء إلا في الوظائف والأعمال التي لا تليق بها ، أو لا تتناسب مع فطرتها وطبيعتها، فأي كرامة أفضل للمرأة من هذا؟! أي حقوق يمكن أن تحصل عليها إلا في ظل الإسلام ، إنها لو نصبت كل محامي الأرض ليحصلوا لها حقوقها ما كانوا ليستطيعوا أن يصلوا إلى ما أعطاها الإسلام من كرامة وعزة وحماية وصيانة.

لقد عالج القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، قضايا المرأة صغيرها وكبيرها، فاحتلت شئون المرأة حيزًا كبيرًا من الشريعة، والقرآن الكريم حافل بالآيات الكريمة التي تتحدث عنها ، بل وفيه سورتان تسميان بسورتي النساء ، الطولى ، وهي سورة : النساء، والقصرى ، وهي سورة: الطلاق، بل وتسمى سورة كاملة باسم «مريم» عليها السلام، وكذلك سورة المجادلة ، وسورة الممتحنة، ولا تكاد تخلو سورة في القرآن الكريم من الحديث عن قضايا المرأة.

أما السنة الشريفة : فهي زاخرة غنية ، بأحكامهن وشئونهن، بل ما أكثر الأحاديث والسنن التي نقلتها النساء، وتكفي شهادة القرآن الكريم لنساء الرسول بأمرهن تبليغ الذكر الحكيم قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

إنها ليست فقط صاحبة حقوق ، بل عليها واجبات وتكاليف ومسئوليات مما يجعلها أهلاً للكرامة والاحترام والتقدير.

ويكفي المرأة المسلمة فخراً أن كثيراً من أحكام الدين، قد روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ووقت تلي رضي الله عنها برأيها ، وتجادل الصحابة، بل ويرجعون إليها رضي الله عنهم فيما استشكل من أمور السنة والوحي، فهل بعد هذا من مكانة ومن رفعة ، ومن عزة ، ومن احترام وتكريم؟!

وحين شعرت أم سلمة رضي الله عنها أن الوحي يخاطب الرجال، هبت مسرعة إلى رسول الله ﷺ تقول : يا رسول الله تذكر الرجال في الهجرة ولا نذكر؟ فنزل[1] قول الله عز وجل مطمئناً . قال الله تعالى : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٥].

(١) انظر : «تفسير الطبري» ، تحقيق محمود ، وأحمد شاكر ج٧ ، ص ٤٨٦ ، قال المحقق في هذه الرواية: هذا إسناد صحيح، رواه الحاكم في المستدرك ، فقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

بل إن المرأة مسئولة عن نفسها ، وحسابها مستقل عند الله سبحانه وتعالى عن الرجل ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١].

بل كلفها الإسلام مسئولية الإصلاح في المجتمع بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [التوبة: ٧١].

فالمرأة مسئولة عن نفسها ، ومسئولة عن مجتمعها أيضًا، ولا شك أن المسئولية كرامة للإنسان ، لا يعدلها كرامة، فما أحراها أن تؤديها كما ينبغي.

أما فيما يتعلق بحقوق المرأة، فقد أعطاها الإسلام كما أعطى الرجل في كل أمر.

فهي تتعلم ، العلم الشرعي ، والدنيوي، وتجاهد مع الرجال ، وتخوض المعارك والغزوات.

وتباشر العقود بنفسها، وتشهد إذا احتاج الأمر ، بل وشهادتها وحدها واجبة في بعض الأمور ، ولا تقبل فيها شهادة الرجل أحيانًا.

ولها أن تتملك من الأموال ما تشاء، وتنفقها، وليس لأحد أن

يجبرها على الإنفاق من مالها سواء الزوج ، أو غيره، من ذويها.

ولها أن تَرُد زواج الولي ؛ إذا لم يستأذنها في نفسها ، قال رسول الله ﷺ : «**الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها**»[1].

أما في القصاص فقد جعلها الإسلام مساوية للرجل في الحكم ، حيث اعتبر الإسلام حرمة النفس واحدة للرجل والمرأة ، وبالتالي فدم المرأة ، مساو لدم الرجل في القصاص ، قال تعالى : ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾ [المائدة: ٤٥].

لقد ساواها الإسلام بالرجل، فيقتل الرجل بالمرأة، كما ثبت في السنة الشريفة ، حين حكم رسول الله ﷺ بذلك.

فعن أنس رضي الله عنه أن يهوديًا رضَّ رأس جارية بين حجرين، فقيل لها: من فعل بك؟ أفلان - أو فلان؟ حتى سمي اليهودي ، فأومأت برأسها، فجيء به ، فلم يزل حتى اعترف، فأمر النبي ﷺ فرضَّ رأسه بالحجارة[2].

أما الميراث... فالإسلام قد أعطى الأنثى أقل من الذكر في أكثر صوره ، إلا الأم والإخوة لأم، قال الله تعالى : ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ**

---

(١) مسلم - الصحيح ج ٢ ، كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق - والبكر بالسكوت (ص ١٠٣٧) ، ح (٤١٢٠).

(٢) البخاري - الصحيح ، م٢ ، ج٣ كتاب الوصايا - باب إذا أومأ المريض برأسه، ص ٢٤٧ ، ح (٢٧٤٦) - ومسلم الصحيح ، ج ٣ - كتاب القسامة، باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر ، ص (١٣٠٠) ، ح (١٦٦٣).

﴿الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١].

فميراثها على النصف من ميراث الرجل، وذلك لأنها لم تكلف بالإنفاق حتى على نفسها ، فالولي هو القيم والمكلف بالإنفاق سواء أكان أبًا ، أو أخًا، أو زوجًا، أو ابنًا، فإن عُدم الولي فبيت المال في الدولة المسلمة مكلف بهذا.

والرجل مكلف أيضًا بالإنفاق على من يعول في أسرته من نساء وأطفال وضعفة، وتأمين ما يلزم لهم من مسكن، وما يحتاجونه من متطلبات الحياة.

وبذلك فالمرأة قد غنمت النصف بالنسبة لميراث الرجل، دون أن تغرم شيئًا.

ورحم الله الإمام الرازي ، فقد التفت إلى ما في نظم القرآن الكريم وترتيبه في سورة النساء ، من الحكمة بتخصيص الرجال بضعف ميراث النساء ، حيث قال: «إن الله فضل الرجال على النساء في الميراث ؛ لأن الرجال قوامون على النساء... وأمر الله أن يدفعوا إليهن المهر ، ويدروا عليهن النفقة » فصارت الزيادة من أحد الجانبين مقابلة بالزيادة من الجانب الآخر ، فكأنه لا فضل ألبتة ، فهذا هو بيان كيفية النظم في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ بعد قوله تعالى : ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ ، والحديث عن الميراث، فكان للنظم القرآني بهذه الصورة من ترتيب القوامة على الميراث، دلالته على

أن السبب هو الإنفاق ، والذَّكَر هو المكلف بذلك.

والمرأة في الإسلام مكفية النفقة والمؤونة ، وهي في كل أوضاعها وقرابتها ، ومراحل عمرها، مكرمة، محترمة، مصونة، مكفولة»[1].

●●●

(١) «الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة» (١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٦) ، وانظر إلى الفوارق بين الرجل والمرأة في «عودة الحجاب» (٢/ ١٣٣ ـ ١٥٥).

المرأة وعلو همتها

يجدر بكل امرأة مسلمة أن تترقى في مراتب الإيمان واليقين بالله عز وجل، فبالإيمان الصادق ، والعزيمة القوية ، والهمة العالية ، تنال رضا الله في الدنيا والآخرة ، وتبني حضارة مشرقة ، ومنارة مضيئة بالخير ، كما شيدتها النساء المسلمات في القرون السالفة ، فتسير على نهجهن ، وتنسج بنسجهن، فتحظى بخيري الدنيا والآخرة.

«فإن صاحب الهمة العالية ، والنفس الشريفة التواقة لا يرضى بالأشياء الدنية الفانية، وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية الزاكية ، التي لا تفنى ، ولا يرجع عن مطلوبه ، ولو تلفت نفسه في طلبه، ومن كان في الله تلفه ؛ كان على الله خلفه، قيل لبعض المجتهدين في الطاعات : لم تعذب هذا الجسد؟ قال : كرامته أريد.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام»[1].

وإن كان حديثي عن علو الهمة عند النساء، فالرجال من باب أولى، ولكن نرى بعض الرجال تخاذل عن نصرة هذا الدين ، في وقت تسابق النسوة فيه إلى رب العالمين.

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب (صـ ٤٣٢ ـ ٤٣٣).

أمالك بالرجال أسوة؟ أتسبقك وأنت رجل؟! نسوة

فهلموا أيها المسلمون رجالاً ونساءً إلى نصرة هذا الدين ، وبذل كل ما يمكن بذله من أوقات ، وأموال ، وأنفس ابتغاء رضا الله عز وجل ، وطلبًا لجنته سبحانه وتعالى.

وما سنذكره - إن شاء الله - من الهمة العالية ، والعزيمة القوية للنساء المسلمات على مر العصور ، يبين بقوة أن للمرأة طاقات قوية، ولكن تحتاج إلى ترشيد هذه الطاقات ، وصرفها في مكانها المناسب لها نسأل الله عز وجل أن يوفقهن إلى كل خير ، وكل فلاح، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

• • •

المرأة المؤمنة

إن الإيمان بالله هو سبب النجاة من النار؛ ولذا حرص المؤمنون على التمسك بدينهم ، حتى وإن قتلوا في سبيل الحفاظ على إيمانهم، وإن كان الله عز وجل قد جعل لنا رخصة في التلفظ بكلمة الكفر ، عند الفتنة ، مع رسوخ الإيمان في القلب ، كما قال تعالى : ﴿ **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** ﴾ [النحل:١٠٦] ، ولكن نرى هذه الأمثلة التي آثرت الموت ، وحبه ، على الكفر ، ودنسه ، وإن كانوا في مراتب الملوك، فانظري أختي المسلمة على هذا المثل الصادق من هذه المرأة المؤمنة ، واستعلائها على عرض الدنيا ، وصبرها على إيمانها رغم شدة الفتنة التي تحيط بها، إنها آسية امرأت فرعون ، كما قال تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [التحريم: ١٠].

قال الشيخ سيد قطب:

«ها هي ذي امرأة فرعون ، لم يصدَّها طوفان الكفر الذي تعيش فيه... في قصر فرعون... عن طلب النجاة وحدَها... وقد تبرَّأتْ من قصر فرعون،طالبة إلى ربِّها بيتًا في الجنة... وتبرأتْ من صلتها بفرعون، وتبرأتْ من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء ، وهي ألصق الناس به، وتبرَّأتْ من قوم فرعون ، وهي تعيش بينهم.

ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثلٌ للاستعلاء على عَرَض الحياة الدنيا في أزهى صورة، فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذٍ، في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأةٌ ما تشتهي... ولكنها استعلت على هذا بالإيمان، ولم تُعرض عن هذا العَرَض فحسْب، بل اعتبرته شرًّا ودَنَسًا وبلاءً تستعيذ بالله منه، وتتفلَّت من عَقَابيله، وتطلب النجاة منه.

وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية، وهذا فضل آخر عظيم؛ فالمرأة أشدُّ شعورًا بوطأة المجتمع وتصوُّراته، ولكن هذه المرأة... وحدها... في وسط ضغْط المجتمع، وضغْط القصر، وضغط المُلْك، وضغط الحاشية، والمقام الملوكي؛ في وسط هذا كله رفعت رأسَها إلى السماء... وحدها... في خِضَمِّ هذا الكفر الطاغي!! وهي نموذج عال في التجرُّد لله من كل هذه المؤثرات، وكل هذه الأواصر، وكل هذه المعوِّقات، وكل هذه الهواتف، ومِنْ ثَمَّ استحقَّت هذه الإشارة في كتاب الله الخالد، الذي تتردد كلماته في جَنَبَات الكون، وهي تتنزَّل من الملإ الأعلى»[1]؛ ولذا نرى فضلها مسطر في الكتاب العزيز كما سبق وفي السنة المطهرة.

---

(١) الظلال (٦/ ٣٦٢٢).

تنبيه: في كتاب «الظلال» لسيد قطب، أوابد وطامات تُجتنب، وقد بينها الشيخ عبدالله الدويش في كتابه «المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال» بل في كتب سيد قطب عامة بدع كبرى يُحذر منها، وقد قام ببيانها خير بيان، وبين خطرها الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في كتبه «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره»، ومطاعن عن سيد قطب في أصحاب النبي ﷺ»، «والحد الفاصل بين الحق والباطل» وغيرها.

عن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة علىٰ النساء، كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام**»(١).

وعن أنس ؓ عن النبي ﷺ قال: «**حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران ؓ وخديجة بنت خويلد ؓ وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون**»(٢).

وهذا مثال آخر:

وهي ماشطة فرعون ؓ وصبرها علىٰ إيمانها، رغم قتل أولادها أمامها واحدًا تلو الآخر، ولم تلِن، ولم تضعف؛ رغم كل هذا.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت عليَّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل! ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المدرى من يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة! وإن لك ربًّا غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر**

(١) رواه البخاري (٣٧٦٩) ؒ ومسلم (٢٤٣١).

(٢) رواه الترمذي (٣٨٧٨)، وأحمد (٣/ ١٥٧)، وأبو يعلىٰ (٥/ ٣٨٠)، والحاكم (٣/ ١٥٧)، وعبدالرزاق (٢٠٩١٩)، وغيرهم من طريق معمر ؒ عن قتادة ؒ عن أنس، وهذا الإسناد فيه ضعف، وللحديث جملة شواهد، راجع الصحيح المسند من فضائل الصحابة لشيخنا مصطفىٰ بن العدوي (صـ ٥٢٨).

ببقـرة من نحاس ، فـأحمـيت ، ثم أمر بهـا أن تلقىٰ هي وأولادها فيـها ، قالت له: إن لي إليك حـاجة، قال: ومـا حاجتك؟ قـالت: أحب أن تجمع عظامي وعظـام ولدي في ثوب واحـد وتدفنا ، قـال: ذلك لك عـلينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً إلىٰ أن انتهىٰ ذلك إلىٰ صبي لهـا مرضع، وكأنها تقاعـست من أجله ، قال: يا أمه، اقـتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت»[1] .

وهذا مثال آخر :

يبين منتهىٰ الصبـر ، وعدم الرجوع عن الدين ، وإن أدىٰ ذلك إلىٰ الموت ، وهي قصة الساحر والراهب والملك والغلام.

عن صهـيب ، أن رسول الله ﷺ قال: «**كـان ملك فـيمن كـان قبلكم ...**» وساق الحديث ، وفيه : «**فقال الناس : آمنا برب الغلام؟ آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتىٰ الملك فـقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد ـ والله ـ نزل بك حـذرك ، قد آمن الناس ، فـأمـر بالأخدود في أفـواه السكك ، فخدت ، وأضرم النيران، وقـال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فـيهـا، أو قيل له: اقـتحم فـفعلـوا حتىٰ جـاءت امرأة ومـعهـا صبي لهـا فتـقاعـست أن تقع فيـها، فـقال لهـا الغلام: يا أمـه اصبري ، فـإنك علىٰ الحق**»[2] .

---

(١) رواه أحمـد (١/ ٣٠٩) من طريق حمـاد بن سلمة ، عن عطاء بن الـسائب ، عن سعيـد بن جبير ، عن ابن عـباس به، وهذا إسناد حسن، فإن حـماد بن سلمة سمع من عطاء بن السائب قبل الاختـلاط علىٰ رأي الجمهور ، وللحديث شاهد ببعض معناه بإسناد ضعيف رواه ابن ماجه (٤٠٣٠).

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٥).

وتقاعس المرأة في الحديثين السابقين ليس خوفًا على نفسها ، ولا رجوعًا عن دينها ، وإنما فعلت ذلك خوفًا على رضيعها ، فما كان إلا أن أنطق الله الرضيع : يا أمه، اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت.

وهذا مثال آخر من الصحابيات رضي الله عنهن أجمعين:

إنها سمية بنت خباط ، أم عمار بن ياسر «أول شهيدة في الإسلام».

وها هم المشركون يخرجونها هي وابنها وزوجها إلى الصحراء ، حيث التهاب الرمضاء ، والرمال المتقدة، وأخذوا يعذبونهم ، وكان رسول الله ﷺ يمر بعمار وأمه وأبيه، وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول: «**صبراً آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة**»[1].

«حتى تفادي الرجلان ذلك العذاب المر بظاهرة من الكفر أجرياها على لسانهما ، وقلباهما مطمئنٌ بالإيمان ، وقد عذر الله أمثالهما بقوله تعالى ﴿**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾ ، فأما المرأة فاعتصمت

---

(١) صحيح لشواهده ، رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٥٩) ح (١٥١٥) ، وفي إسناده ضعف ، وللحديث شواهد أخرى عند ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١/ ١٧٨) ، وأحمد (١/ ٦٢) ، وأبي نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٠) ، وانظر: «المستدرك» (٣/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩) ، والدلائل (٢/ ٢٨٢) ، وله شاهد آخر عند الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٣٠٣) ، وهذه الأسانيد فيها ضعف ، ولكن الحديث صحيح بشواهده ، انظر «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (صـ٢٢٤).

بالصبر، وقـرت على العذاب، وأبت أن تعطي القوم ما سـألوا من الكفر بعد الإيمان ، فذهبوا بروحـها، وأفظعوا قتلتها، فـقد أنفذ الشريف النذل أبو جهل بن هـشام حربتـه فيهـا، فماتت رضي الله عنها ، وكـانت أول شهـيدة في الإسلام.

قال ابن حجر :

«وأخرج ابن سعد بسند صحيح ، عن مجاهد قال: أول شهيدة في الإسلام سمية والدة عمار بن ياسر ، وكانت عجوزًا كبيرة، ضعيفة، ولما قـتل أبو جهل يوم بدر قـال النبي ﷺ لعـمار : «**قتل الله قاتل أمك**[1]» وغير سميَّة كثيرات احتملن فوق ما احتملت، فمنهن من كانوا يلقونها ، ويحملون لها مكاوي الحديد، ثم يضـعونها بين أعطاف جلدها، ويدعون الأطفال يعـبثون بعينهـا حتى يذهب بصرها ، وممن عذب بهـذا العذاب زنيرة جارية عـمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان هو وجماعـة من قريش يتولون تعذيبها، ولما ذهب بصرها قـال المشركون : «ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى» فقالت لهم : «والله ما هو كذلك، وما تدري اللات والعزى من يعبدهما ، ولكن هذا أمر من السماء والله قادر على أن يرد عليَّ بصري» قيل: «فرد عليها بصرها»، فقـالت قريش: هذا من سحر محمد ـ ﷺ ـ وقد اشتراها أبو بكر وأعتقها رضي الله عنه.

ومنهن من كانوا يسقونها العسـل ، ويوثقونها بالأغلال، ثم يلقونها بين الرمـال، ولهـا حر يذيـب اللحم. وينصـهر العظـم، حتى يقـتلهـا الظمأ»[2] .

---

(١) «الإصابة» (٧/ ٧١٣).

(٢) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٤١ ـ ٥٤٢).

ونختم هـذا الباب بأول من آمن من النسـاء ، حيث كـفر الناس ، وضحت بكل مـا تملك في سبـيل هذا الدين الحنيف ـ إنها خـديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ ، وأم المؤمنين.

قال ابن الأثير :

«خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين»[1]

ولذا كانت لها المكانة العالية عند الله ، وعند رسوله ﷺ

عن عائشـة رضي الله عنها قالت: «ما غـرت على امرأة للنبي ﷺ ، ما غرت على خديجـة، هلكت قبل أن يتـزوجني ، لِمَا كنت أسـمعـه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببـيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فـيهدي في خلائلها منها ما يسعهن»[2].

وكذلك هي خير نساء الجنة:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «**خـيـر نسـائهـا مريم، وخير نسائها خديجة**»[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليـها واستـغفار لهـا، فذكرها يومًـا ، فحملتني الغـيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن! ، قالت: فـرأيته غضب غضبًا

---

(١) «أسد الغابة» (٧/ ٧٨).

(٢) رواه البخاري (٣٨١٦) ، ومسلم (٢٤٣٥).

(٣) رواه البخاري (٣٨١٥)، ومسلم (٢٤٣٠).

أسقطت في خلدي ، وقلت في نفسي : اللهم إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء، فلما رأىٰ النبي ﷺ ما لقيت ، قال : «**كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي ؛ إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس ، ورزقت منها الولد ، وحرمتموه مني**» قالت : فغدا وراح عليَّ بها شهرًا»(١) .

حقًّا ... لقد رفع الإسلام المرأة إلىٰ أبعد مما يطمح خيالها، ويصبو أملها ، وساق لها من آي الذكر الحكيم، ما بهر سناه بصرها، وملكت محجته نفسها، واستفادة بلاغته وحسن سلامته قلبها، وأنصتت لما وصف به الله رحمته وعزته وناره وجنته ، وما أعد للصابرات ، والمحسنات، من جزيل الأجر، وسَنِيِّ المنزلة، فأثار ذلك عاطفتها ، وأفاض وجدانها، وأنار بصيرتها ، فكان حقًّا لذلك أن يصيب حبة قلبها، ويجول في

---

(١) رواه الدولابي (١/ ٣٢) رقم ١٨٠) ، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٣) ، من طريق مروان بن معاوية الفزاري ، عن وائل بن داود ، عن عبدالله بن البهي ، عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ ، وفي إسناده عبدالله بن البهي ، ذكره ابن حبان في ثقاته ، ووثقه ابن سعد ، وروى له مسلم ، وقال فيه أبو حاتم : مضطرب الحديث، وقد أنكر ابن معين لفظ حديث عائشة ـ وكأنه يرىٰ عدم سماع البهي من عائشة ـ وقال أحمد : والبهي سمع عائشة : ما أرىٰ هذا شيئًا، وللحديث شاهد ، رواه أحمد (٦/ ١١٧ ـ ١١٨) ، وابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٤/ ١٨٢٣ ـ ١٨٣٤) من طريق مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، مرفوعًا ، وفي الإسناد مجالد ، وهو ضعيف، انظر «عودة الحجاب».

محال دمها، ويتأشب بين أحناء ضلوعها ، كذلك كان أمر نساء العرب ؛ فإن أول قلب خفق بالإسلام ، وتألق بنوره ، قلب امرأة منهن، هي سيدة نساء العالمين في زمانها ، أم القاسم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها [١].

● ● ●

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٣٩).

المرأة العالمة

إن الإسلام أولى المرأة عناية خاصة في جميع المجالات ، التي من خلالها تُظهر جدارتها في عبادتها لله عز وجل ، وأهم ذلك بعد الإيمان بالله العلم الصحيح؛ ولذا كان أول ما نزل من القرآن قول الله عز وجل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [العلق: ١ - ٥]. دلالة على مكان العلم وشرفه في الإسلام ، وقال الله عز وجل : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقد قال الإمام ابن الجوزي في كتابه «أحكام النساء» (ص ٧٠):

المرأة شخص مكلف كالرجل، فيجب عليها طلب علم الواجبات عليها ؛ لتكون من أدائها على يقين».

وقال الله عز وجل مخاطبًا أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ㉞﴾.

[الأحزاب: ٣٤]

وفي السنة النبوية ما يدلنا على حرص الصحابيات رضي الله عنهن على طلب العلم، والسؤال عن النوازل من المسائل ، لا يمنعهن في ذلك الحياء، حتى قالت عائشة رضي الله عنها فيهن:

«نعم النسـاء نساء الأنصار، لم يكن يمـنعهن الحيـاء أن يتفـقهن في الدين»(١).

وانظري أختي المسلمة عن كثـرة أسئلة النساء لرسول الله ﷺ لتعلم أمور دينها ، ولقـد بلغ حرص النساء المسلمات على العلم غـايته ، حتى يطلبن المجالس الخاصة بهن للتعليم مع أنهن يستـمعن في المسجد لتعليمه ومواعظه ﷺ.

عن أبي سعيد الخدري : قالت النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يومًا من نفسك فوعدهن يومًا لقيهن فيه ؛ فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: **«ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها بها حجابًا من النار»**، فقالت امرأة : واثنين؟ فقال: **«واثنين»**(٢).

وكان رسول الله ﷺ حريصًا على تعليمهن ، فكان يأمرهن بشهود مجامع العلم والخير ، ويتزودن من ذلك.

عن أم عطية قالت: **«كنا نؤمـر أن نخرج يوم العـيد؛ حتى نخرج البكر من خـدرها ، حتى نخـرج الحـيض، فـيكن خلف الناس فـيكبـرن بتكبيرهم ، ويدعون بدعائهم ، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته»**(٣).

عن أم سلمة أم المؤمنين أنها قالت: جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن الله لا يستحيي من الحق،

---

(١) رواه مسلم (٣٣٢) ، وأبو داود (٣١٦) ، وابن ماجه (٦٤٢).

(٢) رواه البخاري (١٠١).

(٣) رواه البخاري (٩٧١) ، ومسلم (٨٩٠).

هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فـقال رسول الله ﷺ : **«نعم، إذا رأت الماء»**[١].

وتعلمت المرأة الكتابة في الصدر الأول:

فعن الشفاء بنت عبدالله قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال: **«ألا تعلمين هذه رقية النملة ، كما علمتيها الكتابة»**[٢]

وهذا يدل على شغف النساء بحب العلم آنذاك، وهذا يسجل للمرأة المسلمة مفخرة عظيمة اعترف بهـا الأعداء قبل الأصدقاء ، فإن «غوستاف لوبون» ذكر أنه كثـر في العهد العباسـي في المشرق ، وفي ظل الأمويين في الأندلس اللواتي اشتهـرن بمعارفهن العلميـة والأدبية، وعد ذلك «من الأدلة على أهمية النساء أيام نضارة حضارة العرب»[٣].

ولم يقتصر دور المرأة على تعلم العلم وطلبه، بل تعداه إلى المشاركة في تعليمه ، ورواية كتبه ، وتدريسها على نحـو فُقْن فيه كثيراً من فحول الأمم، يدل على ذلك سجل حـافل فخم من أعلام النساء ، يعـجز عن استـقصـائه العصـبة أولوا القـوة، ولو ذهب باحث يسلسل حلقـاته التي احتلت أولاها أمـهات المؤمنين ، ومن تتابع منهم من لدن عـصر الرسول ﷺ إلى يومنا هذا ، ماكفاه عمره ، وإن طال»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢).

(٢) إسناده صحيح، رواه أحمد (٦/ ٣٧٢).

(٣) «حضارة العرب» (٤٨٩).

(٤) «عناية النساء بالحديث النبوي» (صـ ٧).

فإن النساء شقائق الرجال في تبليغ العلم ، وتعليم الكتابة ، ورواية الحديث وأدائه، فضلاً عن تحمله ، وطلبه ودراسته.

وفي هذا يقول الشوكاني :

«لم ينقل عن أحدٍ من العلماء بأنه رد خبر امرأةٍ لكونها امرأة، فكم من سُنة قد تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدةٍ من الصحابة، وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة»[١].

وقال شارح «مسلم الثبوت»:

«يقبل خبر المرأة العادلة من غير مشاركة رجل معها ، بخلاف الشهادة؛ إذ اشتراط الذكورة فيها بالنص».

ثم قال مدللاً على ذلك:

«اقتداءً بالصحابة ﷺ ، وكفى بهم قدوة، وهم قبلوا خبر بريرة قبل العتاق، وخبر عائشة الصديقة أم المؤمنين ، وأم المؤمنين أم سلمة، وغيرهما»[٢].

وقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنة تحث على تعليم الرجال لأهلهن ، والترغيب في ذلك.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا

(١) «نيل الأوطار» (٨/ ٢٢).

(٢) «فتح الرحموت شرح مسلم الثبوت» (١/ ١٤٤ ـ بذيل المستصفى) انظر : «عناية النساء بالحديث» (صـ ١٦).

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾ [التحريم: ٦].

وقال ﷺ : «**كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته ... والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عن رعيته**»(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** قال: «**يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس ابن عبدالمطلب! لا أغني عنكم من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد! سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا**»(٢).

ووعظ الرسول ﷺ النساء كما سبق ، وتخصيص يوم لهن ، وكذلك وعظهن في الأعياد والمحافل.

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعته يقول : «قام النبي ﷺ يوم الفطر ، فصلى ، فبدأ بالصلاة ، ثم خطب ، فلما فرغ نزل فأتى النساء، فذكرهن وهو يتوكأ على يد بلال ، وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء الصدقة، قلت لعطاء: زكاة يوم الفطر؟ قال: لا، ولكن صدقة يتصدقن وحينئذ تلقي فتخها ويلقين ، قلت: أترى حقًا على الإمام ذلك ويذكرهن؟ قال: إنه لحق عليهم، وما لهم لا يفعلونه»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٤/١٤٥٩) ، والترمذي (١٧٠٥).

(٢) رواه مسلم (٢٠٦).

(٣) رواه البخاري (٩٧٨) ، ومسلم (٨٨٥).

عن مالك بن الحويرث : أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيمًا رفيقًا، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: **«ارجعوا فكونوا فيهم ، وعلموهم وصلوا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم»**[(١)] .

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه باب «تعليم الرجل أمته وأهله». وأورد حديث النبي ﷺ : **«ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب ، آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله ، وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها ، فأحسن تأديبها ، وعلمها ، فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها ، فله أجران[(٢)]»**[(٣)] .

---

(١) رواه البخاري (٦٢٨) ، ومسلم (٦٧٤).

(٢) ورواه البخاري (٩٧).

(٣) «وإذا لزم خروج المرأة لتتعلم ما يجب عليها من أمور دينها فلابد أن تلتزم بالآداب الإسلامية «لاشك أن التزام المرأة بيتها ، وعدم الخروج منه ، إلا لحاجة ملحة ، أمر واجب بنص الكتاب والسنة» لقوله عز وجل : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب :٣٣]، وهذا الأمر وإن كان واردًا في حق نساء النبي ﷺ ، إلا أن نساء المسلمين يشتركن معهن فيه، وهن لهن فيه تبع.

ولقوله ﷺ : **«لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن»** رواه أبو داود (٥٦٧) من طريق حبيب بن أبي ثابت ، عن ابن عمر به ، وسنده صحيح.

ولكن أبيح للنساء الخروج من البيوت للضرورة، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة ـ بعدما ضرب الحجاب ـ لحاجتها ، وكانت امرأة جسيمة، لا تخفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب ، فقال: يا سودة! أما والله =

. . . .

ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين ، قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي ، وإنه يتعشى، وفي يده عـرق، فدخلت، فقلت: يا رسول الله! إني خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه، ثم دفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه ، فقال: «**إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن**» رواه البخاري (١/ ٤٠) ، ومسلم (٣/ ١٧٠٩).

وطلب العلم من الحاجات الأساسية للمرأة ؛ لكي تقيم عبادتها لله على الطريقة المسنونة عن النبي ﷺ ، بما يرضي ربهـا عنها في الدنيـا والآخرة، فـخروجـها لطلبه جائز، كـما سبق ذكره ، والتدليل عليـه، ولكن هل ترك الإسلام خروج المرأة من بيتها لحاجتها بغير قيد أو شرط؟ بالطبع لا.

بل اشتـرط الإسلام شروطًا وآدابًا تلتـزم بها المرأة في خروجـها من بيتـها لطلب العلم، من أهم هذه الشروط والآداب:

١ ـ عدم توفر لها من يقـوم على تعليمها أمور دينها من مـحارمها ـ كالأب ، أو الأخ ، أو الزوج ـ أجزأها عن الخـروج لطلب العلم ، ومكثها في بيـتها أولى آنذاك.

وأما إذا لم يتوفر لها ذلك ؛ جاز لهـا الخروج لطلب ما تحتاجه من العلم الشرعي الذي تحتاجه في حالها ، لا ما يزيد عن كونه فرض عين.

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في «أحكام النساء» (ص ٧):

«المرأة شخص مكلف كالرجل، فيجب عليها طلب علم الواجبات لتكون من أدائهـا على يقين، فإن كـان لها أب ، أو أخ ، أو زوج ، أو مـحرم يعلمهـا الفرائض، ويعرفهـا كيف تؤدي الواجبات كـفاها ذلك، وإن لم يكن سألت وتعلمت».

٢ ـ وجود الحاجة الملحة للخروج من البيت:

كأن تقع لها مسألة شرعية يقتضي حالها الإجابة عليها، فلا تجد من محارمها =

من يجيبها ، أو يقوم عنها بالسؤال.

٣ ـ الاختيار الصحيح للمسئول:

فلا تطلب جواب مسألتهـا عند المشايخ ـ الذكور ـ إلا إذا انعدم من النساء من يقوم على تعليمها ، أو الإجابة على أسئلتها ، ولا تطلبه عند المشايخ حديثي السن ، إلا إذا عدم المشايخ ذوو الأسنان.

٤ ـ الاقتصار على القدر اللازم للجواب:

فمتى أجابها الشيخ على سؤالهـا لم يجز لها أن تستكثـر من الكلام معه خشية الفتنة.

٥ ـ عدم الخلطة أو الخلوة بالشيخ ـ أو من في مجلسه من الرجال:

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قـال: سمعت النبي ﷺ يخطب يقول: «**لا يخلون رجل بامـرأة إلا ومعـها ذو مـحرم**» رواه البخـاري (١/ ٣١٩) ، ومسلم (٢/ ٩٧٨)، ولحديث عقبـة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**»، فقال رجل من الأنصار ، أفرأيت الحمو؟ قال : «**الحمو الموت**» رواه البخاري (٣/ ٢٦٥)، ومسلم (١٧١١).

فهذان الحديثـان يدلانا على عدم جواز الخلوة بالنساء، وهي متـحققة في شأن المرأة التي تجلس إلى جماعة من الرجال غير المحارم.

ولا شك أن الرجل والمرأة إذا اجـتمعـا في مكان ، كـاد لهما الشـيطان، ونزغ في قلب كل منهـما ليريـه محاسن الآخـر ، ومواطن فـتنته ، ولا يؤمن من هذه الفتنة إلا بترك الاختلاط ، وعدم الخلوة بالأجانب.

وأمر آخر : وهو أن المرأة إذا كانت قد خرجت حقًا لطلب العلم الذي لا تستغني عنه ، في إقـامة عبادتها لربها، فلا شك أنهـا يجب عليها أن لا تقترف محرمًا لتحصل مندوبًا أو واجـبًا ، وإلا كان مثلها كمثل نساء بني إسرائيل اللواتي كن يتشوفن للرجال وهن في طريقهن إلى الصلاة.

٦ ـ غض البصر والسؤال من وراء حجاب:

لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فإن المرأة إذا كشفت عن نفسها للرجل جعلت للشيطان مدخلاً إلى قلبه وقلبها، وقد قال النبي ﷺ: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه**» رواه البخاري (٤/ ٨٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٦).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في «فتح الباري» (١١/ ٢٢):

«قال ابن بطال: سمي النظر والنطق زنا؛ لأنه يدعو إلى الزنا الحقيقي؛ ولذلك قال: «**والفرج يصدق ذلك ويكذبه**».

وهناك بعض الآداب التي يجب على كل امرأة أن تلتزم بها في نفسها، إذا أرادت الخروج من بيتها لأي حاجة لها ـ في طلب علم أو غيره ـ ومن أهم هذه الآداب:

١ ـ الالتزام بالحجاب، والزي الشرعي:

لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

٢ ـ عدم إظهار الزينة:

لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ولقوله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**». رواه مسلم (٤/ ٢١٩٢).

ولم تقف النساء فقط عند العلم والتعلم ، بل قمن بالتبليغ وتعليم غيرهن، وقد أمر الله عز وجل أمهات المؤمنين بتعليم الأمة وتبليغها ما يذكر من تعاليم الدين في بيوتهن من القرآن والسنة.

قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقال النبي ﷺ : «**بلغوا عني ولو آية**»[1] ، وقد ثبت فيما لا يكاد يحصى من الأحاديث من بث نساء رسول الله ﷺ لمسائل العلم التي دارت وجرت في بيوتهن، فبثثن صفة غسل رسول الله ﷺ ، وصفة صلاته، وصفة صومه، وصفة حجه، وبيعه وشرائه، وسائر هديه وسمته ودله صلوات الله وسلامه عليه، وغير ذلك من سيرته، وبثثن جملة من مسائل الاعتقاد، والأحكام، والسير، والمغازي ، والآداب، والأخلاق من التي رأينها من رسول الله ﷺ

عن عائشة أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض فأمرها أن تغتسل؟ قال: «**خذي فرصة من مسك فتطهري بها**» قالت: كيف

---

٣ ـ ترك الطيب والبخور :

لأنهما من مظاهر الزينة التي نُهي النساء عن إبدائها لغير المحارم ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أيما امرأة استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية**». رواه أحمد (٤/ ٤١٤)، وأبو داود (٤١٧٣) ، والترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي (٨/ ١٥٣) من طريق نعيم بن قيس ، عن أبي موسى به ، وسنده صحيح» . انظر «الآداب الشرعية للنساء في طلب العلم» صـ (١٨ ـ ٢٦).

(١) رواه البخاري (٣٤٦١).

أتطهر؟ قال: «**تطهري بها**» قالت: كيف؟ قال: «**سبحان الله! تطهري**» فاجتذَبْتها إليَّ فقلت: تتبعي بها أثر الدم؟[١]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وذكر الحديث، وفيه: قال ﷺ: «**فما تزوجت؟ بكرًا أم ثيبًا؟**» قلت: ثيبًا، أصيب عبدالله، وترك جواري صغارًا فتزوجت ثيبًا تعلمهن وتؤدبهن ... الحديث[٢].

عن الشفاء بنت عبدالله قالت: دخل علينا النبي ﷺ، وأنا عند حفصة فقال: «**ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة**»[٣].

عن أبي موسى قال: ما أشكل علينا ـ أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا[٤].

هكذا حملت المرأة المسلمة المسئولية، كما حملها الرجل، فكلاهما صنوان في التبليغ، حتى يتم النور الذي أراده الله سبحانه وتعالى لهذا الدين في هذه الدنيا، وها هي أمثلة من نساء عالمات كالجبال في رواسيها والقمم في شموخها[٥].

نبدأ بالصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها

زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، الفقيهة الربانية، المبرأة من فوق

(١) رواه البخاري (٣١٤).

(٢) رواه البخاري (٢٤٠٦)، وانظر: «جامع أحكام النساء» (٤/ ٦١٦) وما بعدها.

(٣) رواه أحمد (٦/ ٣٢٣).

(٤) رواه الترمذي (٣٨٨٣) بإسناد صحيح وانظر: «عناية النساء» (صـ ٦٥).

(٥) أكثر هذه الأمثلة من كتابي «عناية النساء بالحديث» للشيخ مشهور ـ حفظه الله ـ وكتاب «عودة الحجاب للشيخ محمد بن إسماعيل حفظه الله (٢/ ٥٦٥ ـ ٥٩٩).

سبع سموات ، مات عنها رسول الله ﷺ بعد أن أقام معها تسع سنوات، وحين مات ﷺ ما كانت تخطو بعد إلى التاسعة عشرة، على أنها ملأت أرجاء الأرض علمًا، فهي في رواية الحديث نسيج وحدها، ووعَتْ من أحاديث رسول الله ﷺ ما لم تعه امرأة من نسائه، وروت عنه ما لم يرو مثله أحد من الصحابة، إلا أبو هريرة ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

قال الذهبي في «السير» (٢/ ١٤٠):

«لا أعلم في أمة محمد ﷺ ـ بل وفي النساء مطلقًا ـ امرأة أعلم منها ، ونشهد أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة ، فهل ذلك مفخر؟!».

وحبه ﷺ لعائشة كان مستفيضًا بين نسائه ، وقد قال ﷺ : «**يا أم سلمة! لا تؤذيني في عائشة. فإنه ـ والله ـ ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها**» لقد كانت رضي الله عنها إحدى المجتهدات ، من أنفذ الناس رأيًا في أصول الدين، ودقائق الكتاب المبين، وكم كان لها رضي الله عنها من استدراكات على الصحابة وملاحظات، فإذا علموا بذلك منها ، رجعوا إلى قولها.

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه :

«ما أشكل علينا ـ أصحاب رسول الله ﷺ ـ حديث قط فسألنا عائشة ، إلا وجدنا عندها منه علمًا[1]»[2].

(١) سبق تخريجه في الحديث السابق.

(٢) انظر : «صلاح الأمة في علو الهمة» (٧/ ١٦١ ـ ١٦٢).

وقيل لمسروق: «كانت عائشة تحسن الفرائض؟» قال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض(١).

وقال عطاء بن أبي رباح:

«كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة»(٢).

قال الزهري:

«لو جمع علم الناس كلهم، وأمهات المؤمنين؛ لكانت عائشة أوسعهم علمًا»(٣).

وعنه أيضًا: «لو جمع علم عائشة إلى جميع النساء؛ لكان علم عائشة أفضل»(٤).

قال الذهبي رحمه الله:

«مسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعين حديثًا، وانفرد البخاري أربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين»(٥).

---

(١) أخرجه الدارمي (٢/ ٣٤٢، ٣٤٣)، وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٤٥)، والحاكم (٤/ ١١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٨٥)..

(٣) «المستدرك» (٤/ ١١).

(٤) قال الهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني، ورجاله ثقات. اهـ (٩/ ٢٤٣)، وكذا الحاكم (٤/ ١١).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٣٩).

قال الحاكم أبو عبدالله: «فحمل عنها ربع الشريعة»[١].

وعن عروة بن الزبير قال: «ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ، ولا بطب ، ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها»[٢].

وذكر أبو عمر بن عبدالبر رحمه الله:

«أنها كانت وحيدة عصرها في ثلاثة علوم: «علم الفقه ، وعلم الطب ، وعلم الشعر»[٣].

وهناك كثير من الصحابيات رضي الله عنهن كن قسيمات عائشة في إذاعة العلم ، وإفاضة الدين على المسلمين ، ويؤكد ذلك أن لهن كثيرًا من الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ ، وهناك أيضًا كثير من الأقوال تنسب إليهن في التفسير والفقه والحديث، وهذا كله يدلل على أن المرأة المسلمة أقبلت على العلم منذ أكرمها الله تعالى بالإسلام، وأنها في بعض الأحايين تجاوزت فرض العين إلى فروض الكفاية[٤].

تَخَرَّج من مدرسة أمهات المؤمنين وغيرهن من الصحابيات الكريمات رضي الله عنهن جماعة غير قليلة من طالبات علم الحديث النبوي، وشاركن فيما بعد برواية الأحاديث ، وأخذ عنهن كبار المحدثين، ومن أشهرهن:

---

(١) «الإجابة» للزركشي (صـ ٥٩).

(٢) «الإصابة» (٨/ ١٨).

(٣) انظر : «الاستيعاب» (٤/ ١٨٨١) ، وما بعده ، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٣ - ٥٧٤).

(٤) «عناية النساء بالحديث» (صـ ٥٩) ، وانظر : رسالة ابن حزم «أسماء الصحابة الرواه، وما لكل واحد من العدد» مطبوعة آخر «جوامع السيرة».

* عَمْرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زُرارة بن عُدُس :

الأنصارية النجارية المدنية الفقيهة، تربية عائشة وتلميذتها . كانت عالمة فقيهة، حجة، كثيرة العلم، حدثت عن عائشة، وأم سلمة، ورافع ابن خديج، وأختها أم هشام بنت حارثة، حدث عنها ولدها أبو الرجال محمد بن عبدالرحمن ، وابناه حارثة ، ومالك، وابن أختها القاضي أبو بكر ابن حزم ، وابناه عبد الله، ومحمد ، والزهري ، وآخرون.

قال القاسم بن محمد لابن شهاب: ياغلامُ! أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى، قال: عليك بِعَمْرة، فإنها كانت في حجر عائشة، قال: فأتيتها فوجدتها بحراً لا يُنزف.

وثَّقها جماعة من العلماء ، فقال ابن معين عنها : «ثقة ، حجة» ، وقال العجلي: «مدنية، تابعية ، ثقة» ، وذكرها ابن المديني ففخَّم أمرها، وقال: «عمرة أحد الثقات العلماء بعائشة» وذكرها ابن حبان في «الثقات»، وقال: «كانت من أعلم الناس بحديث عائشة» . ونعتها ابن سعد بـ «العالمة» . وقال عمر بن عبدالعزيز: «ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة من عمرة».

وحديثها كثير في دواوين السنة، واختلفوا في وفاتها ، فقيل: توفيت سنة ثمان وتسعين. وقيل: توفيت في سنة ست ومئة[1].

---

(١) لها ترجمة في «طبقات ابن سعد» (٨/ ٤٨٠) ، و«تهذيب الكمال» (ق ١٦٩٧) . و«العبر» (١/ ١١٧)، و«السير» (٤/ ٥٠٧) ، و«التهذيب» (١٢/ ٤٣٨)، و«الشذرات» (١/ ١١٤).

*** حفصة بنت سيرين أم الهذيل:**

الفقيهة الأنصارية ، سيدة جليلة من سيدات التابعيات، اشتهرت بالعبادة والفقه وقراءة القرآن والحديث.

قال إياس بن معاوية : ما أدركتُ أحدًا أفضِّلهُ عليها ، فذكروا له الحسن وابن سيرين ، فقال: أما أنا ، فما أُفضل عليها أحداً.

وأما سيدات التابعيات في قول ابن أبي داود : فحفصة بنت سيرين، وعمرة بنت عبدالرحمن، ويليهما أم الدرداء الصغرى.

روت حفصة عن أم عطية، وأم الرائح، ومولاها أنس بن مالك، وأبي العالية ، روى عنها أخوها محمد، وقتادة، وأيوب، وخالد الحذَّاء، وابن عَوْن، وهشام بن حسان.

قَرأتِ القرآن ، وهي بنتُ ثنتي عشرة سنة، وعاشت سبعين سنة، وكانت توصي الشباب خيراً ، فمن أقوالها : «يا معشر الشباب! خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني رأيت العمل في الشباب ، وهذا ما فعلته هي رحمها الله، فقد مكثت ثلاثين سنة لا تخرج من مُصلاها إلا لقائلة، أو قضاء حاجة، توفيت بعد المئة[1].

---

(١) لها ترجمة في «طبقات ابن سعد» (٨/ ٤٨٤) ، و«تهذيب الكمال» (ق ١٦٧٩) ، و«العبر» (١/ ١٢٣) ، و«السير» (٤/ ٥٠٧) ، و«التهذيب» (١٢/ ٤٠٩) ، و«الشذرات» (١/ ١٢٢).

▪ معاذة بنت عبدالله ، أم الصَّهْبَاء العدوية البصرية العابدة ، زوجة السيد القدوة صِلة بن أشيم.

من ربات الفصاحة والبلاغة والتفقه في الدين ، ورواية حديث سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين، وكانت ناسكة عابدة ، زاهدة، نعتها الذهبي بقوله : «السيدة العالمة».

روت عن علي وعائشة ، وهشام بن عامر، حدث عنها أبو قلابة، ويزيد الرشك، وعاصم الأحول، وأيوب السختياني وآخرون.

وثقها ابن معين، فقال: «ثقة ، حجة» ، وحديثها محتجٌّ به في الصحاح، وكانت تحيي الليل عبادة، وتقول: عجبتُ لعينٍ تنام ، وقد علمت طول الرُّقاد في ظلم القبور، وقالت لمرأةٍ أرضعتها لما كبرت: يا بنيَّة! كوني من لقاء الله تعالى على حذر ورجاء، فإني رأيتُ الراجي محفوفًا بحسن الزُّلفى لديه يوم يلقاه، ورأيت الخائف له مؤملاً له زمان يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ثم بكت، وكانت تقول: صحبت الدنيا سبعين سنة، فما رأيت فيها قرة عين قط، ماتت سنة ثلاث وثمانين ، وقيل: غير ذلك[1].

▪ أم الدرداء الصغرى هُجَيْمَة ـ ويقال : جُهيْمة ـ الأوْصابيَّة الحميريَّة الدِّمشقيَّة.

فقيهة كبيرة ، وعالمة عاملة، واسعة الاطلاع ، كثيرة الرواية ، وافرة

---

(١) لها ترجمة في «طبقات ابن سعد» (٨/ ٤٨٣) ، و«ثقات ابن حبان» (٥/ ٤٦٦) ، و«تهذيب الكمال» (ق ١٧٠٥) ، و«السير» (٤/ ٥٠٨) ، و«التهذيب» (١٢/ ٤٥٢) ، و«الشذرات» (١/ ١٢٢).

العقل والذكاء، ذات جمال وملحة، نعتها الذهبي بقول: «السيدة العالمة الفقيهة».

رَوَتْ علمًا جمًا عن زوجها أبي الدرداء ، وعن سلمان الفارسي، وكعب بن عاصم الأشعري، وعائشة، وأبي هريرة ، وطائفة.

وعرضتِ القرآن وهي صغيرة على أبي الدرداء، وطال عمرها، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد.

حدث عنها جماعة من مشاهير الرواة، مثل : جُبير بن نُفير، وأبو قِلابة الجَرْمي، وسالم بن أبي الجعد، ومكحول، وزيد بن أسلم.

قال مكحول: كانت أم الدرداء فقيهة، وقال أبو أحمد العسال: يروى عنها الحديث الكثير، ويُروى عنها قولها: أفضل العلم المعرفة. وقولها، تعلموا الحكمة صغارًا ، تعملوا بها كبارًا، وإن كل زارع حاصد ما زرع من خير أو شر.

وقال لها رجل: إني لأجد في قلبي داء ، لا أجد له دواء، وأجد قسوة شديدة ، وأملاً بعيدًا، قالت: اطلع في القبور ، واشهد الموتى، توفيت بعد سنة إحدى وثمانين رحمها الله تعالى[1].

وغيرهن كثير ، وقد اعتنى بذكرهن ، وقارب على استيعابهن ،

---

(١) لها ترجمة في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٢٧) ، و«ثقات ابن حبان» (٥/ ٥١٧)، و«تهذيب الكمال» (ق ١٧٠٩) ، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٥٠)، و«العبر» (١/ ٩٣)، و«السير» (٤/ ٢٧٧) ، و«البداية والنهاية» (٩/ ٤٧) ، و«غاية النهاية» (ت ٣٧٨٣).

والإشارة إلى شيوخهن ، ومن روى عنهن ابن حبان في كتابه «الثقات» . فقف عليه[١] .

* فاطمة بنت السمرقندي :

أورد العلماء في ترجمة أبي بكر الكاشاني قصة حسنة تنبئ عن نبوغ بعض النساء في العلم ، قالوا:

«تفقه عليه الإمام أبو بكر السمرقندي ، وقرأ عليه معظم تصانيفه، مثل «التحفة في الفقه» ، وغيرها من كتب الأصول ، وزوجه شيخه المذكور ابنته فاطمة الفقيهة العاملة، قيل أن سبب تزويجه بابنته : أنها كانت حسناء النساء ، وكانت حفظت «التحفة» تصنيف والدها، وطلبها جماعة من ملوك بلاد الروم، فامتنع والدها، فجاء الكاشاني ولزم والدها، واشتغل عليه، وبرع في علمي الأصول والفروع، وصنف «كتاب البدائع» ، وهو «شرح التحفة» ، وعرضه على شيخه ، فازداد فرحًا به ، وزوجه ابنته ، وجعل مهرها منه ذلك، فقال الفقهاء في عصره: «شرح تحفته وزوجه ابنته» ، وجعل مهرها منه ذلك»[٢] .

وزاد اللكنوي في ترجمة السمرقندي أن زوجها كان يخطئ فترده

---

(١) في المواطن التالية : (٤/ ٦٣ ـ ٦٤ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١٢١ ، ١٩٤ ـ ١٩٦ ، ٢١٥ ـ ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، ٣٥١ ـ ٣٥٣ ، ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ، ٣٩٩) و (٥ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ، ٣٠٠ ـ ٣٠١ ، ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ، ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٥١٧ ، ٥٩٣ ـ ٥٩٤).

(٢) انظر : «طبقات الفقهاء» (١٠٢) لطاش كبري زاده و«إعلام النبلاء» (٤/ ١٥٠ ، ٢٨٦) ، و«الفوائد البهية» (١٥٨).

إلى الصواب ، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط أبيها ، فلما تزوجت بصاحب «البدائع» كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها[1].

* **بنت الإمام مالك بن أنس:**

وكذلك ما روي عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ حين كان يُقرأ عليه «الموطأ» فإن لحن القارئ في حرف ، أو زاد ، أو نقص تدق ابنته، فيقول أبوها للقارئ: ارجع فالغلط معك، فيرجع القارئ فيجد الغلط[2].

* **بنت سعيد بن المسيب:**

ألا ترى إلى بنت سعيد بن المسيب لما أن دخل بها زوجها ، وكان من أحد طلبة والدها ، فلما أن أصبح ، أخذ رداءه يريد أن يخرج، فقالت له زوجته : إلى أين تريد؟ فقال: إلى مجلس سعيد أتعلم العلم، فقالت له: اجلس أعلمك علم سعيد[3].

---

(١) «الفوائد البهية» (ص ١٥٨).

(٢) وقد فصل القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/١٠٩ ـ ١١٠ ط دار الحياة) هذا الخبر ، فقال: «قال الزبير : كان لمالك ابنة تحفظ علمه ، يعني : «الموطأ» وكانت تقف خلف الباب ، فإذا غلط القارئ نقرت الباب فيفطن مالك، فيرد عليه، وكان ابنهُ محمد يجيء وهو يحدث وعلى يده باشق ونعل كتب فيه، وقد أرخى سراويله، فيلتفت مالك إلى أصحابه ويقول: «إنما الأدب مع الله، هذا ابني ، وهذه ابنتي» ، قال الفروي : وكنا نجلس عنده وابنه يدخل ويخرجه ولا يجلس ، فيقبل علينا ويقول: «إن مما يهون عليّ أن هذا الشأن لا يورث».

(٣) أورد نحو هذه القصة أبو نعيم في «الحلية» (٢/١٦٧ ـ ١٦٨) ، والذهبي في «السير» (٤/٢٣٢ ـ ٢٣٤) ، وقال: «تفرد بالحكاية أحمد بن عبدالرحمن بن وهب، وعلى ضعفه قد احتج به مسلم».

*** لطيفة عن والدة الإمام الشافعي:**

ذكر السبكي لطيفة عن والدة الإمام الشافعي ، تنبئ عن فهم ثاقب، وعقل راجح ، بحيث إنها فهمت آية من كتاب الله تعالى على نحوها ، حجت به قاضيًا من القضاة، قال رحمه الله تعالى : «وكانت أمه رضي الله عنها باتفاق النقلة من العابدات القانتات ، ومن أذكى الخلق فطرة، وهي التي شهدت هي وأم بشر المريسي بمكة عند القاضي ، فأراد أن يفرق بينهما ليسألهما منفردتين عما شهدتا به استفسارًا ، فقالت له أم الشافعي: أيها القاضي! ليس لك ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ**﴾ فلم يفرق بينهما. وعلق السبكي على هذا الخبر بقوله:

«قلت : وهذا فرع حسن ، ومعنى قوي ، واستنباط جيد، ومنزع غريب، والمعروف في مذهب ولدها رضي الله عنه إطلاق القول بأن الحاكم إذا ارتاب بالشهود استحب له التفريق بينهم، وكلامها رضي الله عنها صريح في استثناء النساء للمنزع الذي ذكر به، ولا بأس به»[1].

■ أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح بن محمد البغدادية:

الشيخة ، الصالحة، العالمة، المفتية، الفقيهة، المدرسة، العابدة، الناسكة، المجاهدة، وكل هذه ألقاب خلعها عليها أهل دهرها، وكلها صفات وصلت بها منتهى حدودها ، كانت تصعد المنبر ، وتعظ النساء، وانتفع بتربيتها، وتخرج عليها خلق كثير، وكانت عالمة موفورة العلم في الفقه والأصول[2].

---

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ١٧٩ - ١٨٠).

(٢) «المرأة العربية» (٣/ ٩٨).

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

«وكانت من العالمات الفاضلات ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر، وتقوم على الأحمدية في مواخاتهم النساء والمردان، وتنكر أحوالهم ، وأصول أهل البدع ، وغيرهم ، وتفعل من ذلك ما لا يقدر عليه الرجال، وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية فاستفادت منه ذلك وغيره، وقد سمعت الشيخ تقي الدين يثني عليها ويصفها بالفضيلة والعلم، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيرًا من المغني أو أكثره، وأنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها، وحسن سؤالاتها، وسرعة فهمها، وهي التي ختمت نساءً كثيرًا القرآن، منهن أم زوجتي عائشة بنت صديق، زوجة الشيخ جمال الدين المزي، وهي التي أقرأت ابنتها زوجتي أمة الرحيم زينب ، رحمهن الله وأكرمهن برحمته وجنته ، آمين»(١) .

توفيت في يوم عرفة ، بظاهر القاهرة ، وشهدها خلق كثير.

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في «ذيل طبقات الحنابلة»:

«فاطمة ابنة عباس بن أبي الفتح ، أم زينب الواعظة، الزاهدة العابدة، الشيخة، الفقيهة، العالمة المسندة المفتية، الخائفة الخاشعة، السيدة القانتة، المرابطة المتواضعة، الدينة العفيفة، الخيرة الصالحة، المتقنة ، المحققة ، الكاملة، الفاضلة، المتفننة البغدادية، الواحدة في عصرها، والفريدة في دهرها ، المقصودة في كل ناحية.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٧٢).

كانت جليلة القدر، وافرة العلم، تسأل عن دقائق المسائل، وتتقن الفقه إتقانًا بالغًا، أخذت عن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، حتى برعت ، كانت إذا أُشكل عليها أمر ، سألت ابن تيمية عنه، فيفتيها، ويتعجب منها ، ومن فهمها، ويبالغ في الثناء عليها ، وكانت مجتهدة، صوامة قوامة، قوالة بالحق، خشنة العيش، قانعة باليسير آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، انتفع بها خلق كثير، وعلا صيتها ، وارتفع محلها، وقيل: إنها جاوزت الثمانين ، توفيت ليلة عرفة سنة أربع عشرة وسبعمائة، رحمها الله تعالى ، ورضي عنها . . آمين»[1] .

«وعلى سننها سارت ابنتها زينب، فكانت تعظ النساء ، وتخطبهن في حياة أمها ، وبعد موتها»[2] .

*** عُلَيَّة بنت حسّان[3] :**

كانت امرأة نبيلة عاقلة ، لها دار بالعوقة تعرف بها، وكان صالح

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨).

(٢) «المرأة العربية» (٣/ ٩٨).

(٣) قال الشيخ مشهور : إليها ينسب المحدث المشهور إسماعيل ابن عُلَيَّة، ومن مفاخر النساء ، وفضلهن، أن كثيرًا من المشاهير من المحدثين والشعراء وغيرهم كان ينسب إليهن، وقد جمع أسماء من نسب إلى أمه الفيروزآبادي في «تحفة الأبية فيمن نسب إلى غير أبيه»، ومحمد بن حبيب في «من نسب إلى أمه من الشعراء» وهما مطبوعان في الجزء الأول من «نوادر المخطوطات».

وقد فات الأول منهما جماعة على شرطه، من مثل «الحسن ابن دينار» و «زياد ابن سُمَيَّة» ، و«سعيد ابن مرجانة» ، و«سليمان ابن قنة» ، و«عبدالملك ابن بحير» و«يزيد ابن ضبَّة» و«يوحنا ابن علياء» ، ولم ينبه على هذا المحقق الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله تعالى.

المري وغيره من وجوه أهل البصرة وفقهائها يدخلون عليها، فتبرزُ لهم تحادثهم وتسائلهم[1].

*** وكذلك السيدة المكرمة الصالحة نفيسة بنت الحسن بن زيد ابن سبط النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما (ت ٢٠٨ هـ):**

كانت تحفظ القرآن الكريم، عالمة بالتفسير والحديث، ذكر ابن خلكان أن الإمام الشافعي عندما توفي أدخلت جنازته إليها، وصلت عليها في دارها.

ومن المفيد هنا التنبيه على خطأ يقع فيه كثير من العوام، وهو الاعتقاد بأن الناس ينادون يوم القيامة بأسماء أمهاتهم!

وبعضهم يتعلق بقوله: ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم**﴾.

قال الزمخشري: «ومن بدع التفاسير من قال: إن الإمام في الآية جمع أم، وأن الناس يدعون بأمهاتهم دون آبائهم»، قال: «وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف، فإن أمًّا لا تجمع على إمام».

انظر: «الكشاف» (٢/ ٣٦٩)، و«الإتقان» (٢/ ١٨١).

وبعضهم يتعلق بما عند الطبراني من حديث أبي أمامة، وهو طويل في التلقين، وفيه: «فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة!» وهو ضعيف جداً، كما بينته في تحقيقي «تذكرة القرطبي».

وبعضهم يزيد حكمًا لذلك، مثل: من أجل عيسى عليه السلام، أو لشرف الحسن والحسين، أو لئلا يفتضح أولاد الزنا، وهذا كله باطل يرده ما في «الصحيحين» من حديث ابن عمر مرفوعًا: «إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان ابن فلان».

قال ابن بطال: «وفي الحديث رد لقول من زعم أنهم لا يدعون يوم القيامة إلا بأمهاتهم سترًا على آبائهم».

(١) «تهذيب الكمال» (٣/ ٣١).

قال الإمام الذهبي :

«ولم يبلغنا كبير شيء من أخبارها» قال : «ولجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف ، ولا يجوز مما فيه من الشرك، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية»(١) .

قال ابن كثير :

« وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها، وفي غيرها كثيراً جدًا، ولاسيما عوام مصر، فإنهم يطلقون فيها عبارات بشعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك ، وألفاظًا كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنها لا تجوز، وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين ، وليست من سلالته، والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرامٌ، ومن زعم أنها تفك من الخشب، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله، فهو مشرك ، رحمها الله وأكرمها»(٢).

واشهر من امتزن بذلك :

فاطمة بنت عبدالرحمن (المتوفاة سنة ٣١٢ هـ)، وفاطمة بنت أبي داود ، وأمة الواحد بنت المحاملي الحسين بن إسماعيل (المتوفاة سنة

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/١٠٦).

(٢) «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٧٤).

٣٧٧هـ) وهي والدة القاضي محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي ، وجمعة بنت أحمد، وأمة السلام بنت القاضي أبي بكر، وقد أَفَدْنَ بدرس الحديث ، واشتهرن به.

* وكانت أمة الواحد واسمها سُتَيتة بجانب روايتها الحديث عالمة، فقيهة، مفتية، نعتها الخطي .... بقوله : «وكانت فاضلة في نفسها : كثيرة الصدقة ، مسارعة في الخيرات ، حدثت وكتب عنها الحديث» تفقهت بأبيها وَرَوَتْ عنه ، وعن إسماعيل الورّاق ، وعبدالغافر الحمصي ، وحفظت القرآن والفقه الشافعي، وأتقنت الفرائض ومسائل الدَّور والعربية، وغير ذلك.

قال البرقاني : «كانت تُفتي مع أبي علي بن أبي هريرة».

وقال غيره : «كانت من أحفظ الناس للفقه، وروى عنها الحسن بن محمد الخلال»(١) .

* أما جمعة بنت أحمد بن محمد بن عبيد الله المحمية؛ فهي من أهل نيسابور، قدمت بغداد ، وحدثت بها عن أبي عمرو بن حمدان ، وأبي أحمد الحافظ ، وأبي بكر الطرازي ، وعبد الله بن محمد بن عبدالوهاب الرازي، وبشر بن محمد بن ياسين.

---

(١) لها ترجمة في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٤٤٢) ، و«المنتظم» (٧/ ١٣٨) ، و«العبر» (٣/ ٤٠) ، و«السير» (١٥/ ٢٦٤) ، و«مرآة الجنان» (٢/ ٤٠٧) ، و«الشذرات» (٣/ ٨٨) .

قال الخطيب البغدادي:

«حدثني عنها أبو محمد الخلال ، وعبدالعزيز بن علي الأزجي، وأبو الحسين محمد بن محمد الشروطي» ، قال: «وذكر لي الشروطي أنه سمع منها ببغداد في سنة ست وتسعين وثلاث مئة» ، وقال: «وقال لي الخلال : كان أبو حامد الإسفراييني يعظمها ويكرمها»(١).

■ وأما أمة السلام بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف ابن شجرة، فقد سمعت محمد بن إسماعيل البصلاني ، ومحمد بن الحسين بن حميد بن الربيع.

قال الخطيب:

«حدثنا عنها الأزهري، والتنوخي، والحسين بن جعفر السلماسي ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن حسنون النرسي، وأبو حازم ، وأبو يعلى محمد ابنا الحسين بن محمد بن الفراء» ، كانت قد حدثت ببغداد سنة تسع وثلاث مئة».

قال الخطيب:

«سمعت الأزهري والتنوخي ذكرا أمة السلام بنت أحمد بن كامل، فأثنيا عليها ثناءً حسنًا ، ووصفاها بالديانة والعقل والفضل»، توفيت سنة تسعين وثلاث مئة(٢).

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٤ / ٤٤٤).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٤/ ٤٤٣).

وكانت بعض المحدثات يذكرن في مجالس الإملاء أحاديث النبيﷺ من حفظهن، كما كانت تفعل فاطمة بنت أبي بكر بن أبي داود السجستاني[١].

▪ فاطمة بنت الأستاذ الزاهد أبي الحسن بن علي الدقاق:

كانت قرينة أبي القاسم القشيري ، صاحب «الرسالة»[٢] المشهورة، وكانت من أشهر المحدثات والمحدثين في المئة الخامسة من الهجرة، سمعت من أبي نُعيم الإسفراييني، وأبي الحسن العَلَوي، وعبدالله بن يوسف، وأبي عبدالله الحاكم، والسُّلَمي، وطائفة.

حظيت بسهمٍ وافرٍ في العلوم الإسلامية، وتعلقت بأهداب الفطاحل من المحدثين، وبرزت نسيج وحدها في الحديث، وكانت تعد من أشهر المحدثات، وفاقت بني عصرها بعلو الإسناد، نعتها الذهبي بقوله: «الشيخة العابدة العالمة» ، وبقوله : «وكانت عابدة، قانتة، مجتهدة، كبيرة القدر».

---

(١) «راجع «تاريخ بغداد» (١٤/ ٤٤٢).

(٢) قال الشيخ مشهور: فيها من الكلام الجيد الكثير، وفيها من كلام العقائد الفاسدة الكثير أيضًا، قال الأستاذ زهير الشاويش : «وكان أحد علمائنا الأفاضل يقول: هي آخر الخير، وأول الشر، ولكن بعد تتبع أثرها السيء في الأمة؛ يحسن النصح بالابتعاد عنها، أو أن تهذب من عالم صحيح العقيدة، سليم العقل» . راجع «النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية» (ص ٥٤ الهامش)
انظر «عناية النساء بالحديث» صـ (٧٩).

حدث عنهــا عبدالله الفُراوي، وزاهرُ الشحامــي، وأبو الأسعد هبة الرحمن بن عبدالواحد حفيدُها، وآخرون ماتت في ذي القعدة سنة ثمانين وأربع مئة، ولها تسعون سنة رحمها الله(١)

*** عائشة بنت حسن بن إبراهيم أم الفتح الأصبهانية الوَرْكَانيةُ.**

كتــبت الإملاء عن أبي عــبدالله بن منده، بخطهــا، وسمــعت من محــمد بن جــشْنِس الراوي عن ابن صــاعد، ومن عــبدالواحد بــن شاه وجماعة.

مدحها مترجموها ؛ فقال الذهبي : «الواعظة ، العالمة ، المُسنِدة» ، وهي أول شيخة للحافظ إسماعيل بن محمد.

قال الســمعانــي : «سألت الحافظ إســماعيل عــنها ، فقــال: امرأة صالحة ، عــالمة، تعظ النساء، وكتــبت «أمالي ابن منده» عنه، وهي أول من سمعتُ منها الحديث، بعثني أبي إليها ، وكانت زاهدة».

روىٰ عنها : الحسين بن عبدالملك الخلال ، وسعيد بن أبي الرجاء، ومحــمد بن حمــد الكِبْريتي، وإسمــاعيل الحــمامي المُعمِّــر، فكان خاتمة أصحابها ، بقيت إلىٰ سنة ست وستين وأربع مئة(٢).

---

(١) لها ترجمة في «التقييد» (٢/ ٣٢١) ، و«العبر» (٣/ ٢٩٦)، و«السير» (١٨/ ٤٧٩)، و«الشذرات» (٣/ ٣٦٥).

(٢) لهــا ترجــمــة في «الأنســاب» (ق ٥٨١ / ب) ، و«مــعــجم البلدان» (٥/ ٣٧٣)، و«اللبــاب» (٣/ ٣٦١) ، و«الســيــر» (١٨/ ٣٠٢) ، و«العــبــر» (٣/ ٣٤٧)، و«الشذرات» (٣/ ٣٠٨).

*** عائشة بنت محمد بن الحسين البسطامي:**

روت عن أبي الحسين الخفاف وغيره ، وعنها : إسماعيل بن المؤذن، وزاهر الشحّامي، وأخوه وجيه، ومحمد بن حمُّويه الجُويني الزاهد، كانتا من عائلة علمٍ وفضلٍ، فأبوها كان من كبار العلماء، وأخوها أبو المعالي عمر والموفق هبة الله كانا من كبار العلماء، وولد أخيها أبو سهل محمد بن الموفق كبير الشأن ، ماتت في حدود خمس وستين وأربع مئة(١).

ومن محدِّثات هذا القرن : بيبي(٢) بنت عبدالصمد بن علي الهرثمية، أم الفضل(٣) (ت ٤٧٧ هـ) ، الشيخة المعمرة ، المسندة ، المحدثة، الفاضلة، صاحبة الجزء (٤) الذي اشتهرت بروايته ، عن عبدالرحمن ابن أبي شريح ، عن شيوخه، تفردت به، وسمعه منها عَالَم لا يحصون، وسلكها الذهبي ضمن «أعلام حملة الآثار النبوية الذين سار ذكرهم في الأقطار والأعصار»(٥).

---

(١) لها ترجمة في «تكملة إكمال الكمال» لابن نقطة و«السير» (١٨/ ٤٢٥) ، و«أعلام النساء» (١٨/ ٤٢٥).

(٢) بيبي بباءين مكسورتين ، كذا ضبط اسمها في مخطوطة «السير» ، وكذا هو معروف ليومنا هذا عند سكان شبه القارة الهندية، وهو عندهم بمعنى «السيدة» ، وضبطه الزبيدي في «تاج العروس» (١/ ١٥٥) فقال: «كضيزي».

(٣) لها ترجمة في «السير» (٨/ ٤٠٣) ، و«العبر» (٣/ ٢٨٧) ، و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٥٤).

(٤) وهو مطبوع بتحقيق الشيخ عبدالرحمن الفريوائي.

(٥) «المعين في طبقات المحدثين» (ص ١٣٧).

■ كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المَرْوَزِيَّة:

فقد كانت ركنًا ركينًا للحديث، ويحضر دروسها العلماء الكبار الفطاحل، كالمحدث الفقيه المعروف الخطيب البغدادي، والمحدث الشهير أبو عبد الله محمد بن نصر المعروف بالحميدي الأزدي، وكالمؤرخ الشهير أبو المحاسن المصري، وكالنسابة المحدث المعروف السمعاني، كلهم كانوا من جناة ثمارها العلمية، وقد اعترف العلماء بفضلها وسبقها في تدريس «الجامع الصحيح» للبخاري، حتى إن محدث هراة أبا ذر رحمه الله تعالى قد وصى الطلبة أن لا يأخذوا «الجامع الصحيح» إلا عنها.

ترجم لها ابن نقطة ، فقال:

«حدثت بـ «صحيح البخاري» بمكة ، عن أبي الهيثم محمد بن المكي الكُشْمِيهَني، وسمعت أيضًا من زاهر بن أحمد السرخسي، وكانت عالمة، تضبط كتبها فيما بلغنا، سمع منها الحافظ أبو بكر الخطيب «صحيح البخاري» ، وأبو طالب الحسين بن محمد الزينبي»[1].

وترجم لها الحافظ ابن الجوزي في حوادث سنة (٤٦٣ هـ) ، فقال: رحمه الله تعالى :

«وتوفيت بمكة في هذه السنة الكريمة بنتُ أحمد بن محمد بن أبي حاتم المروزية ، من أهل كُشْمِيهَن ، قرية من قرى مَرْو، وكانت عالمة صالحة، سمعت أبا الهيثم الكُشْمِيهَنِّي وغيره، وقرأ عليها الأئمة؛ كالخطيب ، وابن المطلب، والسَّمعاني ، وأبي طالب الزينبي»[2] . انتهى.

(١) «التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد» (٢/ ٣٢٤).

(٢) «المنتظم» (٨/ ٢٧٠).

وقال الحافظ الذهبي في «العِبَر» في حوادث سنة (٤٦٣ هـ) أيضًا : «وفيها تُوفيت كريمة بنت أحـمد بن محمد بن حاتم أمُّ الكرام المَرْوزية[1]، المجـاورة بمكة، روَتْ «الصـحـيح» ـ أي : «صحـيح البـخـاري» ـ عن الكشميـهني ، وروت عن زاهر السرخسي، وكانت تضبط كتـابها وتقابل

(١) قال الشيخ مشهور : هكذا جاءت نسبتها في غير كتاب : «المروزية» ، وهذه النسبة إلى مَرْوِ الـشَّاهِجَان ، وترجـم لها الزركلي في «الأعـلام» (٦/ ٧٨) ، ونسبـها بقوله : «المرُّوذية» ، أي : بالـراء المشددة المضمـومة ، فالواو السـاكنة ، فالذال المعجمة، وقال: «وأصلها من مرو الروذ» . انتهى.

فإن صح هذا ؛ فيكون الصـواب فيها كما قـال: «المَرُّوْذِيَّة» ، ولكن الكتب كلها تتفقُ على ذكرها : «المروزية».

قال الدكـتور مـحمود الطناجي فـي تعليقه على «الـعقد الثـمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين الفاسي (٨/ ٣١٠) على ترجمة كريمة المروزية، وذكر فيه قول الأستاذ الزركلي ، ثم تعقبه بقوله:

«ولم أجـد أحـدًا ممن ترجم لهـا ذكـر ذلك ، وقـد ترجم لهـا في «الكامل» ، و«العـبر» ، و«الشـذرات» ، و«البـداية والنهايـة» ، و«تاج العروس» في (كـرم ٩/ ٤٣) ، وكلهم على أنها (المروزية) ، ثم نظرت في «الوافي بالوفيات» مصورة معهد المخطوطات (ج ٢٤) ؛ فوجدتها أيضًا فيه : «المروزية» . انتهى.

فما قاله الأستاذ الزركلي رحمه الله تعالى وَهَمٌ لا يُلْتَفَتُ إليه.

وهناك محدِّثة أخـرى (كريمة) متأخـرة عن هذه تُسمى (كريمة الشامـية) ، ذكرها الذهبي في «وفيات تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٤٣٤) ، فقال في وفيات سنة (٦٤١):

«وفيها مـاتت مُسندةُ الشام أمُّ الفضل ، كريمة بنت المحـدث عبدالوهاب بن علي ابن الخضر، القرشية الزبيدية ، توفيت سنة ٦٤١ عن ٩٥ سنة» انتهى.

نسخها، ولها فهمٌ ونباهة، وما تزوجت قط، وقيل: إنها بلغت المئة، وسمع منها خلق»(١).

ونعتها في «السير» بقوله: «الشيخة العالمة، الفاضلة، المسندة»، وقال: «سمعت من أبي الهيثم الكُشميهني «صحيح البخاري»، وسمعت من زاهر بن أحمد السرخسي، وعبد الله بن يوسف بن بامُويه الأصبهاني» قال: «وكانت إذا روت قابلت بأصلها، ولها فهمٌ ومعرفة مع الخير والتعبد، روت «الصحيح» مرات كثيرة، مرة بقراءة أبي بكر الخطيب في أيام الموسم، وماتت بكرًا لم تتزوج، حدَّث عنها الخطيب، وأبو الغنائم النَّرْسي، وأبو طالب الحسين بن محمد الزينبي، ومحمد بن بركات السعيدي، وعلي بن الحسين الفراء، وعبد الله بن محمد بن صدقة بن الغزال، وأبو القاسم علي بن إبراهيم النسيب، وأبو المظفر منصور بن السمعاني، وآخرون».

قال أبو الغنائم النَّرْسي: «أخرجت كريمة إلي النسخة بـ «الصحيح» فقعدتُ بحذائها، وكتبت سبع أوراق، وقرأتها، وكنت أريد أن

وكريمة الشامية هي التي سَمعَ منها الحافظ أبو شامة المقدي، الوارد اسمُها مجردًا في ترجمته في «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤/ ١٤٦١)، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص ٥٠٧)، وقد غَلِطَ الغلطَ الفاحشَ محققُ هذه «الطبقات» فَسَمَّى في الفهارس فيها (ص ٦٣٨) (كريمة) التي سَمعَ منها أبو شامة (كريمة بنت أحمد المروزية) وهذا خطأ بيِّن، فكريمة المروزية ماتت سنة ٤٦٣هـ، وأبو شامة ولد سنة (٥٩٩)، فأنَّى يسمع ممن ماتت قبله بنحو قرنٍ ونصف؟! من: «العلماء العزاب» (١٢٧ ـ ١٢٨).

(١) «العبر» (٣/ ٢٥٤).

أعارض وحدي ، فقالت: لا حتىٰ تُعارض معي، فعارضت معها ، قال: وقرأت عليها من حديث زاهر».

وقال أبو بكر بن منصور السمعاني : «سمعت الوالد يذكر كريمة ، ويقول: وهل رأىٰ إنسان مثل كريمة»[1]؟!

• امرأة تعرض نفسها على عالم لتخدمه:

قال الحافظ الذهبي في ترجمة أبي نصر السجزي : «هو الحافظ الإمام عَلَم السنة عبيد الله بن سعيد بن حاتم أبو نصر السِّجْزي (المتوفي سنة ٤٤٤) ، من أحفظ أهل زمانه للحديث ، طوَّفَ الآفاق في طلب الحديث.

قال الحافظ أبو إسحاق الحبال: «كنت يومًا عند أبي نصر السجزي؛ فدُق الباب ، فقمت ففتحته، فدخلت امرأة وأخرجت كيسًا فيه ألف دينار، فوضعته بين يدي الشيخ، وقالت: أنفقها كما ترىٰ ، قال: ما المقصود؟ قالت: تتزوجني، ولا حاجة لي في الزواج ، ولكن لأخدمك، فأمرها بأخذ الكيس ، وأن تنصرف.

فلما انصرفت ، قال: «خرجت من سجستان بنية طلب العلم ، ومتىٰ تزوجت سقط عني هذا الاسم ، وما أوثر علىٰ ثواب طلب العلم شيئًا»[2].

---

(١) «السير» (١٨/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) ، وانظر ترجمتها أيضًا في «الكامل» (١٠/ ٦٩) ، و«المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٨٨) ، و«البداية والنهاية» (١٢/ ١٠٥) ، و«شذرات الذهب» (٤/ ٣١٤).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١١٩).

دعاء والد بأن يزوج الله عالمًا من ابنته ووقوع ذلك بعد مضي فترة طويلة من الزمن:

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله تعالى - في ترجمة القاضي أبي بكر محمد بن عبدالباقي البغدادي البزَّاز الأنصاري (ت سنة ٥٣٥ ببغداد) : «قال الشيخ الصالح أبو القاسم الخزَّاز الصوفي البغدادي: سمعتُ القاضي أبا بكر محمد بن عبدالباقي بن محمد البزَّاز الأنصاري يقول:

كنت مجاوراً بمكة حرسها الله تعالى، فأصابني يومًا من الأيام جوعٌ شديد ، لم أجد شيئًا أدفع به عني الجوع، فوجدت كيسًا من إبريسم مشدودًا بِشُرَّابة من إبريسَم أيضًا، فأخذته وجئت به إلى بيتي ، فحللته فوجدتُ فيه عِقدًا من لؤلؤ لم أر مثله.

فخرجت فإذا بشيخ ينادي عليه ، ومعه خرقة فيها خمس مئة دينار، وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ؛ فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به ، وأرد عليه الكيس.

فقلت له: تعالى إليَّ ، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس ، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذي هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه، فسلم إليَّ خمس مئة دينار، فما أخذتها ، وقلت: يجب علي أن أعيده إليك، ولا آخذ له جزاءً ، فقال لي: لابد أن تأخذ وألح علي كثيراً، فلم أقبل ذلك منه ، فتركني ومضى.

وأما ما كان مني ، فإني خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس ، وهلكت أموالهم، وسلمت أنا على قطعةٍ من المركب، فبقيت مدةً في البحر لا أدري أين أذهب، فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليَّ وقال: علمني القرآن، فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال.

ثم إني رأيت في ذلك المسجد أوراقًا من مصحف ، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لي: تحسن تكتب؟ فقلت : نعم، فقالوا: علمنا الخط ، فجاؤا بأولادهم من الصبيان والشباب ، فكنت أعلمهم ، فحصل لي أيضًا من ذلك شيء كثير ، فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة ولها شيء من الدنيا نريد أن تتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لابد وألزموني، فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إليَّ مددت عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا في عنقها، فما كان لي حينئذ شُغل إلا النظر إليه، فقالوا: يا شيخ! كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد ، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم؟ فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت في الدنيا مسلمًا إلا هذا الذي ردَّ عليَّ هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي ، والآن قد حصلت، فبقيت معها مدة، ورُزقت منها بولدين.

ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان ، فحصل العقد لي، فبعته بمئة ألف دينار ، وهذا المال الذي ترونه معي من بقايا ذلك المال»[١].

*** عائلة ابن حجر العسقلاني فيها كثير من طالبات علم الحديث النبوي:**

الحافظ ابن حجر العسقلاني خاتمة أمراء المؤمنين في الحديث ، اسم مشهور عند من له أدنى عناية بالحديث النبوي، وكتابه «فتح الباري» الذي زال به دينًا على الأمة المحمدية من الكتب النافعة الماتعة الجامعة، ويعد ـ بحق ـ شرحًا للكتب الستة ـ الصحيحين ، والسنن الأربعة ـ وقد قيل فيه: «لا هجرة بعد الفتح».

هذا الإمام العَلَم العلامة كانت له عناية فائقة بتدريس زوجاته وبناته الحديث النبوي ، وبرز في عائلته غير واحد ممن أتقنت هذا العلم ، واشتهرت بالرواية ، وإليك بين ذلك بالتفصيل:

ـ أخته ستّ الرَّكب بنت علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلانية[٢] (ت ٧٩٨هـ).

كانت قارئة كاتبة ، أُعجوبة في الذَّكاء ، أثنى عليها ، قال: «كانت أُمي بعد أمي» وذكر شيوخها وإجازتها من مكة ودمشق وبعلبك ومصر، وقال: «تعلمت الخط ، وحفظت الكثير من القرآن ، وأكثرت من مطالعة

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/١٩٦).

(٢) لها ترجمة في «إنباء الغمر» (١/٥١٧) ، و«الجوهر والدرر» (١/ق ١٤ / أ)، و«المجمع المؤسس» (ق ٣٩١ ـ ٣٩٢) ، و«شذرات الذهب» (٦/٣٥٤).

الكتب، فمهرت في ذلك جداً، وكان لها أثر حسن عليه ، قال: «وكانت بي برَّة رفيقة، محسنة». وقد رثاها بقصيدة عند موتها.

وقد ذكر السخاوي تحصيلها وإجازاتها وزواجها وأولادها ، وأفاد أن لها ابنة اسمها موز (ت ٨٥٠هـ) ، أخذت عن خالها ابن حجر، وأخذ عنها السخاوي، ولكنها لم تعمر، وماتت في حياة خالها ، وصلى عليها رحمها الله تعالى.

- زوجته أنس ابنة القاضي كريم الدين عبدالكريم بن عبدالعزيز ناظر الجيش[(١)].

كان الحافظ ابن حجر حريصًا ـ أشد الحرص ـ على نشر العلم بين أهل بيته وأقاربه كحرصه على نشر العلم بين الناس ، ومن بين الذين حرص عليهم زوجته أُنس هذه؛ فقد أسمعها من شيخه حافظ العصر عبدالرحيم العراقي الحديث المسلسل بالأولية، وكذا أسمعها إياه من لفظ العلامة ابن الكويك، وأجازلها باستدعاء عدد من الحفاظ ، منهم: أبو الخير ابن الحافظ العلائي، وأبو هريرة عبدالرحمن ابن الحافظ الذهبي، ولم تكن الاستدعاءات لها لتقتصر على المصريين فقط، بل من الشاميين والمكيين واليمنيين.

وقد لمع نجم أُنس هذه في علم الرواية في حياة زوجها، وكان في

---

(١) لها ترجمة في «إنباء الغمر» (١/ ٣٩٤ ـ ٥١٣)، و«الجواهر والدرر» (ق ٢٨١/ ب).

بعض الأحايين يداعبها بقوله : «قد صرتِ شيخة» ، وكان زوجها يُكِنُّ لها الاحترام الكبير، كما كانت هي عظيمة الرعاية له.

وقد حدثت بحضور زوجها ، وقرأ عليها الفضلاء ، وكانت تحتفل بذلك ، وتكرم الحاضرين ، وقد خرَّج لها السخاوي أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا ، وقرأها عليها بحضور زوجها ، وكانت كثيرة الإمداد للعلامة إبراهيم بن خضر بن أحمد العثماني (ت ٨٥٢ هـ) العلامة المتفنن ، الذي كان يقرأ لها «صحيح البخاري» في رجب وشعبان من كل سنة، وتحتفل يوم الختم بأنواع من الحلوىٰ والفاكهة، ويهرع الصغار والكبار بحضور ذلك اليوم قبيل رمضان بين يدي زوجها الحافظ ، ولما مات الحافظ ابن خضر ، قرأ لها سبطها يوسف بن شاهين ، ولم تُضبط لها هفوة ولا زلَّة.

ـ ابنته زين خاتون (ت ٨٣٣ هـ):

اعتني بها أبوها واستجاز لها في سنة ولادتها (٨٠٢ هـ) وما بعدها، وأسمعها علىٰ شيوخه كالعراقي والهيثمي، وأحضرها علي ابن خطيب داريًا، وتعلمت القراءة والكتابة، وولدت يوسف بن شاهين المعروف بـ (سبط ابن حجر) الذي كانت له عناية بكتب جده ، وكتب من أماليه، وصنف ونسخ كتب ابن حجر.

ولم تظهر لابنته زين خاتون رواية ، ولم تشتهر بذلك لوفاتها شابة

سنة (٨٣٣ هـ) عن نحو ثلاثين سنة، وهي حامل بالطاعون رحمها الله تعالى[١].

ولم تشتهر بنات الحافظ ابن حجر بالرواية، كما اشتهر بها والدهن وأمهن، وذلك بسبب وفاة معظمهن في سن مبكرة في الطاعون[٢]

هؤلاء هن بنات الحافظ ابن حجر ، وهذه هي زوجته؛ فقد كن جميعًا ـ رحمهن الله ـ ممن له عناية بالحديث النبوي، وشارك بعضهن في التدريس والرواية، وذلك بسبب حرص الحافظ عليهن، مع كثرة أشغاله وتعدد مجالسه ونفاسة مؤلفاته ، فلم يجعله ذلك كله مقصِّرًا في تعليم أسرته ، وإرشادها إلى علم الحديث النبوي[٣]

*** زبيدة زوجة هارون الرشيد وابنة عمه:**

كانت عالمة، فقيهة، وذكر ابن خلكان : «أنه كان لها مائة جارية ، كلهن يحفظن القرآن العظيم، غير من قرأ منه ما قدر له وغير من لم يقرأ، وكان يسمع لهن في القصر دوي كدوي النحل، وكان ورد كل واحدة عشر القرآن»[٤]

---

(١) لها ترجمة في «الضوء اللامع» (١٢/ ٥١) ، و«إنباء الغمر» (٨/ ٢١٢).

(٢) راجع : «ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته» (١/ ٩٦ وما بعدها).

(٣) انظر : «عناية النساء بالحديث» (صـ ٧٦ : ١٢٩).

(٤) «البداية والنهاية» (١٠/ ٧١).

* وقاية :

«امرأة عالمة، فقيهة ، كانت بإحدى مدن ليبيا، وكان يلجأ إليها أفاضل العلماء، ويقولون : «تعالوا بنا نستشير وقاية ، فعصابتها خير من علمائنا»[١]

من نساء شنقيط والمغرب العربي:

قال الشيخ عطية سالم حفظه الله:

«فقد رأيت بنفسي وأنا مدرس بالأحساء نسخة لـ «سنن أبي داود» عند آل المبارك ، وعليها تعليق لأخت صلاح الدين الأيوبي ، وذكر صاحب «التراتيب الإدارية» قوله : «وقد ثبت عن كثير من نساء أهل الصحراء الإفريقية خصوصًا شنقيط «سنجط» ، وهي المعروفة الآن بموريتانيا ، وتيتبكتوا ، وقبيلة كنت، العجب حتى جاء الشيخ المختار الكنتي الشهير ختم «مختصر خليل» للرجال، وختمته زوجته في جهة أخرى للنساء»[٢] . اهـ

ومما يؤيد ما ذكره أننا ونحن في مدينة أطار وهي على مقربة من مدينة شنجيط المذكورة، سمعنا من كبار أهلها أنه كان يوجد بها سابقًا مئتا فتاة يحفظن «المدونة» كاملة، وقد سمعت في الآونة الأخيرة أنه توجد امرأة تدرس في المسجد النبوي الحديث والسيرة، واللغة العربية ، وهي شنقيطية»[٣] . اهـ

(١) «حقائق ثابتة في الإسلام» لابن الخطيب (ص ٧٨).

(٢) «تتمة أضواء البيان» (٩/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

(٣) «تتمة أضواء البيان» (٩/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

وقال الأستاذ عبدالله العقيفي:

«وأكثر ما عرف به الممتازات من نساء المغرب الأقصى حفظ القرآن الكريم بقراءاته جميعًا، ورواية الحديث ، ودرس الفقه والأصول ، وما إلى هذه من علوم الدين ، ويذكر أهل ذلك الإقليم ثمانين امرأة من نساء المغرب جمعن إلى النفاذ في ذلك كله حفظ «مدونة الإمام مالك بن أنس ﷺ» ، وهي أكبر المطولات الجامعة في الحديث والفقه»[(١)].

وذكر من النسوة اللاتي تخرجن في العلوم الدينية : «السيدة الشريفة فاطمة الزهراء ابنة السيد محمد بن أحمد الإدريس، تحفظ القرآن الكريم بقراءاته، وتحفظ كثيراً من كتب الفقه والحديث، ولها فوق ذلك صلة وثيقة بالعلوم العصرية، ولم تبارح دار أبيها قط، وتخرجت على أبيها وجدها»[(٢)]

وقد تتلمذ فحول العلماء على بعض النسوة ، عنهن نذكر منهم الإمام محمد بن شهاب الزهري[(٣)]، والإمام مالك بن أنس[(٤)]، والإمام أحمد بن حنبل[(٥)]، والقاضي أبو يعلى الفراء،[(٦)] والإمام أبو سعد

---

(١) «المرأة العربية» (٣/ ١٥٠).

(٢) «تتمة أضواء البيان» (٩/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

(٣) «تهذيب التهذيب» (١١/ ٤٦٦ ، ٤٨٢).

(٤) «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤٦٤).

(٥) «البداية والنهاية» (١/ ٣٢٨).

(٦) مناقب الإمام أحمد بن حنبل (٥٤) ابن الجوزي.

السمعاني،[1] والحافظ ابن عساكر[2]، والحافظ السِّلَعي[3]، والحافظ المنذري، والإمام الذهبي، والإمام ابن القيم، والإمام ابن حجر العسقلاني، وغيرهم،[4] وهذا الذي ذكرناه غيض من فيض، وقطرة من بحر من آثار المرأة الإسلامية في جانب العلم[5]

فإن كان النساء كمن ذكرن
لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب
وما التذكير فخر للهلال

ومما ينبغي أن يعلم أن المرأة حاذت تلك المكانة العلمية الرفيعة ضمن ضوابط شرعية محددة، تهيئ لها المناخ الصالح الذي تأمن فيه الاختلاط بالرجال، وحضور مجالسهم، فكانت تؤدي وظيفة العلم من وراء

---

(١) «التحبير» (٢/ ٣٩٦).

(٢) «معجم الأدباء» (٥/ ٤٠ ـ ٤١)، وانظر القسم المطبوع في «تاريخ دمشق» المجلد الخاص بالنساء، و«عودة الحجاب» (٢/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧).

(٣) «الوافي بالوفيات» (٧/ ٣٥١).

(٤) انظر «عناية النساء بالحديث» (٢١ ـ ٤٧)، فقد أكثر في ذكر أخبار هؤلاء الأعلام مع العالمات المسلمات اللائي أخذوا عنهن.

(٥) انظر «عناية النساء بالحديث» للشيخ مشهور بن حسن، فقد خُصص لذلك وانظر: «عودة الحجاب» (٢/ ٥٦٥ ـ ٥٩٩).

حجاب ، ومـن هنا فلا يجوز لأحد أن يستدل بهذه النماذج الطيبة من «العالمات المسلمات» على «استحلال» ما عليه مجتمعاتنا اليوم من اختلاط فاضح، وتهتك مزرٍ، وتبرج مشين، فهذا لا يمكن أن يقره دين ولا عقل لتعارضه مع نصوص الشريعة الصريحة ، ولمنافاته روحها الرامية إلى سد الذرائع المفضية إلى الفتنة والفساد، ولكن تلك النماذج المشرقة دليل واضح على موقف الإسلام من حق المرأة في التعلم، على أن يتم في حدود ما أحل الله، وعلى أن تراعي طبيعتها وما يناسبها من أنواع العلوم، وعلى أن تصان مما يخدش عقيدتها وآدابها الإسلامية[1]

• • •

---

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٩٩).

المرأة العابدة

اعلمي - أختي المسلمة - أن العلم وسيلة للإيمان بالله - الإيمان الكامل - والعمل الصالح ، والدعوة إلى الله على بصيرة، أما أن يتخذ العلم مطية للتكبر على الخلق والتعالي عليهم، فهذا حجة عليك لا لك، فالعلم يهتف العمل، فإن أجابه ، وإلا ارتحل وهكذا فقهت المرأة المسلمة عن الله أمره، وتدبرت في حقيقة الدنيا، ومصيرها إلى الآخرة ، فاستوحشت من فتنتها، وتجافى جنبها عن مضجعها، وتناءى قلبها من المطامع ، وارتفعت همتها عن السفاسف، فلا تراها إلا صائمة ، قائمة، باكية، والهة، وحفل التاريخ بالخيرات الصالحات اللواتي نهجن طريق الزهد ، عن فرط علم، ورسوخ عقيدة، لا عن حماقة وجهالة، كما تجد في كثير ممن عرض بالنسك ، والتصوف من أشتات البلاد.

وثبت في دواوين الإسلام أخبار وأخبار عن النساء العابدات ، بدءاً من صدر العهد النبوي إلى ما تلاه من القرون[١].

ونبدأ بذكر صلاتهن ، وقيامهن لله عز وجل :

◆ مريم البتول رضي الله عنها رمز للتجرد لله تعالى :

كملت فلم يكن للشيطان فيها نصيب منذ حَمْل أمها بها ، وهي

---

(١) «عودة الحجاب» (صـ ٦٠٠).

كذلك مثل للتجرد لله والإيمان الكامل ، والطاعة المطلقة، قال تعالى : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)﴾ [التحريم: ١٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان ، فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه**»[(١)] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه، إلا مريم وابنها**»[(٢)] ﷺ، فتقبلها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا.

ولله درها حين يقول ربها عنها : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وفي تعين محلها بالمحراب ما يشير إلى معنى كمال عبادتها.

وقد أمرها الله عز وجل بالصلاة ، والقنوت له سبحانه ، فقال عز وجل : ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

[آل عمران: ٤٣]

فكانت خير من أجاب ، وأفضل من استقام على أمر الله عز وجل فأكرمها ربها بالتطهير والاصطفاء على نساء العالمين.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٠) ، ومسلم (٢٣٦٦).

(٢) رواه مسلم (طرف حديث ٢٣٦٦).

* **أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما :**

فهي المرأة العابدة الخاشعة القانتة الصائمة القائمة لله عز وجل.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«قال جبريل: راجع حفصة؛ فإنها صوامة قوامة»**(١)

وعن نافع قال: ماتت حفصة حتى ما تفطر.

وأي شهادة أعظم من شهادة المولى عز وجل، وجبريل لابنة الفاروق بأنها صوامة قوامة.

انظر - رحمك الله - كيف كان تهجد حفصة رضي الله عنها وصيامها سببًا لإبقائها زوجًا لرسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، وكيف لا تكون قوامة، وهي بنت أبيها، ولله در من قال :

وهل ينبت الخطي إلا وشيجة ... ويزرع إلا في منابته النخل»(٢)

* **أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها:**

المرأة العابدة الصوامة البارة المتصدقة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: **«ما هذا الحبل؟»** قالوا: حبل زينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ : **«لا ... حلّوه، ليصب أحدكم**

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٥٨/٨)، والحاكم، والحديث حسن بشواهده، انظر : «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (صـ ٥٦٠)، و«صحيح الجامع» (٤٢٢٧).

(٢) «صلاح الأمة في علو الهمة» (١٥٧/٧)، و«رهبان الليل» (٤٩١/٢).

نشاطه ، فإذا فتر فليقعد»[١]

وهي المرأة التي كانت تسامي عائشة عند النبي ﷺ في المنزلة، والتي زوجها الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات لرسول الله ﷺ .

عن أنس قال جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك» قال أنس : لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا؛ لكتم هذه ، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات[٢]

«وها نحن نذكر بعض النسوة اللاتي اشتهرن بقيام الليل ، وكثرة الصلاة ، والتعبد لله عز وجل»[٣]

وقد نرى بعض المبالغة في التعبد من بعض النسوة ، وما ذكرته إلا من باب رفع الهمة ، وتقوية العزيمة، حتى نصل إلى الوسطية في العبادة دون إفراط ، ولا تفريط، فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ ، وهو الذي قال لهؤلاء الرهط الذين تقالوا عبادة النبي ﷺ ، عندما قال أحدهم: أما أنا أصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبدًا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني**

---

(١) رواه البخاري (١١٥٠).

(٢) رواه البخاري (٧٤٢٠).

(٣) وأكثر ما ذكرت من هؤلاء النسوة من كتاب «رهبان الليل» (٢/ ٤٩٢ ـ ٥١٥) ، و«عودة الحجاب» (٢ / ٦٠٦ ـ ٦٢٧) .

أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١] فيستحب لك أيتها المسلمة أن تتدرجي في العبادة شيئًا فشيئًا، وتداومي على هذا القليل ، فإن أفضل الأعمال أدومه وإن قلَّ، فتبدئي بأن تصلي الوتر ، ثم تزيدي ركعتين ، ثم تزيدي ركعتين آخرتين، وهكذا ، فكلما قوي الإيمان، وتعود الإنسان على الجلد والصبر؛ كان الأمر سهلاً يسيرًا ، كما قال بعض السلف : عانيت قيام الليل عشرين سنة ، وتمتعت به عشرين آخرين.

* قيام أم الصهباء معاذة بنت عبدالله العدوية :

زوجة صلة بن أشيم ، كانت رحمها الله تلميذة لعائشة رضي الله عنها فبوركت بصحبتها لأم المؤمنين:

كانت رحمها الله تصلي الليل الطويل ؛ فكانت تكلُّ الرجال وهي لا تكل[٢]

لما أهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام، ثم أدخله بيتًا مطيبًا، فقام يصلي حتى أصبح، وفعلت معاذة كذلك ، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله ، فقال له: إنك أدخلتني بيتًا أذكرتني به النار، ثم أدخلتني بيتًا أذكرتني به الجنة ، فمازالت فكرتي فيهما حتى أصبحت[٣]

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣).

(٢) «تنبيه المغترين» (ص ١١٧).

(٣) «التخويف من النار» لابن رجب الحنبلي (ص٢٣).

رحمكم الله أهل بيت علت بهم هممهم... أي كلام يترجم فعلهم... امرأة تحيي الليل كله ليلة بنائها... فما بال النسوة في زماننا هذا جهلن ما علمته الأوّاهة التقية معاذة، بل ما بال الرجال في قرننا العشرين.

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

كانت رحمها الله إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسي، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها، فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم(١)

وكانت رحمها الله تحيي الليل صلاةً فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول: «يا نفس! النوم أمامك، لو قدمت لطالت رقدتك في القبور على حسرة أو سرور»، وكانت تقول: «عجبت لعين تنام، وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور».

وقالت لابنة لها من الرضاع: «يا بنية كوني من لقاء الله على حذر ورجاء، وإني رأيت الراجي له محفوفًا بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه، ورأيت لخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين» ثم بكت حتى غلبها البكاء.

وإن تعجب من حالها وتقواها، فما تقول في خبرها هذا الذي يرويه ثابت البناني يوم أن بلغها نبأ استشهاد زوجها وابنها . فأتت النساء

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٢٢)، «مختصر قيام الليل» (صـ ٢٦).

يواسينها في مصابها. «اجتمعت النساء عند معاذة فقالت: مرحبًا، إن كنتنّ جئتن لتهنئتي فمرحبًا بكنّ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن».

يا لجلال الموقف.. أي صنف من النساء أنت منهن أيتها التقية؟!

لا عجب - يا أخي - فقد بوركت عابدتنا بالسهر والتهجد، ولقاء أم المؤمنين عائشة، والرواية عنها، فسمت إلى هذا الموقف الذي يعجز عنه الرجال.

ولما مات زوجها شهيدًا، لم توسد فراشًا بعده كما قال الحسن.

وقالت لابنتها من الرضاعة: «والله يا بنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش، ولا لروح نسيم، ولكن والله أحب البقاء لأقرب إلى ربي عز وجل بالوسائل؛ لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة».

كفى حزنًا أن لا أعاين بقعة
من الأرض إلا ازددت شوقًا إليكمُ
وأني متى ما طاب لي خفض عيشة
تذكرت أيامًا مضت لي لديكمُ

وقالت عفيرة العابدة عنها: «لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت، فقيل لها مِمَّ بكيت، ثم ضحكت؟ فممَّ البكاء، ومِمَّ الضحك؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم: فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك، وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي، فإني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار، وعليه حُلتان خضراوان في نفر

لله ما رأيت لهم في الدنيا شبهًا، فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضًا، قالت: فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة»(١).

*** حفصة بنت سيرين: أم الهذيل رحمها الله:**

كانت رحمها الله تسرج سراجها من الليل، ثم تقوم في مصلاها، فربما طفئ السراج فيضئ لها البيت حتى تصبح، ومكثت في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو قائلة: وكانت تدخل مسجدها فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار فتركع، ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونومها.

وكانت رحمها الله تقول: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني والله ما رأيت العمل إلا في الشباب.

وقرأت رحمها الله القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة، وكان ابن سيرين إذا أشكل عليه من القرآن شيء قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأه.

كان الهذيل ابنها يجمع الحطب في الصيف فيكسره، ويأخذ القصب فيفلقه، فإذا وجدت حفصة أمه بردًا في الشتاء جاء بالكانون فوضعه خلفها، وهي في مصلاها، ثم يقعد فيقد بذلك الحطب والقصب وقودًا لا يؤذيها دخانه، ويدفئها فمكث كذلك ما شاء الله، قالت حفصة: وعنده ما يكفيه لو أراد، قالت: فربما أردت أن أنصرف إليه فأقول: يا بني ارجع إلى أهلك، ثم أذكر ما يريد فأدعه، قالت:

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٢٢ ـ ٢٤).

فلما مات رزقني الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزقني، غير أني كنت أجد غصة [١] لا تذهب فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل ، إذ أتيت على هذه الآية : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾ [النحل: ٩٥ ـ ٩٦]. فأعدتها فأذهب الله عني ما أجد[٢]

وعن هشام بن حسان قال: اشترت حفصة جارية سِنْدية فقيل لها: كيف رأيت مولاتك؟ فذكرت كلامًا بالفارسية معناه: إنها امرأة صالحة، إلا أنها أذنبت ذنبًا عظيمًا ، فهي الليل كله تبكي وتصلي.

وقال عبدالكريم بن معاوية: ذُكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة ، وكانت تصوم الدهر ، وتفطر أيام العيدين والتشريق[٣]

عن عاصم بن الأحول: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين ، وقد جعلت الجلباب هكذا ، وتنقبت به فنقول لها: رحمك الله ، قال الله تعالى : ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة﴾ وهو الجلباب، قال: فتقول لنا: أي

---

(١) حزن.

(٢) «مختصر قيام الليل» (صـ ١٩) ، «صفة الصفوة» (جـ٤ صـ ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦).

(٣) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٢٦).

شيء بعد ذلك؟ فنقول : ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾، فتقول: هو إثبات الجلباب[١]

وكانت رحمها الله راوية للحديث.

*** قيام أم الدرداء ـ الصغرى ـ جُهيْمة ـ بنت حُيَي الأوصابية رحمها الله:**

كانت رحمها الله إذا حدثت بحديث عن زوجها قالت: حدثني سيدي ـ يعني أبا الدرداء.

عن يونس بن ميسرة قال: كنا نحضر أم الدرداء وتحضرها نساء متعبدات يقمن الليل كله حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام[٢]

عن جبير بن نفير ، عن أم الدرداء : أنها قالت لأبي الدرداء: إنك خطبتني إلى أبويّ في الدنيا فأنكحوني ، وإني أخطبك إلى نفسك في الآخرة، قال: فلا تنكحي بعدي، فخطبها معاوية فأخبرته بالذي كان، فقال: عليك بالصيام[٣]

وفي رواية أخرى : ولست أريد بأبي الدرداء بدلاً[٤]

*** قيام ابنة أم حسان الأسدية رحمها الله:**

عن سفيان الثوري قال: دخلت عليّ بنت أم حسان الأسدية ، وفي جبهتها مثل ركبة العنز من أثر السجود ، وليس به خفاء.

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ٤ صـ ٢٤).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ٤ صـ ٢٩٦ ـ ٢٩٧).

(٣) «تهذيب التهذيب» (جـ ٢ صـ ٤٦٦).

(٤) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٢٩٦).

قال سفيان: وكان إذا جنّ عليها الليل دخلت محرابًا لها ، وأغلقت عليها ، ثم نادت : إلهي ! خلا كل حبيب بحبيبه، وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سجن تسجن به من عصاك إلا جهنم، ولا عذاب إلا النار(١) .

*** قيام رابعة العدوية رحمها الله:**

ومن هؤلاء الناسكات رابعة العدوية البصرية، وكانت مضرب المثل في تَدَلُّه القلب ، واحتراق الكبد حبًّا لله وإيثارًا لرضاه، وكانت تواصل صيامها وقيامها ، وتتابع زفراتها ، وتدفق عبراتها، تستقل كل ذلك في جنب الله، قال يومًا شيخ الزهاد سفيان الثوري ، وهو عندها : «واحزناه» فقالت: «لا تكذب! بل قل : واقلة حزناه، ولو كنت محزونًا لم يتهيأ لك أن تتنفس».

قالت عنها أشبه الناس بها في نسكها وعبادتها خادمتها عبدة بنت أبي شوال ، وكانت من خيار إماء الله : «كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر ، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك ـ وهي فزعة ـ يا نفس! كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور»(٢).

قالت عبدة: وكان هذا دأبها أمد دهرها ، حتى ماتت ، ولما

---

(١) «حلية الأولياء» (جـ ٧ صـ ٩).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٢٩ ـ ٣٠).

حضـرتها الوفاة ، دعـتني، وقالت: «يا عبـدة ! لا تؤذني بموتي أحدًا ، وكفنيني في جبتي هذه» ، وهي جبة من شـعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قال ابن كثير رحمه الله: «وقد ذكروا لها أحـوالاً وأعمالاً صالحة، وصيام نهـار ، وقيام ليل، ورؤيت لها منامـات صالحة ، فالله أعلم» ، وقال أيضًا: «وأثنى عليها أكثر الناس ، وتكلم فيها أبو داود السجستاني، واتهمها بالزندقة ، فلعله بلغه عنها أمر»[1].

*** قيام عجردة العمية رحمها الله:**

قال رجـاء بن مسلم العـبدي : كنا نكون عند عجـردة العَمِـية في الدار، فكانت تحـيي الليل صـلاة ، وربما قال: نقـوم من أول الليل إلى السحر، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون:

«إليك قطع العابدون دجى الليالي بتكبير الدلج إلى ظُلَمِ الأسحار، يستبقون إلى رحمتك ، وفضل مغفرتك، فبك إلـهي لا بغيرك أسألك أن تجـعلني فـي أول زمـرة السـابقين إليك، وأن ترفـعنـي إليك في درجـة المقربين، وأن تلحـقني بعبادك الصالحين ، فأنـت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحمـاء، وأعظم العظماء، يا كـريم» ثم تخر ساجـدة ، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها؛ حتى يطلع الفجر فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/١٨٦ ـ ١٨٧) ، وانظر : «عودة الحجاب» للشيخ محمد بن إسماعيل (جـ٢ صـ ٣٠٢ ، ٣٠٣).

وحدثت آمنة بنت يَعْلى بن سُهيل قالت: كانت عجردة العمية تغشانا فتظل عندنا اليوم واليومين، قالت: فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها ، وتقنعت ، ثم قامت إلى المحراب ، فلا تزال تصلي إلى السحر، ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر ، فقلت لها: ـ أو قال لها بعض الدار ـ لو نمت من الليل شيئًا، فبكت وقالت: ذكر الموت لا يدعني أنام[1] .

*** قيام حبيبة العدوية رحمها الله:**

قال عبدالله المكي أبو محمد : كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها ، فقالت: «إلـٰهي غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل خبيب بحبيبه ، وهذا مقامي بين يديك».

ثم تقبل على صلاتها ، فإذا كان السحر قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري ، هل قبلت مني ليلتي فَأُهَنَّى، أم رددتها عليّ فَأُعَزَّى، فوعزتك لهذا دأبي ودأبك أبدًا ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني ما بَرحت عن بابك، ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك»[2] .

وكانت تقول : «اللهم اغفر لي سوء أدبي في صلاتي»[3] .

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٣١).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٣٢).

(٣) «تنبيه المغترين» (صـ ١١٦).

• قيام عفيرة الليل:

قيل لها : إنك لا تنامين بالليل فبكت ، ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو يقدر على النوم من لا ينام حافظاه عنه ليلاً ولا نهاراً[1] .

وكانت رحـمها الله لا تضع جنبها إلى الأرض في ليل ، وتقول: أخاف أن أؤخذ على غرة ، وأنا نائمة، وكانت لا تمل من البكاء ، فقيل لها: أما تسأمين من كثرة البكـاء ؟ فقالت: كيف يسـأم إنسان من دوائه وشفائه[2] .

وكانت تقول في مناجاتها : «عـصيـتك بكل جارحـة مني على حدتها، والله لئن أعنت لأعطينَّك مـا استطعتُ بكل جـارحة عصيتك بها»[3] .

وقدم ابن أخ لها طالت غيبته فبُشرت به: فبكت ، فـقيل لها: ما هذا البكاء؟ اليوم يوم فرح وسـرور، فازدادت بكاءً ، ثم قالت: والله ما أجد للسـرور في قلبي مسكنًا مع ذكر الآخـرة، ولقد ذكرني قـدومه يوم القدوم على الله فَمِنْ بين مسرور ومثبور»[3] .

ودخل عليـها قـوم فقـالوا: ادعي الله لنا ، فـقالت: «لو خـرس الخطاءون مـا تكلمت عـجوزكم، ولـكن المحسن أمـر المسيء بالدعـاء،

---

(١) «مختصر قيام الليل» (صـ ٢٩).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ٤ صـ ٣٤) ، «تنبيه المغترين» (صـ ١١٦).

(٣) «صفة الصفوة» (جـ ▮ صـ ٣٤).

جعل الله قراكم من نبق الجنة، وجعل الموت مني ومنكم على بال، وحفظ علينا الإيمان إلى الممات ، وهو أرحم الراحمين»[١] .

▪ عمرة امرأة حبيب العجمي:

انتبهت ليلة وزوجها نائم فأنبهته في السحر وقالت له: قم يا سيدي فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد ، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارتْ قدّامنا ونحن قد بقينا[٢] .

▪ جارية خالد الورّاق:

قال خالد الوراق : كانت لي جارية شديدة الاجتهاد فدخلت عليها يومًا فأخبرتها برفق الله ، وقبوله يسير العمل، فبكت ، ثم قالت: يا خالد! إني لأؤمل من الله تعالى آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها ، كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثًا لكل مذنب، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟ قال: قلت: وما حسرة السباق؟ قالت: «غداة الحشر ، إذا بعثر ما في القبور، وركب الأبرار نجائب الأعمال ، فاستبقوا إلى الصراط، وعزة سيدي! لا يسبق مقصر مجتهدًا أبدًا، ولوْ حبا المجدُّ حَبْوًا ، أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون، وقد رفعت أعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون ، ووصل إلى الله المحبون، وخلفت مع المسيئين المذنبين؟؟ ثم بكت[٣] .

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٣٣) ، و«مختصر قيام الليل» (صـ ٢٩).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٣٥).

(٣) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٤٦ ـ ٤٧).

انظر - يا أخي - إن أريج العبادة ورائحة الظمأ والسهر لتبدو من هذا الكلام .

• شعوانة رحمها الله:

كانت تترنم بهذين البيتين:

أذري جفونك إمَّا كنت شاجية
إن النياحة قد تشفي الحزينينا
جدي وقومي وصومي الدهر دائبة
فإنما الدوب من فعل المطيعينا

وكانت تقول : أنبت لكل داءٍ دواءً في الجبال ، ودواء المحبين في الجبال لم ينبت.

ولقد بكت حتى خافوا عليها العمى، فقالوا لها في ذلك، فقالت: «أعمى والله في الدنيا من البكاء أحب إليّ من أن أعمى في الآخرة من النار» .

وكانت تقول : من استطاع منكم أن يبكي ، وإلا فليرحم الباكي، فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسه.

وكانت تقول: وددت أني أبكي حتى تنفد دموعي ، ثم أبكي الدماء، حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم، وأنىَّ لي البكاء ، فلم تزل تردد «وأنىَّ لي البكاء»(١) حتى غشي عليها.

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٥٥ ـ ٥٦).

▪ ريحانة رحمها الله:

كانت تقوم أول الليل وتقول:

قـــام المحب إلى المؤمل قــومـــةً
كـــاد الفـــؤاد من الســـرور يطيـــرُ

وفي جوف الليل تقول:

لا تَســـأنسن بمن تـوحـــشك نـظرته
فـتـــمنعن من الـتـذكـار فـي الظلم
واجهد وكـد وكن في الليل ذا شجن
يسـقـيك كـأس وداد العـز والكرم

ثم نادت: واحرباه واسلباه، فقيل لها: ممّ ذا؟ قالت:

ذهب الـظلام بأنـســـه وبألفـــه
ليت الـظلام بأنســـه يتـــجـــدد[1]

• منيفة بنت أبي طارق:

وكانت بالبحرين، وكانت رحمها الله إذا هجم عليها الليل قالت: «بخ بخ يا نفسُ قد جاء سرور المؤمن، فتقـوم في محرابها فكأنها الجذع القائم حتى تصبح، وعن أم عمار بنت مليك البحراني قالت: بت ليلة عند منيفـــة ابنة أبي طارق فـمـا زادت على هذه الآية تـرددها وتبكي:

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ٤ صـ ٥٧).

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١)﴾ [آل عمران : ١٠١][(١)].

• قيام بردة الصريمية وبكاؤها رحمها الله:

كانت بالبصرة، وكانت تقوم الليل، فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت لها حزين، هدأت العيون، وغارت النجوم، وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوت بك يا محبوبي ، أفتراك تعذبني وحبك في قلبي؟ لا تفعل يا حبيباه[(٢)].

وكانت تقول: ربما سمعت القرآن فأرىٰ مُلك بني مروان قد حوي لي.

وكانت تبكي حتىٰ يرحمها من رآها، ولقد بكت حتىٰ ذهب بصرها فلاموها علىٰ ذلك فقالت: لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم : إن هذا البكاء كاللعب[(٣)].

وكانت تقول للحسن : يا أبا سعيد ! إن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله بصراً خيراً من بصري، وإن أكن من أهل النار ، فأبعد الله بصري.

وكانت إذا قيل لها : كيف أصبحت؟ تقول: «أصبحنا أضيافًا منتجعة بأرض غربة ننتظر إجابة الداعي».

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٧٣ ـ ٧٤).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٣٦).

(٣) «تنبيه المغترين» (صـ ١١٦).

• أم طلق رحمها الله:

أما أم طلق ، فكانت تكثر التهجد ، وتقول: ما ملكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطانًا، وكانت تقول لابنها طلق: ما أحسن صوتك بالقرآن ، فليته لا يكون عليك وبالاً يوم القيامة»[1].

• أم حيان السلمية رحمها الله:

قال أبو خلدة : ما رأيت رجلاً قط ولا امرأة أقوى ولا أصبر على طول القيام من أم حيان السليمة، إن كانت لتقوم في مسجد الحي كأنها نخلة تصفقها الرياح يمينًا وشمالاً[2].

وكانت تقرأ القرآن في يوم وليلة.

• حسنة العابدة:

كانت رحمها الله جميلة ، ولقد تركت نعيم الدنيا، وأقبلت على العبادة ، فكانت تصوم النهار ، وتحيي الليل، وليس في بيتها شيء.

قالت لها امرأة : تزوجي ، فقالت: هات رجلاً زاهدًا لا يكلفني من أمر الدنيا شيئًا ، ولا أظنك تقدرين عليه، فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا ، ولا أتنعم مع رجال الدنيا، فإن وجدت رجلاً يبكي ويُبكيني ، ويصوم ويأمرني ، ويتصدق ، ويحضني عليها ، فبها ونعمت ، وإلا فعلى الرجال السلام[3]، رحمها الله ، أي أنها لا ترغب إلا في الزواج مِمَّن يَمَّمَ وجهه صوب الدار الآخرة.

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٣٧).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٣٨).

(٣) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٣٩ ـ ٤٠).

▪ زجلة العابدة مولاة معاوية رحمها الله:

عن سعيد بن عبدالعزيز قال: ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة.

دخل عليها نفر من القراء فكلموها في الرفق بنفسها ، فقالت: ما لي وللرفق بها؟ فإنما هي أيامٌ مبادرة، فمنْ فاته اليوم شيء لم يدركه غدًا، والله يا إخوتاه لأصلين ما أقلتني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت الماء عيناي، ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمرٍ فيحب أن يقصر فيه؟

ولقد قامت رحمها الله حتى أقعدت ، وصامت رحمها الله حتى اسودّت، وبكت حتى عمشت، وكانت تقول: «علمي بنفسي قرح فؤادي، وكلم قلبي، والله لوددت أن الله لم يخلقني ، ولم أك شيئًا مذكورا»[1]، وكانت رحمها الله تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين في سبيل الله.

• غصنة وعالية رحمهما الله:

وكانتا من عابدات البصرة.

قال أبو الوليد العبدي: ربما رأيت غصنة وعالية تقوم إحداهما من الليل فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف في ركعة[2].

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٤٠ ـ ٤١).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٤١).

■ **غنضكة رحمها الله:**

وهي من عابدات البصرة، وكانت تصلي عامة الليل ، ثم تقول: «أعوذ بالله من ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون» ، فإذا قضت صلاتها قالت: هذا الجهد مني وعليك التكلان[١].

● **امرأة أبي عمران الجوني رحمها الله:**

من عابدات البصرة، كانت رحمها الله تقوم من الليل تصلي حتى تعصب ساقيها بالخرق ، فيقول لها أبو عمران الجوني: دون هذا يا هذه، فتقول: «هذا عند طول القيام في الموقف قليل» ، فيسكت عنها[٢].

■ **جارية عبد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة رحمها الله:**

قال عبيد الله بن الحسن العنبري : كانت عندي جارية أعجمية ، وضيئة ، وكنتُ بها معجبًا، فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبي، فانتبهت، فلم أجدها ، فالتمستها فإذا هي ساجدة تقول: بحبك لي اغفر لي، فقلت: يا جارية لا تقولي بحبك لي ، قولي : بحبي لك اغفر لي[٣]، فقالت: يا بطال، حُبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام ، فأيقظ عيني، وأنام عينك، فقلت : اذهبي فأنت حرة لوجه الله، فقالت: يا مولاي! أسأت إليّ، كان لي أجران ، فصار لي أجر واحد[٤].

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٤٣).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٤٣).

(٣) دلها على التوسل المشروع ، وهو التوسل بالعمل الصالح ، وترك غيره.

(٤) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٤٦).

• الماوردية رحمها الله :

من عابدات البصرة، كانت عـجوزًا تكتب وتقرأ . وتعظ النسوان، ولم تأكل خبزًا ، ولا رُطبًا ، ولا تمرًا، وإنما تطحن لها باقِلا ، وتخبزها لها خـبزًا تقتات به، وتأكل التين الـيابس دون الرطب، وتنال من الزيت والعنب واللحم الشيء اليسير، وظلت خمسين سنة لا تنام من ليلها.

• عابدة وأيتامها :

وانظر أخي إلى أثر التهجد والعـبادة ، وكيف أنها تورث الزهد في الدنيا والقناعـة والرضا عن الله عـز وجل، قال حمـاد بن سلمة : «ألحّ المطر علينا سنة من السنين ، وفي جواري امرأة من المتـعبدات، لها بنات أيتام ، فـوكف السقف عليهن ، فـسمعـتها تقـول: يا رفيق! ارفق بي، فسكن المطر، فـأخذت صرة فيـها عشـرة دنانير وقرعت بابها، فـقالت: اجعله حـماد بن سلمة، فقلت: أنا حـماد، سمعـتك وقد تأذيت بالمطر فقلت: يا رفيق ارفق بنا، فما بـلغ من رفقه؟ قالت: سكن المطر . وأدفأ الصبيان، وجفّ البيت، قال: فـأخرجت الدنانير ، وقلت: انتفعي بها، فخرجت صـبية عليها مدرعـة من صوف تستبين خروقـها ، وقالت: ألا تسكت يا حماد، تـعترض بيننا وبين ربنا مولانا؟ ثم قـالت: يا أماه! قد علمنا أنا لما شكونا مولانـا أنه سيبعث إلينا بالدنـيا ليطردنا عن باباه، ثم ألصقت خدها بالتراب ، ثم قـالت: أما أنا! وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتني.

ثم قالت: يا حماد رُد عافاك الله دنانيرك إلى الموضع الذي أخرجتها

منه ، فإنا رفعنا حوائجنا إلى مَنْ يقبل الوَدائع ولا يبخس المعاملين»(١)

• عابدة من البصرة:

كانت تقول:

زهد الزاهدونا والعابدونا
إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين القريحة فيه
فمضى ليلهم وهم ساهرونا
حيرتهم محبة الله حتى
علم الناس أن فيهم جنونا
همْ ألِبَّا ذوو عقولٍ ولكن
قد شجاهم جميع ما يعرفونا(٢)

• ماجدة القرشية:

وهي عابدة من قريش ، وكانت تسكن البحرين ، وكانت تقول رحمها الله :

لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضا الرحمن، إلا بتعب الأبدان لله، والقيام لله بحقه في المنشط والمكره.

وكانت تقول : كفى المؤمنين طول اهتمامهم بالمعاد شغلاً.

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٥٠).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ [redacted] ص ٥١).

وتقول : طوى أملي طلوع الشمس وغروبها ، فما من حركة تسمع، ولا من قدم توضع ، إلا ظننت أن الموت في أثرها.

وكانت تقول : «سكان دار أوذنوا بالنقلة ، وهم حيارى يركضون في المهلة ، كأن المراد غيرهم، أو التأذين ليس لهم ، والمعني بالأمر سواهم ... آه من عقول ما أنقصها ، ومن جهالة ما أتمها ، بؤسًا لأهل المعاصي ... ماذا غُروا به من الإمهال والاستدراج.

وتقول : بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم ، ولو نصبوا الآجال وطووا الآمال، خفت عليهم الأعمال»[١].

• لبابة العابدة ببيت المقدس رحمها الله:

قالت رحمها الله :. مازلت مجتهدة في العبادة حتى صرت أستروح بها ، وإذا تعبت من لقاء الخلق آنسني بذكره، وإذا أعياني الخلق روحني التفرغ لعبادة الله عز وجل والقيام إلى خدمته[٢].

• فاطمة بنت عبد الرحمن بن عبد الغفار الحراني رحمها الله:

وكانت من المصطفيات العبادات في مصر ، وما كانت تنام إلا في مصلاها فوق ستين سنة[٣].

• منيرة السدوسية :

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٧٤).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٢٥١).

(٣) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٣٣١).

وكانت من عابدات العرب ، وأهل البـادية، وكانت تقول ـ إذا جاء الليل ـ : قد جاء الهول ، قد جاءت الظلمـة، قد جاء الخوف ، ما أشبه هذا بيوم القيامة . ثم تقوم فلا تزال تصلي حتى تصبح[١] .

• هُنيدة رحمها الله :

وكـانت عابدة من أهل البـادية ، كـانت تقوم إذا مضي من الليل ثلثه، أو نصفه ، فتوقظ ولدها وزوجها ، وخدمها ، فتقول لهم : قوموا فتوضؤوا ، وصلوا، فستغتبطون بكلامي هذا ، فكان هذا دأبهـا حتى ماتت، فرأى زوجها في منامه : إن كنت تحب أن تَزَوَّجها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات فأتى أكبر ولده في منامه فقيل له: إن كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتيهما من الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما، قال: فلم يزل دأبه حتى مات، فكانوا يُدعون «القوامين»[٢] .

●●●

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٣٨٨).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٣٩١).

عابدات الشام

• البيضاء بنت المفضل:

سألتها أسماء الرملية ، وكانت عابدة : يا أختي ! هل للمحب لله دلائل يعرف بها؟ قالت: يا أختي! والمحب للسيد يخفى! لو جهد المحب للسيد أن يخفي ما خفي ، قالت: صفيه لي؟ قالت: «لو رأيت المحب لله عز وجل لرأيت عجبًا عجيبًا من واله ما يقر على الأرض ، طائر مستوحش، أُنسه في الوحدة ، قد منع الراحة طعامه الحب عند الجوع، وشربه الحب عند الظمأ؟ لا يمل من طول الخدمة لله تعالى»(١) .

• أم هارون:

قالت رحمها الله : قد أنزلت الدنيا منزلتها ، وكانت تقول : بأبي الليلُ ما أطيبه ، إني لأغتم بالنهار حتى يجئ الليل، فإذا جاء الليل قمت أوله ، فإذا جاء السحر دخل الروح قلبي(٢) .

• رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري رحمها الله:

قال أحمد : قلت لرابعة ـ وقد قامت بليل ـ : قد رأينا أبا سليمان وتعبدنا معه، ما رأينا من يقوم من أول الليل ، فقالت: سبحان الله مثلك يتكلم بهذا؟ إنما أقوم إذا نوديت ، قال: وجلست آكل وجعلت تذكرني، فقلت لها : دَعينا يهنينا طعامنا ، قالت: ليس أنا وأنت مِمَّن يتنغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة.

قال زوجها ريحانة الشام : ربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٣٥٠).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٣٠٣).

قلبي على رؤيتها ما لا يتحرك مع مذاكرتي أصحابنا من أثر العبادة.

وقالت لي: لست أحبك حب الأزواج... إنما أحبك حب الإخوان، وإنما رغبت فيك رغبة في خدمتك، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل ملكي ومالي مثلك ومثل إخوانك، قال أحمد: وكان لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها علي، فكانت إذا طبخت قدرًا قالت: كلها يا سيدي، فما نضجت إلا بالتسبيح، وقالت لي: لست أستحل أن أمنعك نفسي[1] وغيري، اذهب فتزوج، قال: فتزوجت ثلاثًا، وكانت تطعمني اللحم وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك.

وكانت رحمها الله تقول: «ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف، ولا رأيت جرادًا إلا ذكرت الحشر»[2] يا سبحان الله: امرأة تزوج زوجها من مالها ثلاث من النسوة، ولا تقوم إلا إذا نوديت.

لا تقعدان لذكرنا في ذكرهم
ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

• امرأة الهيثم بن جماز:

قال الهيثم: «كانت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها

---

(١) لا يفهم من هذا الكلام عصيانها لزوجها، فهذا ليس من حسن الظن بزوجة تلميذ أحمد بن حنبل، ومعنى كلامها والله أعلم «شعورها بتقصيرها في حق زوجها أو خوفها من أن تكون مقصرة في حقه، فزوجته عليها من مالها ثلاث من النسوة... والله أعلم».

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٣٠٢).

على السهر، فكنت إذا نعست ترش عليّ الماء في أثقل ما أكون من النوم وتنبهني برجلها وتقول: أما تستحي من الله؟! إلى كم هذا الغطيط فوالله إن كنت لأستحي مما تصنع.

• جوهرة العابدة البراثية زوج أبي عبدالله البراثي رحمها الله:

قال زوجها: كانت جوهرة تنبهني من الليل وتقول: يا أبا عبدالله! قد سارت القافلة.

ورأت في منامها خيامًا مضروبة فقالت: لمن ضُربت هذه الخيام؟ فقيل: للمجتهدين بالقرآن، فكانت بعد ذلك لا تنام(١).

• فاطمة بنت بزيع امرأة أبي عثمان:

عن رباح بن الجراح قال: رأيت فاطمة بنت بزيع امرأة أبي عثمان، وكانت من العابدات، وكانت تصلي أكثر الليل، ما كنت أنتبه من الليل فأفقد صوتها في القراءة والصلاة حتى تصلي الصبح بوضوء العتمة(٢).

عابدة:

تزوجت عابدة من العابدات رجلاً فرأته نائمًا طوال الليل، توقظه عدة مرات في الليل فيتناعس هو ليرى عبادتها، فقالت له: «مضي الليل، وعسكر المحسنون، وأنت نائم» ليت شعري مَنْ غرني بك؟

قال أبو يوسف البزاز: تزوج رياح القيسي امرأة فبنى بها، فلما أصبحت قامت إلى عجينها فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا،

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٢ ص ٥٢١).

(٢) «الزهد الكبير» للبيهقي (ص٣١٨).

فقالت: إنما تزوجت رياحًا القيسي، ولم أرني تزوجت جبارًا عنيدًا، فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل، ثم نادته، قم يا رياح، فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته، فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، فلم يقم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقالت: مضى الليل، وعسكر المحسنون، وأنت نائم! ليت شعري مَنْ غرني بك يا رياح؟

قال: وقامت الربع الباقي.

قال رياح: ذُكرت لي امرأة فتزوجتها، فكانت إذا صلت العشاء الآخر، تطيبت وتدخنت، ولبست ثيابها، ثم تأتيني فتقول: ألك حاجة؟ فإن قلت نعم، كانت معي، وإن قلت لا، قامت فنزعت ثيابها، ثم صفت بين قدميها حتى تصبح[1].

رياح بن عمرو القيسي، وهو من العباد يستصغر نفسه أمام زوجه الصالحة «ذؤابة» يتناعس حتى يرى قيامها «يا عبدالله إن الجنس يألفه الجنس إذا كنت طيبًا فلن يقرنك الله إلا بطيب فاطمئن»، وتأتي نتيجة الامتحان: امتحان ذؤابة من زوجها المبارك رياح «ياليت شعري من غرني بك يا رياح؟».

فياليت نساءنا يسلكن هذا المسلك فيقلن للرجال: يا ليت شعرنا من غرنا بكم، من غرنا بك عندما أفسدتنا، وما اتقيت الله فينا، وجعلت بيتنا قطعة من باريس»[2].

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٢) انظر إلى شريط قيام الليل للشيخ الطحان، وثناؤه على ذؤابة وزوجها الرياح.

• **عابدة من بني عبد القيس:**

كانت إذا جاء الليل تحرمت ، ثم قامت إلى المحراب ، وكانت تقول : «المحب لا يسأم من خدمة حبيبه ، وكانت تقول : «عاملوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تطيقوا فعلى قدر ستره، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه»[١].

• **عابدة:**

نظرت عابدة أعرابية إلى فتى حسن الوجه ، بضه فقالت: إني لأرى وجهًا ما غضنه[٢] بدد وضوء السحر[٣].

• **عابدة :**

قال السري : بلغني أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت: «اللهم إن إبليس عبد من عبيدك، ناصيته بيدك، يراني من حيث لا أراه، وأنت تراه من حيث لا يراك، اللهم إنك تقدر على أمره كله، وهو لا يقدر من أمري على شيء ، اللهم إن أرادني بشر فأرده، وإن كادني فكده، أدرأ بك في نحره، وأعوذ بك من شره»[٤].

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٣٩١).

(٢) أي : جعده.

(٣) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٣٩٥).

(٤) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٤٤٠).

● **عابدة:**

كانت تصلي بالليل لا تستريح ، وكانت تقول لزوجها : قُمْ ويحك إلى متى تنام؟ قم يا غافل ، قم يا بَطَّال، إلى متى أنت في غفلتك، أقسمت عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلال ، أقسمت عليك ألا تدخل النار من أجلي، برَّ أمك، صل رحمك، لا تقطعهم فيقطع الله بك»[١] .

● **عابدة:**

كانت لا تنام من الليل إلا يسيرًا ، فعوتبت في ذلك فقالت : «كفى بالموت ، وطول الرقدة في القبور للمؤمنين رقادًا» . وكانت تصوم حتى يسود وجهها ، وتقول: «إنما أدور على طول الري والشبع في الآخرة»[٢] .

● **عابدة:**

قالت عابدة لذي النون المصري: أول المحبة يبعث على الكد الدائم، حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفا جَرَّعهم من محبته لذيذ الكؤوس[٣] .

● **عابدة:**

قال ذو النون المصري : خرجت ليلة من وادي كنعان ، فلما علوت

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٤٣٧).

(٢) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ١٩٥).

(٣) «صفة الصفوة» (جـ ٤ ص ٤٢٩).

الوادي إذا سواد مقبل علي وهو يقول: ﴿**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**﴾ ويبكي ، فلما قرب مني السواد ، إذا هي امرأة عليها جبة صوف ، وبيدها ركوة ، فقالت: من أنت؟ غير فزعة مني ، فقلت: رجل غريب، فقالت: يا هذا! وهل يوجد مع الله غربة؟! قال: فبكيت لقولها فقالت لي: ما الذي أبكاك؟ فقلت: قد وقع الدواء على داء قد قرح ، فأحسن في نجاحه» ، قالت: «فإن كنت صادقًا فلم بكيت؟» قلت: يرحمك الله والصادق لا يبكي؟ قالت: لا ... إن الصادق لا يبكي؛ لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئًا أحق من الشهيق والزفير ، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب، وهذا نقص ، فسكت متعجبًا من قولها، ثم قالت: اخدم مولاك شوقًا إلى لقائه، فإن له يومًا يتجلى فيه لأوليائه ، وإنه تعالى سقاهم في الدنيا من محبته كأسًا لا يظمؤون بعدها أبدًا ، ثم قالت:

إذا كان داء العبد حب مليكه

فمن دونه يرجو طبيبًا مداويًا؟(١)

• سرية العابدة:

قال أبو هاشم القرشي : «قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها: «سرية» فنزلت في بعض ديارنا ، قال: فكنت أسمع لها من الليل أنينًا وشهيقًا ، فقلت يومًا لخادم لي: أشرف على هذه المرأة، ماذا تصنع؟

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ ٤ صـ ٤٢٧ - ٤٢٨) ، «عودة الحجاب» (جـ ٢ صـ ٣٠٠) ، «تنبيه المغترين» (ص٣٥).

قال: فأشـرف عليها ، فما رآها تصنع شـيئًا غير أنهـا لا ترد طرفها عن السماء ، وهي مستقبلة القبلة، تقول: خلقت سرية ، ثم غذيتها بنعمتك من حال إلى حال ، وكل أحوالك لها حسنة، وكل بلائك عندها جميل، وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثـب على معاصيك فلتة بعد فلتة ، أتراها تظن أنك سوء فعالهـا ، وأنت عليم خبير ، وأنت على كل شيء قدير»[1].

• **فخرية بنت عثمان البصرية:**

كانت من أسـرة عريضـة الجاه موفـورة الغنى ، ولكن ذلك كله لم يطب لهـا، فخـرجت وتزهدت وتنسكت، وهـجرت الراحـة والمنام إلى الصلاة والقـيام ، وقنعت من العيش برغـيف وقدم ماء فذلك قـوتها كل يوم.

وكانت أشبـه الناس برابعة في الوحشة من الدنيـا والتدله، هاجرت إلى بيت المقـدس ، وأقامت أربعين عـامًا تقف الليل كلـه بباب المسـجد الأقصى تصلي حتى يفتح الباب فتكون أول داخل وآخر خارج»[2]

• **عبدة البصرية:**

وهي امرأة عكفت على العبادة وأفـرطت في السهر ، وأسرفت في البكاء حتى كف بصرها.

---

(١) «عودة الحجاب» (جـ ٢ صـ ٢٩٩ ، ٣٠٠).

(٢) «عودة الحجاب جـ ٢ صـ ٣٠٤ نقلاً عن «المرأة العربية» (٣/ ٩٨).

سمعت قائلاً يقول: «ما أشد العمى على من كان بصيرًا! فقالت: يا عبدالله! عمى القلب عن الله أشد من عمى العين، وددت أن الله وهب لي كنه محبته ، وإن لم يبق مني جارحة إلا أخذها[1].

فلو كان النساء كما ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال

• جارية الحسن بن صالح:

كان الحسن بن صالح يقوم الليل هو وجاريته فباعها لقوم ، فلما صلت العشاء افتتحت الصلاة، فمازالت تصلي إلى الفجر ، وكانت تقول لأهل الدار كل ساعة تمضي من الليل : «يا أهل الدار! قوموا ، يا أهل الدار! صلوا، فقالوا لها: نحن لا نقوم إلا الفجر، فجاءت إلى الحسن بن صالح ، وقالت: «بعثتني لقوم ينامون الليل كله، وأخاف أن أكسل من شهود نومهم ، فردها الحسن إليه رحمة بها ، ووفاءً بحقها[2].

ونختم هذا الباب بما رواه البخاري[3] من حديث عائشة رضي الله عنها ، كانت تقول: لما نزلت هذه الآية ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها .

وفي رواية أبي داود [4] أنها ذكرت نساء الأنصار فأثنت عليهن

---

(١) «عودة الحجاب» (جـ ٢ صـ ٣٠٣ نقلاً عن «المرأة العربية» (٣/ ٩٧).

(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ١٩٥).

(٣) البخاري «فتح» (٨/ ٤٨٩).

(٤) أبو داود (٤١٠٠).

وقالت لهن معروفًا ... ثم ذكرت نحوه.

فعليك أيتها المسلمة بالإسراع إلى العمل الصالح عند معرفة الحق من الكتاب والسنة وليكن أسوتك في ذلك نساء الأنصار رضي الله عنهن أجمعين.

ولا تسوفي في أمور الطاعات، بل اقتدي بمن سبقك من رسل الله، فقد قال الله عز وجل لنبيه موسى عليه السلام ﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤)**﴾ [طه: ٨٣ ـ ٨٤]. فاحذري من مفاجأة الموت، وغضب الجبار جل وعلا.

● ● ●

المرأة المتصدقة

حث الله عز وجل على التصدق ، ورغب في ذلك .

فقال تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨] .

ولذا نجد المثال الحي متمثل أمامنا في هذا الموقف العظيم في يوم عيد من نساء مؤمنات يستجبن لله ورسوله ، عند وعظهن وحثهن على الصدقة .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «خرج النبي ﷺ يوم عيد، فصلى ركعتين، لم يصل قبل ولا بعد ، ثم مال على النساء - ومعه بلال - فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن ، فجعلت المرأة تلقي القلب والخرص»[1] .

---

(١) رواه البخاري (١٤٣١) ، ومسلم (٨٨٤).

عن أسماء رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! ما لي مال، إلا ما أدخل علي الزبير، فأتصدق؟ قال: «**تصدقي، ولا توعي فيوعي عليك**»(١).

وبين النبي ﷺ أن الصدقة من دوافع العذاب.

عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ - في أضحى، أو في فطر - إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: «**يا معشر النساء! تصدقن، فإني أريتكن أكثر أهل النار**»، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**» قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله! قال: «**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟**» قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟**» قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان دينها**»(٢).

ونضرب لك أمثلة من نساء السلف الصالح اللائي اشتهرن بالتصدق، وبذل المال:

• أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها:

المؤمنة التقية المتصدقة المزوجة من فوق سبع سموات، فقد كانت رضي الله عنها امرأة صناعًا، وكانت تعمل بيدها، وتتصدق به في سبيل الله»(٣).

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أسرعكن**

---

(١) رواه البخاري (٢٥٩٠)، ومسلم (١٠٢٩).

(٢) رواه البخاري (٣٠٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢١٧).

لحاقًا بي أطولكن يدًا».

قالت : فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا.

قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق[١].

وعن عائشة رضي الله عنها وذكرت الحديث وفيه : «... **فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ ، ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى ماعدا سورة من حدة كانت تسرع منها الفيئة»**[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها بعد موتها : «لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل»[٣].

وها هو مثال آخر : امرأة تتصدق على زوجها وأولادها[٤] وهي:

▪ زينب امرأة ابن مسعود رضي الله عنه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، خرج رسول الله ﷺ - في أضحى، أو في فطر - إلى المصلى ، ثم انصرف ، فوعظ الناس ، وأمرهم بالصدقة،

---

(١) رواه مسلم (٢٤٥٢).

(٢) رواه مسلم (٢٤٤٢).

(٣) «الإصابة» (٧/ ٦٧٠).

(٤) رواه البخاري (١٤٦٢).

فقال: «أيها الناس! تصدقوا» ، فمر على النساء ، فقال: «يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقلن: ويم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء» ، ثم انصرف ، فلما صار إلى منزله جاءت زينب امرأة ابن مسعود تستأذن عليه، فقيل: يا رسول الله! هذه زينب ، فقال: «أي الزيانب؟» فقيل: امرأة ابن مسعود، قال: «نعم ائذنوا لها»، فأذن لها ، قالت: يا نبي الله! إنك أمرت اليوم بالصدقة، وكان عندي حُلي لي فأردت أن أتصدق بها، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم، فقال النبي ﷺ: «صدق ابن مسعود زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم»(١) .

وعن زينب امرأة عبدالله بمثله سواء، قالت: كنت في المسجد ، فرأيت النبي ﷺ فقال: «تصدقن ولو من حُليكن»، وكانت زينب تنفق على عبدالله وأيتام في حجرها ، فقالت لعبدالله: سل رسول الله ﷺ: أيجزئ عني أن أنفق عليك وعلى أيتامي في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله ﷺ ، فانطلقتُ إلى النبي ﷺ ، فوجدتُ امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي ، فمر علينا بلال، فقلنا : سل النبي ﷺ أيجزئ عني أن أنفق على زوجي، وأيتام لي في حجري، وقلنا: لا تخبرنا ، فدخل فسأله ، فقال: «من هما؟» قال: زينب، قال: «أي الزيانب؟» قال: امرأة عبدالله ، قال: «نعم، ولها أجران ، أجر

(١) هذا إذا كانوا من أهل الصدقات ، ومن مصارفها المذكورين في قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ...﴾ الآية.

القرابة ، وأجر الصدقة»[١]

واعلمي أختي المسلمة أن لك بذلك أجرًا عظيمًا، فعن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله! ألي أجر أن أنفق علي بني أبي سلمة؟ إنما هم بني ، فقال: «**أنفقي عليهم ، فلك أجر ما أنفقت عليهم**»[٢] .

وهذا مثال آخر كانت مضرب المثل في الكرم والجود، وهي:

• أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان الأموية أخت الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمها الله تعالى:

فكانت تقول : لكل قوم نهمة في شيء، ونهمتي في الإعطاء ، وكانت تعتق كل يوم جمعة رقبة، وتحمل على فرس في سبيل الله عز وجل، وتقول: «أف للبخل ، لو كان قميصًا لم ألبسه، ولو كان طريقًا لم أسلكه»[٣] .

وهكذا النساء في كل أفعال العبادات من صوم واعتكاف وحج، وغير ذلك، فقد سبق حديث وصف حفصة رضي الله عنها أنها صوامة قوامة، وأحاديث اعتكاف أزواج النبي ﷺ في حياته ، وبعد مماته[٤]، منثور في كتب الصحاح وغيرها.

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٦) ، ومسلم (١٠٠٠).

(٢) رواه البخاري (١٤٦٧) ، ومسلم (١٠٠١).

(٣) «أحكام النساء» لابن الجوزي (صـ ١٣٧).

(٤) وهذا كله مع أمان الفتنة ووجود الأمن والأمان ، ونحو ذلك.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: «**أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده**»(٢).

وكذلك الحج، فإنه جهاد النساء، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله! نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «**لا ... ولكن أفضل الجهاد حج مبرور**»(٣).

●●●

(١) رواه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٢) رواه البخاري (٢٠٢٦).

(٣) رواه البخاري (١٥٢٠).

المرأة الداعية

إن من أفضل الأعمال الدعوة إلى الله على بصيرة، كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

والدعوة إلى الله ليست وافقة على الرجال فحسب، بل إن المرأة ضربت أروع الأمثلة في الدعوة إلى الإسلام منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا.

• وها هي امرأة أبي طلحة الرميصاء بنت ملحان:

التي تزوجت أبا طلحة ، وكان مهرها الإسلام.

عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم ، فقالت: والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد ، ولكنك رجل كافر ، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أنْ أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري ، وما أسألك غيره، فأسلم، فكان ذلك مهرها ، قال ثابت: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم : الإسلام ، فدخل بها فولدت له(١)

---

(١) رواه النسائي (٦/ ١١٤) بإسناد صحيح.

وعن أنس قال: جاء أبو طلحة يخطب أم سليم ، فقالت: إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركًا ، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار، وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت؟ قال: فانصرف عنها ، وقد وقع في قلبه من ذلك موقعًا قال: وجعل لا يجيئها يومًا إلا قالت له ذلك ، قال: فأتاها يومًا فقال الذي عرضت عليَّ قد قبلت قال: فما كان لها مهر إلا إسلام أبي طلحة [1].

وانظري - أختي المسلمة - إلى حسن الخطاب إذ تقول:

«ما مثلك يرد ، ولكنك امرؤ كافر».

كلمة جامعة تتحدث فيها عن حسن خلق أبي طلحة ، أدب في اللفظ، حتى مع المشرك، تتضمن الاعتذار ، وإعطاؤه الأمل في طلبه بشرط إسلامه. أسلوب دعوة فيها الحكمة ، والموعظة الحسنة، تعجز أن تخرج مثله اليوم مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا.

«وأنا امرأة مسلمة ، لا يصلح لي أن أتزوجك».

وهكذا كان الإسلام عند الصحابة ﷺ أغلى من كل شيء يقدمون الدين على شهواتهم ورغباتهم وأنفسهم وحياتهم.

انظري إلى ما نحن فيه من مصائب ، كيف يقدم الناس شهواتهم وأهواءهم على الدين؟! يزوج الغني ، وإن لم يرض أولو الألباب عن دينه.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٣٠٠-١٢) بإسناد صحيح.

وينكح ذو المنصب والجاه مهما كان فكره واتجاهه[1].

وها هي امرأة أخرى كانت سببًا في إسلام قومها:

ففي الصحيحين ، عن عـمران بن حصين رضي الله عنه : أنهم كانوا مع النبي ﷺ في مسيـر ، فأدلجوا ـ ساروا أول الليل ـ ليلتهم حـتىٰ إذا كان وجه الصبح عرسوا ـ نزلوا للراحة ـ فغلبـتهم أعينهم حتىٰ ارتفعت الشمس ، فكان أول من استيقظ من منـامه أبو بكر، وكان لا يوقظ رسول الله ﷺ من منامه حـتىٰ يستيقظ ، فـاستيقظ عـمر ، فقعـد أبو بكر عند رأسه، فجعل يكـبر ويرفع صوته ، حتىٰ استـيقظ النبي ﷺ ، فنزل وصلىٰ بنا الغداة، فاعتزل رجل من القـوم لم يصل معنا، فلما انصرف ، قال: «**يا فلان! مـا يمنعك أن تصلي معنا؟**» قال: أصابتني جنابة، فـأمره أن يتيمم بالصعيد، ثم صلىٰ، وجعلني رسول الله ﷺ في ركوب بين يديه، وقد عطشنا عطشًا شديدًا ، فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة ـ مرسلة ، مدليـة ـ رجليها بين مزادتين ـ أي : قـربتين كبيرتين ـ ، فـقلنا لها: أين الماء؟ فـقالت: إيه، لا مـاء، قلنا: كم بين أهلك وبين الماء؟ قـالت: يوم وليلة، فقلنـا: انطلقي إلىٰ رسول الله ﷺ قالت: ومـا رسول الله؟ فلم نملكهـا من أمرها حـتىٰ استـقبلنا بهـا النبي ﷺ ، فحـدثته بمثل الذي حدثتنا، غيـر أنها حدثته أنها مؤيمة ـ أي : ذات أيتام ـ ، فـأمر بمزايدتها فمسح في العـزلاوين ـ فم القربة الذي يفرغ منه الماء ـ ، فشـربنا عطاشًا أربعين رجلاً حتىٰ روينا ، فـملأنا كل قربة معنا وإدامة ـ إناء صـغير من جلد ـ غـير أنه لم نـسق بعيـرًا ، وهي تكاد تنص من الملء ، ثم قـال:

---

(١) «من مواقف الصحابة» (صـ ١٧٢ ، ١٧٣).

هاتوا ما عندكم، فجمع لها من الكسر والتمر حتى أتت أهلها ، فقالت: أتيت أسحر الناس ، أو هو نبي كما زعموا ، فهدى الله ذاك الصرم بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا.

وفي رواية : «فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ، ولا يصيبون الصرم الذي هي منه، فقالت يومًا لقومها: ما أرى هؤلاء القوم يدعونكم عمدًا، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها فدخلوا في الإسلام»[١]

مثال آخر : أم شريك تدعو النساء إلى الإسلام:

• أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم ، بصبرها أسلم من عذبوها:

قال ابن عباس : «وقع في قلب أم شريك الإسلام ، وهي بمكة، فأسلمت ، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًا ، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك ؛ لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم، قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره ، ثم تركوني ثلاثًا لا يطعموني ولا يسقوني، فنزلوا منزلاً ، وكانوا إذا نزلوا وقفوني في الشمس واستظلوا، وحبسوا عني الطعام والشراب ، حتى يرتحلوا، فبينما أنا كذلك إذا بأثر شيء بارد وقع علي منه، ثم عاد فتناولته، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً، ثم نزع مني ، ثم عاد فتناولته، فشربت منه قليلاً ، ثم رفع، ثم عاد أيضًا، فصنع ذلك مرارًا حتى رويت ، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي ، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء،

---

(١) «عناية النساء بالحديث النبوي» (صـ ١٦ ، ١٧).

ورأوني حسنة الهيئة، فقالوا لي: انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟ فقلت: لا والله ما فعلت ذلك، كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: لئن كنت صادقة، فدينك خير من ديننا ، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها ، فأسلموا لساعتهم»[١]

ثم بدأت الدعوة تنتشر ، ويشاء الله سبحانه أن تكون أول من أسلم من بلاد فارس امرأة أيضًا اسمها أمة الفارسية ﵂ وهي التي دلت سلمان الفارسي ﵁ على رسول الله ﷺ حين سألها عنه[٢] .

وخاضت المرأة المسلمة خطورة الدعوة في مراحلها الأولى ، فهذه فاطمة بنت الخطاب تقف متحديه عمر الذي تخافه مكة بأكملها ، وعندما يسألها عن إسلامها تجيبه بعزة وإباء ـ قد كان ذلك رغم أنفك ـ فيلطمها عمر فيدميها ، يقول عمر ﵁ فاستحييت حين رأيت الدم[٣]

«أما سعدى ﵂ فقد كانت سبب إسلام عثمان بن عفان ﵁ ، حيث إنها استطاعت ببيانها وفصاحتها أن تؤثر في عثمان ﵁ فيسلم.

---

(١) «الإصابة» (٨/٢٤٨) ، و«صلاح الأمة» (٧/١٦٧ ـ ١٦٨) ، و«عودة الحجاب» (٢/٥٤٣).

(٢) انظر : ابن حجر «الإصابة» (٤/٢٣٩).

(٣) «الإصابة» (٤/ ٣٨٠).

قلت «محمد» : قصة دخول عمر ﵁ على فاطمة ، وقراءة سورة طه ضعيفة، انظر كتابي «منحة الوهاب في بيان قصة إسلام عمر بن الخطاب» ولكن هناك ما يدل على أن فاطمة وزوجها أسلما قبل عمر بن الخطاب ﵁ راجع : «منحة الوهاب». ط دار الدُليقان «السعودية».

وهل تدرون أن التي أخبرت رسول الله ﷺ بأن قريشًا تريد قتله الليلة هي امرأة؟ آمنت به وصدقته، وهي رقيقة بنت عمه العباس رضي الله عنه وهي والدة مخرمة بن نوفل ، وكانت شديدة على ولدها ؛ لكونه لم يسلم حتى أسلم رضي الله عنه رغم أنها كانت مسنة رضي الله عنها.

وهذه سبيعة الأسلمية تسلم بعد صلح الحديبية ، ولم تهب قريشًا ، حيث أسلمت إثر العقد ، وطي الكتاب، فلم تخف ، وكانت السبب في نزول سورة الممتحنة.

وهكذا ... فإن المرأة المسلمة الصحابية قد شاركت في كل ميادين الدعوة، مشاركة واقعية فعالة على قدر الحاجة والواجب، محتفظة بطهرها ونقائها ، مطيعة لربها سبحانه ، ولرسول الله ﷺ ، فساهمت في تشكيل أحداث الدعوة وضربت للمسلمين حتى قيام الساعة أروع الأمثلة في قوة الشخصية في شتى ميادين الحياة ، فتقف النساء مبايعات لرسول الله ﷺ بيعة مستقلة عن الرجال ، وذلك دلالة على استقلاليتهن في المسئولية ، ومن ثم ترسم المرأة المسلمة معالم المجتمع المسلم من خلال تلك المواقف التي تجلى فيها صدق الإيمان في قوة المسلمة، ونضجها ووعيها ، واستقامتها»[١] .

ونختم بهذه الفتاة الأمريكية التي اعتنقت الإسلام ، وهي تدعو إلى هذا الدين دون كلل ، ولا ملل ، ولكي تتحرك النساء المسلمات في الدعوة إلى هذا الدين خاصة لبني جنسها اللائي فشى فيهن الجهل بهذا

(١) «الأمومة ومكانتها في الإسلام» (٢/ ٥٠٩ ـ ٥١١).

الدين ، وكثرت فيهن البدع ، فإننا نهيب بالمسلمات المؤمنات أن يتحركن لهذا الدين ابتغاء وجه الله ، وطالبين جنته ، وابتغاء مرضاته.

قال الشيخ محمد جميل زينو : «فتاة أمريكية تعتنق الإسلام» .

الإسلام هو السبيل الوحيد لإنقاذ وخلاص البشرية.

«هاجر» الاسم الجديد لـ «ياميلا» فتاة أمريكية في الثامنة والعشرين من عمرها ، طالبة في قسم علم الاجتماع في جامعة ميزوري - كولومبيا - بدأت قبل سنتين بدراسة الإسلام دراسة جادة متعمقة بحثًا عن الحقيقة التي كانت شُغلها الشاغل ، والتي لم تجدها كما تقول في الثقافة المادية الأمريكية، وبعد سنتين من الدراسة والبحث والتأمل أعلنت «ياميلا» الإسلام ، وغيرت اسمها إلى «هاجر» حيث تقول: إن اسم «هاجر» محبب إلى نفسي ؛ لكونه مرتبطًا بالإسلام.

تتحدث هاجر عن تجربتها قائلة: منذ مدة طويلة كانت تدور في ذهني تساؤلات عن الكون ، والوجود والحياة، وقد أضناني البحث ، والتفكير عن أجوبة لهذه التساؤلات الفلسفية، ولكن عبثًا لم أجد لها تفسيرًا مقنعًا من خلال دراستي في الثقافة الأمريكية المادية ، وكنت أسمع بالإسلام، ولكن صورته غامضة في ذهني، بل مشوهة ، فهو دين يفرق بين الرجل والمرأة، وقائم على العنف والقسوة، وبقيت جاهلة بحقيقة الإسلام، حتى بدأت أدرك نقاء الإسلام ، وتحديه للقوى المادية، فبدأت من حينها أدرس وأبحث عن الإسلام، وكان البحث في البداية شاقًا جدًا، فليس هناك كتب أمينة عن الإسلام باللغة الإنجليزية، ولكني منذ

البداية شعرت بحب الإسلام، فهو دين عدل وإنصاف، يعطي الفرد حريته، ويحمله مسئولية أعماله وأفعاله، وهكذا بمرور الوقت ازددت وعيًا وفهمًا بالإسلام . وكان أن هداني الله لاعتناق الإسلام.

هاجر تدعو للإسلام:

ومنذ أن أعلنت هاجر إسلامها ، وهي تعمل بجد ونشاط ؛ لنشر الإسلام، فهي ترى أن رسالتها الآن أن تجاهد في سبيل الإسلام . وإبلاغ دعوته إلى الأمريكيين الذين يجهلون حقيقة الإسلام، وذلك بفعل الصورة المشوهة التي صُوِرَ الإسلام بها من خلال أعدائه الحاقدين عليه.

لقد غير الإسلام «هاجر» تغييرًا شاملاً ، فبعد أن كانت تعيش كأية فتاة أمريكية حياة لاهية، أصبحت الآن ملتزمة بقواعد ومبادئ الإسلام، كما تقول: أن هدفي الأسمى أن أجاهد في سبيل الإسلام، وأن أحارب الرأسمالية، والطغيان، والشر، فبعد تجربتي ، وجدت أن الإسلام هو الطريق الوحيد لخلاص الإنسانية من خطر الحروب ، والمجاعات . والعناء، وعندما سُئِلَت «هاجر» : ولماذا الإسلام بالذات هو السبيل إلى خلاص البشرية؟ أجابت قائلة: إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يقدم حلولاً لقضايانا الاجتماعية، والسياسية المعاصرة، إنه نظام حياة شامل يوازن بين مطالب الروح وحاجات الجسد دونما إخلال . لقد وجدت فيه أجوبة شافية على تساؤلات فلسفية كانت تقلقني وتقض مضجعي.

وحين تتحدث «هاجر» عن الإسلام ، تشعر بالصدق في كلامها ،

فهي تعي ما تقول ، وأحيانًا تنطق بالعبارات الإسلامية باللغة العربية، ولكنها في كل الحالات تفهم جيدًا أن الإسلام نظام شامل، وليس دين عبادات فقط.

الجهاد في نظرها أهم ما في الإسلام، أو أهم ما يحتاج إليه المسلمون في الوقت الحاضر...

ومنذ إسلامها غيرت هاجر أسلوب حياتها ، فارتدت اللباس الشرعي ، وبدأت تؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها ، وبذلت جهدًا كبيرًا في حفظ القرآن الكريم؛ لتستطيع تأدية الصلوات، وطبيعي أن تواجه صعوبات كبيرة من زميلاتها وعائلتها، ولكن «هاجر» المسلمة كما تقول : أستطيب المصاعب في سبيل عقيدتي، وهذا جدير بالنسبة للمسلمين والمسلمات ، لقد سبق أن عذب الكثير منهم ، ولكنهم لم يتحولوا ، وأنا لن أبالي إلا بالإسلام.

ولا يقتصر نشاط «هاجر» على الجانب الديني ، فهي أيضًا نشطة سياسيًا، ومؤمنة بالحقوق العادلة للشعب الفلسطيني المسلم، لذلك فهي دائمًا تحاضر ، وتتحدث عن الظلم الذي وقع على الشعب الفلسطيني.

إنها حقًا ظاهرة فريدة ، فتاة أمريكية بيضاء تتحول إلى داعية إسلامية ، تذب وتدافع عن قضايا الشعب الإسلامي في مجتمع لا يصغي ، ولكنها لا تمل ولا تتعب!!

ورسالتـها إلى الشعوب الإسـلامية عـامة ، والعربية خـاصة، أنتم الذين أنرتم الدرب للبشرية، فلا تضعفوا أمام غزاة أرضكم المقدسة، أمام إسرائيل وحلفائها[1] .

●●●

(١) «توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع» (صـ ١٨٤ ـ ١٨٨).

المرأة المجاهدة

مع أن الجهاد لم يكن فرضًا على النساء ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله ! نرى الجهاد أفضل الأعمال، أفلا نجاهد؟ قال: «**لكُن أفضل الجهاد حج مبرور**»(١) .

إلا أن النساء في عصر النبوة كنَّ يتمنون الشهادة في سبيل الله ، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته، وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ، ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال: «**ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة** » ـ شك إسحاق ـ قالت : فقلت: يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ ، ثم وضع رأسه ، ثم استيقظ وهو يضحك فقلت: وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال: «**ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله** » ـ كما قال في الأول ـ قالت: فقلت: يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**أنت من الأولين**» فركبت

(١) رواه البخاري (٢٧٨٤).

البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان ، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت[(١)]

ولم يقف الأمر إلى التمني فقط، بل كانت النساء يخرجن إلى الغزو كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ ، قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر؟ وأم سليم ، وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهن تنقزان[(٢)] القرب، وقال غيره: تنقلان القرب، على متونهما ، ثم تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم»[(٣)]

وعن أنس بن مالك قال: «**كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى**»[(٤)]

وعن حفصة بنت سيرين ، قالت: كنا نمنع جوارينا أن يخرجن يوم العيد فجاءت امرأة فنزلت قصر بني خلف فأتيتها ، فحدثت أن زوج أختها غزا مع النبي ﷺ ثنتي عشرة غزوة ، فكانت أختها معه في ست

---

(١) رواه البخاري (٢٧٨٨ ، ٢٧٨٩) ، ومسلم (١٩١٢).

(٢) تنقزان : أي تسرعان المشي كالهرولة، وقيل: النقز الوثب، والقفز كناية عن سرعة السير.

تنبيه : بوب البخاري لهذا الحديث بباب «غزو النساء وقتالهن مع الرجال».

(٣) رواه البخاري (٢٨٨٠) ، ومسلم (١٨١١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (٦/٧٨) ، وقوله : «خدم سوقهن» بفتح الخاء المعجمة والدال المهملة ، وهي الخلاخيل ، وهذه كانت قبل الحجاب، ويحتمل أنها كانت عن غير قصد للنظر.

(٤) رواه مسلم (١٨١٠).

غزوات، فقالت: فكنا نقوم على المرضى، ونداوي الكلمى فقالت: يا رسول الله! على إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج، فقال: «لتلبسها أختها من جلبابها؛ فليشهدن الخير ودعوة المؤمنين» قالت حفصة: فلما قدمت أم عطية أتيتها فسألتها: أسمعت في كذا وكذا؟ قالت: نعم بأبي، وقلما ذكرت النبي ﷺ إلا قالت: بأبي، قال: «ليخرج العواتق ذوات الخدور»، أو قال: «العواتق وذوات الخدور» شك أيوب، «والحيض، ويعتزل الحيض المصلي، وليشهدن الخير، ودعوة المؤمنين»، قالت: فقلت لها: الحيّض؟ قالت: نعم أليس الحائض تشهد عرفات، وتشهد كذا وكذا[1]؟

وعن ثعلبة بن أبي مالك، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطًا بين نساء من نساء أهل المدينة، فبقي منها مرط جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين! أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك، يريدون أم كلثوم بنت علي، فقال عمر: أم سليط أحق به - وأم سليط من نساء الأنصار، ممن بايع رسول الله ﷺ - قال عمر: فإنها كانت تزفر[2] لنا القرب يوم أحد[3]

وعن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية الأنصارية قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى[4].

---

(١) رواه البخاري (٩٨٠).

(٢) تخيط، وقيل: تحمل.

(٣) رواه البخاري (٤٠٧١).

(٤) رواه مسلم (١٨١٢).

وعن الربيع بنت معوذ قالت: كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم، ونخدمهم ، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة[١]

وعن يزيد بن هرمز ، أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال .

فقال ابن عباس لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه.

كتب إليه نجدة: أما بعد فأخبرني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتى ينقضي يتم اليتيم؟ وعن الخُمس لمن هو؟

فكتب إليه ابن عباس : كتبت تسألني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ، ويحذين من الغنيمة ، وأما بسهم ، فلم يضرب لهن، وإن رسول الله ﷺ لم يكن يقتل الصبيان، فلا تقتل الصبيان ، وكتبت تسألني : متى ينقضي يتم اليتيم ، فلعمري إن الرجل لتنبت لحيته ، وإنه لضعيف الأخذ لنفسه ، ضعيف العطاء منها، فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس ، فقد ذهب عنه اليتم، وكتبت تسألني عن الخمس لمن هو؟ وإنا كنا نقول: هو لنا ، فأبى علينا قومنا ذاك»[٢][٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٣).

(٢) رواه مسلم (١٨١٢).

(٣) أي إيمان هو ذاك الذي يخرج بالمرأة المؤمنة من بيتها ، وأمنها إلى ساحات القتال بعيدًا عن الأهل ، والولد ، والمال، وترابط وراء الصفوف تمرض، وتداوي ، وتقدم الطعام والشراب،وتنقل القتلى والجرحى من ساحات المعارك إلى المدينة؟=

وتلك أروى بنت عبدالمطلب رضي الله عنها الهاشمية ، عمة رسول الله ﷺ أسلمت على يد ابنها طليب بن عمير، فقد دخل رضي الله عنه على أمه فقال لها: قد أسلمت، وتبعت محمداً ﷺ، وما يمنعك أن تسلمي فقد أسلم أخوك حمزة، قالت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم كانت بعد تعضد النبي ﷺ بلسانها ، وتحض ابنها طليبًا على نصرته ، والقيام بأمره ، فكان أن عرض أبو جهل وعدة معه، للنبي ﷺ فآذوه ، فعهد طليب رضي الله عنه إلى أبي جهل ، فضربه ، فشجه ، وأنشدت أروى رضي الله عنها في ذلك قائلة:

إن طليبًا نصر ابن خاله

واساه في ذي ذمة وماله (١)

وممن أثرن في أحداث التاريخ الإسلامي من الصحابيات صفية بنت عبدالمطلب الهاشمية، عمة رسول الله ﷺ ، ومن ذلك أنه لما خرج

هكذا كان الصحابيات الطاهرات ، أما اليوم ، فقد استغل هذا الموقف المشرف للمرأة المؤمنة على مدى التاريخ دعاة الفجور ، ودعوا المرأة المؤمنة إلى أن تكشف عن وجهها الخمار، وترمي ببرقع الحياء ، وتخرج مترجلة، فزجوا بها في ثكنات الجيوش ؛ ليتمتعوا بها ، أما الجهاد ، فهم لا يجاهدون فضلاً عن نسائهم، ورامو بها في الشوارع شرطية سخرية يسخر منها العقلاء، ووضعوها على كراسي الوزارات، والقضاء ليتمتعوا بها خالية حالية، وشاهدة عاطلة، قبح الله مسعاهم وأرداهم! فهل لك أيتها المؤمنة أن تتأسي بالصحابيات في إيمانهن وشجاعتهن ، وتتبرئي من هؤلاء الساقطات اللاقطات اللائي لا أيمان لهن ولا حياء لهن «المرأة المسلمة» (صـ ١١٣).

(١) «الإصابة» (٤/ ٢٢٧) ، «الأمومة» (١/ ٩٤).

رسول الله ﷺ إلى الخندق ، وجعل ﷺ النساء في أطم ، وجعل معهن حسان بن ثابت رضي الله عنه ، فجاء إنسان من اليهود فرقي في الحصن حتى أطل على النساء ، فقالت صفية رضي الله عنها لحسان رضي الله عنه : قم فاقتله، قال رضي الله عنه: لو كان ذلك، وكان كبيرًا مسنًا فقامت صفية إليه فضربته حتى قطعت رأسه، وقلت رضي الله عنها لحسان رضي الله عنه قم فاطرح رأسه على اليهود، وهم أسفل الحصن، فقال رضي الله عنه : وما ذاك؟ فقامت صفية رضي الله عنها فأخذت رأس اليهودي فرمت به عليهم، فقالوا: قد علمنا أن هذا لم يكن ليترك أهله خلوًا ليس معهم أحد، فتفرقوا،[1] ولا عجب والأم هكذا ، أن يكون ابن هذه الصحابية رضي الله عنها حواري رسول الله ﷺ [2]

قال الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم:

«وقد مر بك نبأ **صفية بنت عبدالمطلب** الهاشمية رضي الله عنها ، وهي عمة النبي ﷺ، وشقيقة أسد الله حمزة، وأم حواري رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، والعوام زوجها هو أخو سيدة النساء خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأمها من بني زُهرة ، وهي هالة بنت وهب خالةُ رسول الله ﷺ، وهي من المهاجرات الأول، وكانت قد خرجت يوم أحد في طليعة النسوة اللواتي خرجن لخدمة المجاهدين ، ومداواة الجرحى.

ولما انهزم المسلمون بعد أن خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ بالثبات سواء كان النصرُ أم كانت الأخرى، وانفض أكثر الناس عن

(١) «الإصابة» (٤/٣٤٨).

(٢) انظر البخاري (٣٧١٩) ، و«الأمومة» (١/ ٩٥ ـ ٩٦).

رسول الله ﷺ ، ولم يبق حوله سوى القلائل من أصحابه ، قامت «صفية» رضي الله عنها ويدها رمح تضرب به في وجوه الناس الفارين المنهزمين، والأعداء المشركين، وتقول لهم: «انهزمتم عن رسول الله !» فلما رآها رسول الله ﷺ أشفق عليها فقال لابنها الزبير بن العوام : «**القها فأرجعها ، لا ترى ما بشقيقها**» ، أي : حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه فلقيها الزبير فقال: يا أمَّه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي..».

فقالت صفية : «ولم؟ فقد بلغني أنه مُثِّل بأخي، وذلك في الله عز وجل قليل، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى»

وعاد الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فقال ﷺ : «**خل سبيلها**» فأتت «صفية» «حمزة» فنظرت إليه ، وصلَّت عليه، واسترجعت، واستغفرت ، ثم أمر رسول الله ﷺ به فدفن.

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق جعل نساءه في أطم[1] ، يقال له فارع ، ويُروى عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال: «**كان النبي ﷺ إذا خرج لقتال عدوه رفع نساءه في أطم حسان رضي الله عنه لأنه كان من أحصن الآطام**» إلى أن قال: «فجاء يهودي فلصق بالأطم ليسمع.، قالت صفية: «فأخذت عمودًا فنزلت إليه حتى فتحت الباب قليلاً قليلاً ، فحملت عليه فضربته بالعمود فقتلته»[2] .

---

(١) الأطم : كل حصن مبني بحجارة.

(٢) رواه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٧)، والحاكم (٤/ ٥١) ، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله : «عروة لم يدرك صفية» ، وأورده الهيثمي في «المجمع» =

وفي رواية ابن إسحاق زيادة : «وهي أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين».

وفي رواية : «فجاء إنسان من اليهود فرقي في الحصن، حتى أطل عليهن ، قالت صفية بنت عبدالمطلب: فقمت إليه، فضربته حتى قطعت رأسه، فأخذت رأسه فرميت به عليهم»[1] .

في طريق عودة النبي ﷺ من غزوة أحد إلى المدينة خرج الناس من المدنية للاستفسار عن نبيهم ﷺ ، وذويهم المشتركين في المعركة، ويُروى أنه كانت من بينهم **امرأة من بني دينار** قتل يوم أحد أبوها وزوجها وأخوها وابنها ، فلما نُعُوا لها لم تكترث كثيرًا . فقد أنساها قلقها على حياة رسول الله ﷺ كل أحد، ولهذا فإنها قالت ـ بعد أن نعي لها أبوها وابنها وأخوها وزوجها ـ : «ما فعل رسول الله ﷺ ؟» قالوا: خيرًا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فلما رأته سالمًا قالت ـ مشيرة إلى مصيبتها بفقد أبيها وزوجها وابنها وأخيها ـ: كل مصيبة بعدك جلل[2] .

وفي رواية أن الدينارية هذه جاءت إلى مصارع القوم في المعركة فمرت بأبيها وابنها وأخيها وزوجها صرعى ، وكلما سألت عن واحد وقالت: من هذا؟ قيل لها : هذا أبوك، وابنك، وزوجك، وأخوك، فلم

= (٦/ ١٣٤) ، وقال: رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح . ولكنه مرسل.

(١) انظر : «الإصابة» (٧/ ٧٤٤).

(٢) تريد صغيرة ، قال ابن هشام : «الجلل يكون من القليل . ومن الكثير» اهـ.

تكترث ، بل صارت تقول: ما فعل رسول الله؟ فيقولون: أمامك، حتى جاءته وأخذت بناحية ثوبه ، ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا أبالي إذا سلمت من عطب»[١].

وقبل أن يدخل الرسول ﷺ المدينة جاءت **أم سعد بن معاذ سيد الأنصار** رضي الله عنها تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه ، وسعد آخذ بلجامها ، فقال سعد : يا رسول الله ! أمي، فقال: «**مرحبًا بها**» فوقف لها ، فلما دنت من رسول الله ﷺ عزَّاها بابنها عمرو بن معاذ ـ وقد استشهد في غزوة أحد ، وله اثنان وثلاثون سنة ـ فقالت: أما إذا رأيتك سالمًا ، فقد اشتويْتُ المصيبة ـ أي: استقللتها ـ ثم دعا رسول الله ﷺ لأهل من قتل بأحد ، وقال لأم سعد : «**يا أم سعد! أبشري، وبشري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعًا، وقد شفعوا في أهلهم جميعًا**»، قالت: رضينا يا رسول الله ، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: يا رسول الله ! ادع لمن خلفوا منهم، فقال ﷺ : «**اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا**»[٢].

■ **وهذه أم عمارة نسيبة بنت كعب** بن عمرو بن عوف الصحابية ، الفاضلة ، المجاهدة ، الأنصارية ، الخزرجية، كان أخوها عبدالله بن كعب المازني من البدريين ، وكان أخوها عبدالرحمن من البكائين، شهدت أم عمارة ليلة العقبة، وشهدت أحدًا، والحديبية ، ويوم حنين، ويوم اليمامة، وجاهدت ، وفعلت الأفاعيل ، وقُطعت يدها في الجهاد.

---

(١) «السيرة الحلبية» (٢/ ٤٤).

(٢) «السابق» (٢/ ٤٧).

قال الواقدي : شَهِدَت أحداً ، مع زوجها غـزية بن عمرو ، ومع ولَدَيها.

وكانت قد خرجت في جيش المسلمين تسقي الظماء ، وتأسو الجرحىٰ ، وقاتلت ، وأبلت بلاءً حسنًا.

وكان ضمرة بن سعيد المازني يحدث عن جدته ، وكانت قد شهدت أُحدًا ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان** وفلان»[1]

وكانت غرة الحرب وطلعتها للمسلمين، ثم أشاحت بوجهها عنهم، فتناولتهم سيوف المشركين، تنهل من نحورهم، وتطعن في ظهورهم، فانكشفوا وولوا مدبرين، إلا عشرة أو نحوهم، وقفوا يدرأون عن رسول الله ﷺ ، ويحولون دون الوصول إليه.

هنالك جاء دور نسيبة ، فانتضت سيفها ، واحتملت قوسها ، وذهبت تصول وتجول بين يدي رسول الله ﷺ تنزع عن القوس ، وتضرب بالسيف، وحولها من الغُر المذاويد علي ، وأبو بكر ، وعمر ، وسعد ، وطلحة، والزبير، والعباس ، وولداها ، وزوجها ، فكانت من أظهر القوم أثرًا وأعظمهم موقفًا.

وكانت لا ترىٰ الخطر يدنو من رسول الله ﷺ حتىٰ تكون سداده

---

(١) «الطبقات» (٨/ ٣٠٢) ، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

وملء لهوته حتى قال ﷺ : «**ما التفت يمينًا ، ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني**»(١)

وعن عمارة بن غزية قال: قالت أم عمارة : رأيتني ، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ ، فما بقي إلا في نفير ما يتمون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه ، والناس يمرون به منهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلاً موليًا ومعه ترس، فقال: ألق ترسك إلى من يقاتل ، فألقاه ، فأخذته، فجعلت أترس به عن رسول الله ﷺ ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل ، لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم ، إن شاء الله

فيقبل رجل على فرس ، فيضربني ، وترست له، فلم يصنع شيئًا، وولى، فأضرب عرقوب فرسه ، فوقع على ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح : «**يا ابن أم عمارة! أمَّكَ ! أمَّكَ!**» قالت: فعاونني عليه، حتى أوردته شعوب(٢).

ومما حدث ابنها عمارة قال:

جرحت يومئذ جرحًا في عضدي اليسرى ، ضربني رجل كأنه الرقل (٣)، ومضى عني، ولم يعرج علي، وجعل الدم لا يرقأ، فقال رسول الله ﷺ : «**اعصب جرحك**»، فأقبلت أمي إلي ، ومعها

---

(١) «الطبقات» (٨/ ٣٠٣).

(٢) «الطبقات» (٨/ ٣٠٢) ، وشعوب من أسماء المدينة.

(٣) الرقل : جمع رقلة ، وهي النخلة العالية.

عصائب في حقوبها، قد أعدتها للجراح، فربطت جرحي، والنبي ﷺ واقف ينظر إلي، قالت: انهض بُني فضارب القوم، فجعل النبي ﷺ يقول: «**ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟**» قالت: وأقبل الرجل الذي ضرب ابني، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا ضارب ابنك**»، قالت: فاعترضت له فضربت ساقه، فبرك، قالت: فرأيت رسول الله ﷺ يتبسم حتى رأيت نواجذه، وقال: «**استقدت يا أم عمارة**» ثم أقبلنا نعله[1] بالسلاح حتى أتينا على نفسه، فقال النبي ﷺ: «**الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدوك، وأراك ثأرك بعينك**».

وأصيبت نسيبة في هذا اليوم بثلاثة عشر جرحًا، واحد منها غار في عاتقها، فنزف الدم منه[2]، وهي رغم ذلك كالصاعقة الساحقة، تضرب في نحور العدو، وترتمي بين صفوفهم، غير آبهة ولا دارية بالدم الناعر من جسمها، فقال رسول الله ﷺ: «**أمك! أمك! اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان**» فلما سمعت أمه قالت: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: «**اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة**»، فقالت: ما أبالي ما أصابني في الدنيا[3].

---

(١) عل الضارب المضروب: تابع عليه الضرب.

(٢) ولقد ظلت هذا الجرح سنة، وحين نادى منادي رسول الله ﷺ إلى «حمراء الأسد» بعد انتهاء غزوة أحد بساعات شدت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم رضي الله عنها ورحمها، انظر: «الطبقات» لابن سعد (٨/ ٣٠٢).

(٣) «الطبقات» لابن سعد (٨/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣).

وولدها حبيب بن زيد بن عاصم هو الذي أخذه مسيلمة الكذاب، فقطع أعضاءه عضواً عضواً ليرتد عن دينه، حتى مات تحت العذاب، وهو ثابت على دينه (١)، وبلغها مقتله، فاحتسبته عند الله، وأقسمت أن تقاتل مسيلمة حتى يقتل أو تقتل، فذهبت إلى اليمامة، واشتركت في الموقعة التي قتل فيها مسيلمة، وأبلت بلاءً حسنًا ـ وكانت قد أصبحت مسنة ـ حتى قطعت يدها وهي تحاول قتل مسيلمة، وجُرحت سوى يدها أحد عشر جرحًا، ثم عادت من المعركة بيد واحدة، والدم ينزف. وكان أبو بكر رضي الله عنه وهو خليفة يأتيها يسأل عنها، واستمر جرحها ينزف دمًا حتى فارقت الحياة، وأدركتها الوفاة رضي الله عنها (٢).

* بعد الانسحاب الرائع لخالد بن الوليد من سرية مؤتة، والذي أنقذ به جيشه من فناء محقق، لم يكد خالد بن الوليد رضي الله عنه يعود بجيشه، إلى ضواحي المدينة بـ (الجرف) حتى اصطدم بأهل المدينة يصيحون بالجيش: يا فرار! يا فرار!، فررتم في سبيل الله، ويحثون في وجوههم التراب، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: **«ليسوا بفرار، ولكنهم كُرار إن شاء الله»**.

---

(١) وقصة ذلك: أن مسيلمة لعنه الله وجد فرصة على حبيب، فقال له: هل تشهد أني رسول الله؟ فقال حبيب: لا أسمع، فقال مسيلمة: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ فقال حبيب: نعم، فأمر مسيلمة بقتل حبيب. كما في «الحلية» (١/ ٣٥٦)، فكان رجاله يقطعون جسمه عضواً عضواً، وفي كل مرة يعرضون عليه نفس السؤالين، فكان رضي الله عنه يجيب السؤال الأول بالصمم، والثاني بنعم، وكأنه رضي الله عنه كان يتمثل قول الشاعر:

أصم عن الشيء الذي لا أريده ... وأسمع خلقِ الله حين أريد

(٢) «الطبقات» (٨/ ٣٠٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨١).

ورغم ذلك ظل أهل المدينة حانقين على الجيش يؤنبون كل من لاقوه من أفراده ، حتى المرأة كانت لا تفتح الباب لزوجها منهم، وتذكره بأنه من الذين فروا ، وفضلوا الحياة على الاستشهاد في سبيل الله.

فقد روي عن أبي بكر بن عبدالله بن عتبة أنه كان يقول: ما لقي جيش بعثوا معنا ما لقي أصحاب مؤتة من أهل المدينة، لقيهم أهل المدينة بالشر، حتى إن الرجل لينصرف إلى بيته وأهله ، فيدق عليهم الباب ، فيأبون أن يفتحوا له ، ويقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟ يعني الذين استشهدوا(١)

■ وفي وقعة اليرموك حرض أبو سفيان ﷺ النساء ، فقال: من رأيتنه فارًا فاضربنه بهذه الأحجار والعصى حتى يرجع(٢).

وحمل المسلمون على الروم حملة منكرة، ودارت بينهم الحرب ، كما تدور الرحى، وتكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين ، فعادت الخيل تنكص بأذنابها راجعة على أعقابها منكشفة كانكشاف الغنم بين يدي الأسد، ونظرت النساء خيل المسلمين راجعة على أعقابها ، فنادت النساء : يا بنات العرب! دونكن والرجال ، ردوهم من الهزيمة حتى يعودوا إلى الحرب، قالت سعيدة بنت عاصم الخولاني : كنت في جملة النساء يومئذ على التل ، فلما انكشفت ميمنة المسلمين صاحت بنا عقيرة بنت غفار ، وكانت من المترجلات الباذلات ، ونادت : يا نساء العرب!

---

(١) انظر : «البداية والنهاية» (٤/ ٢٤١) ، و«غزوة مؤتة» لمحمد أحمد باشميل ص (٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١١).

دونكن والرجال، واحملن أولادكن على أيديكن، واستقبلنهن بالتحريض، فأقبلت النسوة ، واستقبلن من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة، ويرجمن وجوه الخيل بالحجارة، وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادي : قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته، وجعلت النساء يقلن لأزواجهن : لستم لنا ببعولة إن لم تمنعوا عنا هؤلاء الأعلاج [1]، وكانت خولة تقول هذه الأبيات:

يا هاربًا عن نسوة ثقات
لها جمال ولها ثبات
تسلموهن إلى الهنات
تملك نواصينا مع البنات
أعلاج سوء فسق عتاة
ينلن منا أعظم الشتات

قال ابن جرير : وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم، وقتلوا خلقًا كثيرًا من الروم، وكن يضربن من انهزم من المسلمين، ويقلن : أين تذهبون وتدعوننا للعلوج؟ فإذا زجرتهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال [2]. اهـ

---

(١) قال منهال : فقد كانت النساء أشد علينا غلظة من الروم اهـ من «فتوح الشام» للواقدي (١/ ١٢٩) ، وانظر «البداية والنهاية» (٧/ ١١)، والأعلاج : جمع علج: وهو الرجل من كفار العجم.

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١٣).

رجعت الفرسان تحرض الفرسان على القتال ، فرجع المنهزمون رجعة عظيمة، عندما سمعوا تحريض النساء ، وخرجت هند ابنة عتبة ، وبيدها مزهر ، ومن خلفها نساء من المهاجرين، وهي تقول الشعر الذي قالته يوم أحد:

نحن بنات طارق
نمشي على النمارق

مشي القطا الموافق
قيدي مع المرافق

ومن أبى نفارق
إن تغلبوا نعانق

أو تدبروا نفارق
فراق غير واثق

هل من كريم عاشق
يحمي عن العواتق

ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين، فرأتهم منهزمين ، فصاحت بهم: إلى أين تنهزمون؟ وإلى أين تفرون؟ من الله ومن جنته؟ هو مطلع عليكم، ونظرت إلى زوجها أبي سفيان منهزمًا؛ فضربت وجه حصانه بعمودها ، وقالت له: إلى أين يا ابن صخر؟ ارجع إلى القتال، ابذل

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ١٣).

مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله ﷺ ، قال: الزبير بن العوام: فلما سمعت كلام هند لأبي سفيان ، ذكرت يوم أحد، ونحن بين يدي رسول الله ﷺ ، قال: فعطف أبو سفيان عندما سمع كلام هند، وعطف المسلمون معه، ونظرت النساء ، وقد حملن معهم، وقد رأيتهن يسابقن الرجال ، وبأيديهن العمد بين أجل الخل[1] ، ولقد رأيت منهن امرأة، وقد أقبلت على علج عظيم ، وهو على فرسه ، فتعلقت به، ومازالت به حتى نكبته عن جواده، وقتلته، وهي تقول: هذا بيان نصر الله للمسلمين، وفي هذه الموقعة قتلت أسماء بنت يزيد بن السكن بعمود خبائها تسعة من الروم،[2] قال الزبير بن العوام رضي الله عنه : وحمل المسلمون حملة منكرة لا يريدون غير رضا الله ورسوله ﷺ ، فانكسر الروم[3].

* ويروي أنه لما أسر ضرار بن الأزور في وقعة أجنادين سار خالد ابن الوليد في طليعة من جنده لاستنقاذه ، فبينا هو في الطريق ، مرَّ به فارس معتقل رمحه ، لا يبين منه إلا حدق ، وهو يقذف بنفسه ، ولا يلوي على ما وراءه ، فلما نظر خالد قال: ليت شعري من هذا الفارس؟ وأيم الله إنه لفارس، ثم اتبعه خالد والناس من ورائه، حتى أدرك جند الروم، فحمل عليهم ، وأمعن بين صفوفهم ، وصاح بين جوانبهم ، حتى زعزع كتائبهم ، وحطم مواكبهم ، فلم تكن غير جولة جائل ، حتى

(١) كذا بالأصل.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩٧).

(٣) «فتوح الشام» (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨).

خرج وسنانه ملطخ بالدماء، وقد قتل رجالاً، وجندل أبطالاً، ثم عرض نفسه للموت ثانية، فاخترق صفوف القوم غير مكترث، وخامر المسلمين من القلق رافع بن عميرة : من الفارس الذي تقدم أمامك؟ فلقد بذل نفسه ومهجته ، فقال خالد: والله لأنا أشد إنكارًا وإعجابًا لما ظهر من خلاله وشمائله، وبينا القوم في حديثهم ، خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب، والخيل تعدو في أثره، وكلما اقترب أحد منه أولى عليه، فأنهل رمحه من صدره، حتى قدم على المسلمين، فأحاطوا به وناشدوه كشف اسمه، ورفع لثامه، وناشده ذلك خالد، وهو أمير القوم وقائدهم، فلم يجر جوابًا، فلما أكثر خالد أجابه وهو ملثم فقال: يا أمير المؤمنين إني لم أعرض عنك إلا حياء منك، لأنك أمير جليل، وأنا من ذوات الخدور، وبنات الستور، وإنما حملني على ذلك أني مُحْرَقَةُ الكبد زائدة الكمد، فقال خالد: من أنت؟ قالت: أنا **خولة بنت الأزور** ، كنت مع نساء قومي، فأتاني آت بأن أخي أسير ، فركبت ، وفعلت ما رأيت، هناك صاح خالد في جنده، فحملوا ، وحملت معهم خولة، وعظم على الروم ما نزل بهم منها، فانقلبوا على أعقابهم ، وكانت تجول في كل مكان؛ لعلها تعرف أين ذهب القوم بأخيها ، فلم تر له أثرًا ، ولا وقفت له على خبر، على أنها لم تزل على جهادها ، حتى استنقذ لها أخوها.

ومن مواقفها الرائعة، موقفها يوم أُسِرَ النساء في موقعة «صحورا» فقد وقفت في النساء ، وكانت قد أسرت معهن ، فأخذت تثير نخوتهن، وتضرم نار الحمية في قلوبهن، ولم يكن من السلاح شيء

معـهن، فقـالت: خذن أعمـدة الخيام، وأوتاد الأطناب . ونـحمل على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا عليهم، فقالت عفراء بنت غفار: والله ما دعوت إلى ما هو أحب إلينا مما ذكرت، ثم تناولت كل واحدة عمودًا من عمد الخيام، وصحن صيحة واحدة ، وألقت خولة على عاتقها عمودها، وتتابع النساء وراءها، فقالت لهن خولة : لا ينفك بعضكن عن بعض ، وكن كـالحلقة الدائرة . ولا تتـفرقن فـتملكن ، فـيقع بكن الـتشتـيت، واحطمن رمـاح القوم . واكسـرن سيـوفهم، وهجمت خـولة . وهجم النساء وراءها، وقاتلت بهن قتال المستيئس المستميت، حتى استنقذتهن من أيدي الروم، وخرجت وهي تقول:

نحـن بنات تـبع وحــمــيــر
وضــربـنا في القــوم ليس يـنكر
لأننـا في الحــرب نار تســعــر
اليـوم تسـقــون العـذاب الأكـبـر[١]

وبعد ..

فهـؤلاء هن أمهاتنا الأوليات، كـواكب السحر في سـماء العظائم، وأروع الغرر في جبين العزائم، وذلك شيء من حديث جهادهن، لا يدع لقائل قيلاً، ولا لمفتخر سبيـلاً، يشهد بسر من أسرار الوقة العظيمة، التي جعلت من العـرب الأميين خيـر أمة أخرجت للناس، إنهـا النفوس التي صاغـها الله برحـمته، ورواها من حكمـته . واصطنعـها لتـربية جنده،

(١) «السابق» (١/ ٢٨ ـ ٢٩).

وهيأها لتزكية خلقه:

سلام على تلك الخلائق إنها
مسلمة من كل عار ومأثم

وهذا موقف من مواقف الإيمان، وقد خالطت بشاشته قلب امرأة رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، حكاه عن الماضي القريب الأستاذ عبدالله بن عفيفي الباجوري رحمه الله:

«في أصيل يوم من صيف سنة ١٩١٤ كنت واقفًا في جمهور الواقفين في محطة طنطا، أترقب القطار القادم من الإسكندرية لأتخذه إلى القاهرة.

لقد كان كل في شغل بتلك الدقائق المعدودات يقضيها في توديع وإشفاق، وترقب وانتظار، وحمل متاع وتنسيق آخر، وكنت في شغل بصديق يجاذبني حديثًا شيقًا ممتعًا.

في تلك اللحظات الفانية، وبين ذلك الجمع المحتشد، راعَ الناس صياح وإعوال، وتهدج واضطراب، ومشادة ومدافعة، ثم أبصروا فإذا فتاة في السابعة عشرة من سنها، يقودها إلى موقف القطار شرطي عات شديد، وساعٍ من سعاة معتمدي الدول قوي عتيد، ومن خلفها شيخ أوروبي جاوز الستين مكتئب مهزول، وهي تدافع الرجلين حولها بيدين لا حول لهما.

أقبل القطار، ثم وقف! فكاد كل ينسى بذلك الموقف موقفه وما قصد له، ثم أصعدت الفتاة، وصعد معها من حولها، وعجلت أنا

وصاحبي فأخـذنا مقاعدنا حيث أخذوا مقـاعدهم، كل ذلك والفتاة على حـال من الحزن والكرب لا يجـمل مـعهـا الصـبر، ولا يحـمد دونهـا الصمت، سألت الشيـخ: ما خطبه؟ وما أمـر الفتاة؟ فقال ـ وقـد أشرقه الدمع ، وقطع صوته الأسى ـ :

«إنني رجل أسـباني ، وتـلك ابنتي ، عرض لهـا منذ حين مـا لم أعلمه، فـصحوت ذات صبـاح على صوتها تصلي صـلاة المرأة المسلمة، ومنذ ذلك اليوم احتجـزت ثيابها لتتولى أمر غـسلها ، وأرسلت خمارها الأبيض على صفحتي وجهها ، ومكشوف صدرها، ثم أخذت تنفذ وقتها في صلاة وصيام ، وسجـود وهجود ، وكانت تدعى «روز» فأبت إلا أن تسمى «فاطمة» ، وما لبثت أن تبعتها أخـتها الصغرى، فصارت أشبه بها من القطرة بالقطرة، والزهرة بالزهرة.

فزعت لهـول ذلك الأمر، وقصـدت أحد أساقـفتنا ، فأخـذ يعاني رياضتـها فلم يجد إلا شِـماسًا وامـتناعًا ، وعـزت على الرجل خيبـته، فكتب إلى معـتمد الدولة الأسبانـية ، بأمر الأسرة الخارجـة على دينها، وهنالك أمر المعتمد حكـومة مصر فساقت إليه الفتاة كـما ترى برغمها ، ورغم ذويها ليقذف بها بين جوانب دير تسترد فيه دينها القديم!

قلت : أو أرضاك أن تساق ابنتك سوق الآثمات المجرمات على غير إثم ولا جريمة؟

فزفر الرجل زفرة كاد يتصدع لها قلبه وأحناء ضلوعه، ثم قال: أما لقد خدعت ودهمت ، وغلب أمر الحكومتين أمري فما عساي أفعل؟

على أثر ذلك انثنيت إلى الفتاة ، وهي تعالج من أهوال الحزن وأثقاله ما تخشع الراسيات دون احتماله ، فقلت: «ما بالك يا فاطمة؟» وكأنها أنست مني ما لم تأنسه ممن حولها ـ فأجابتني بصوت يتعثر من الضنى : لنا جيرة مسلمون ، أغدو إليهم فأستمع أمر دينهم، حتى إذا أخذني النوم ذات ليلة رأيت النبي محمداً ﷺ في هالة من النور يخطف سناها الأبصار، يقول ـ وهو يلوح إليَّ بيده ـ : اقتربي يا فاطمة، ولو أنك أبصرتها ، وهي تنطق باسم النبي محمد ﷺ لرأيت رعدة تمشي بين أعطافها وأطرافها ، حتى تنتهي إلى أسنانها فتخالف بينها، وإلى لسانها فتعقله ، وإلى وجهها فتحيل لونه، فلم تكد تستتم جملتها حتى أخذتها رجفة فهوت على مقعدها كأنها بناء منتقض.

إلى ذلك الحد غشي الناس ما غشيهم من الحزن، وأبصرت بشيخ يتمشى في ردهة القطار فطلبت إليه أن يؤذن في أذنها، فلما انتهى إلى قوله : أشهد أن محمداً رسول الله ، تنفست الصعداء ، وأمعنت في البكاء ، وعاودتها سيرتها الأولى، فلما أفاقت قلت لها: ومم تخافين وتفزعين؟ قالت: إنه سيؤمر بي إلى دير... حيث ينهلون من السياط دمي، ولست من ذلك أخاف ، إلا أن أخوف ما أخاف يومئذ أن يحال بيني وبين صلاتي ونسكي، قلت لها: يا فاطمة أولا أدلك على خير من ذلك؟ قالت: أجل، قلت: إن حكم الإسلام على القلوب ، فما عليك لو أقررت بين يدي المعتمد بدينك القديم ، وأودعت الإسلام بين شغاف قلبك، حتى لا يفوتك أن تقيمي شعائره حيث تشائين؟ هنالك نظرت إليَّ نظرة تضاءلت دونها حتى خفيت على نفسي ، ثم قالت: دون ذلك حز

الأعناق وتفصيل المفاصل! دعني! فإنني إن أطعت نفسي ، عصاني لساني وكان ضلالاً ما توسلت به أنا وأبوها ومن حولها .

كان ذلك حتى أوفينا على القاهـرة ، فحيل دونها ، ولم أعلم بعد ذلك شيئًا من أمر فاطمة ؛ لأني لم أستطع أن أعلم ، رحمة الله وبركاته عليك يا فاطمة، فما أنت أول شهيدات الرأي الحر ، والإيمان الوثيق[1]» .

● ● ●

---

(١) «المرأة العربية» (٢/٨ ـ ١١) نقلاً من «عودة الحجاب» (١/ ٥٤٩ ـ ٥٦٤).

المرأة المهاجرة

في سبيل الله

مع أن المرأة ضعيفة ، إلا أنها فارقت الأوطان والأهل والأحباب مهاجرة في سبيل الله تفر بدينها من الفتن.

كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: فذكر الحديث... وفيه فدخلت أسماء بنت عميس ـ وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجروا إليه، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس ، قال عمر: الحبشية هذه؟ آلبحرية هذه؟ فقالت أسماء: نعم، فقال عمر : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله ﷺ ، فغضبت ، وقالت كلمة : كذبت يا عمر ، كلا والله! كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء في الحبشة ، وذلك في الله ، وفي رسوله، وأيم الله لا أطعم طعامًا ، ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول

الله ﷺ ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله، ووالله لا أكذب ، ولا أزيغ ، ولا أزيد على ذلك ، قال: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله! إن عمر قال كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ **«ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان»**(١)

وانظر إلى تلك المرأة التي تحملت الصعاب والمخاطر من أجل الحفاظ على هذا الدين ، إنها أسماء بنت أبي بكر ، ذات النطاقين، بذلت نفسها لكي تأتي بالطعام والشراب لرسول الله ﷺ وأبيها في أثناء الهجرة.

عن وهب بن كيسان قال: كان أهل الشام يُعيِّرون ابن الزبير يقولون: يابن ذات النطاقين ، فقالت له أسماء : يا بني إنهم يعيرونك بالنطاقين، وهل تدري ما كان النطاقين؟ إنما كان نطاقي شققته نصفين فأوكيت قربة رسول الله ﷺ بأحدهما ، وجعلت في سفرته آخر، قال: فكان أهل الشام إذا عيروه بالنطاقين يقول: إيهًا والإله تلك شكاة ظاهر عنك عارها(٢).

وعن أبي نوفل رأيت عبدالله بن الزبير على عقبة المدينة قال: فجعلت قريش تمر عليه والناس ، حتى مر عليه عبدالله بن عمر ، فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت

---

(١) رواه البخاري (٤٢٣٠) ، ومسلم (٢٥٠٢ ، ٢٥٠٣).

(٢) رواه البخاري (٥٣٨٨).

أنهاك عن هذا، أمـا والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أمـا والله إن كنت ما علمت صوامًا قـوامًا وصولاً للرحم ، أما والله لأمـة أنت أشرها ، لأمة خير ،ثم نفذ عـبدالله بن عمر ، فبلغ الحجاج موقف عـبدالله بن عمر ، وقوله فأرسل إليه فأنزل عن جذعة فألقي في قبور اليهود ، ثم أرسل إلى أمه أسـماء بنت أبي بكر فأبت أن تـأتيه فأعاد عـليها الرسـول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك ، قال: فأبت ، وقالت: والله لا آتيك حتى تبعـث إلي من يسحبني بقروني، قـال: فقال: أروني سيـتي فأخذ نعليه ، ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتني صنعت بعد والله ؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنيـاه ، وأفسد عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول له : يابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت أرفع به طعـام رسول الله ﷺ ، وطعـام أبي بكر من الدواب، وأما الآخـر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه ، أمـا إن رسول الله ﷺ حدثنا : «أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا» فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه ، قال: فقام عنها ولم يراجعها(١)

قال الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم:

«وخرجت أم أيمن مهاجرة ، وليس معها زاد ولا ماء، فكادت تموت من العطش ، فلما كان وقت الفطر ـ وكانت صائمة ـ سمعت حسًا على رأسها ، فرفعته فـإذا دلو معلق ، فشربت منه حتى رويت ، وما عطشت بقية عمرها(٢)

آمنت أم كلثـوم بنت عقـبة ـ وهو سـيد من سـادات قريش ـ دون رجال بيتها، وفارقت خدرها ، ومستقر أمنها ودعتها ، تحت جنح الليل،

---

(١) رواه مسلم (٢٥٤٥).

(٢) انظر : «حلية الأولياء» (٢/ ٦٧) ، و«الطبقات» (٨/ ١٦٢).

فريدة شريدة، تطوي بها قدماها ثنايا الجبال ، وأغوار التهائم بين مكة والمدينة ، إلى مفزع دينها ، ودار هجرتها ، إلى رسول الله ﷺ ، ثم أعقبتها بعد ذلك أمها، فاتخذت سنتها ، وهاجرت هجرتها ، وتركت شباب أهل بيتها وكهولهم ، وهم في ضلال يعمهون[١] .

ذلك قليل من كثير مما يشهد للمرأة المسلمة باحتكام الدين في ذات نفسها ، واستهانتها بالدم والروح في سبيله .

ومن هذا القبيل مواقف تكشف وضوح قضية «الولاء والبراء» في حس المرأة المسلمة وضوحًا لا يخالطه شائبة ضعف ، أو انهزام ، أو هوادة مع مَنْ حادَّ الله عز وجل ورسوله ﷺ .

فهذه أسماء بنت أبي بكر ﵄ وقد جاءتها أمها «قُتَيلَة» راغبة في صلتها ، فتوقفت حتى سألت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن أمي قدمت ، وهي راغبة ، أفأصلها؟ قال: «**نعم! صلي أمك**»[٢] وفيها نزل قوله تبارك وتعالى : ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة:٨].

وعن يزيد بن الأصم قال: تلقيت عائشة ، وهي مقبلة من مكة ، أنا وابن أختها ولد لطلحة ، وقد كنا وقعنا في حائط بالمدينة، فأصبنا منه،

---

(١) انظر : «الطبقات» (٨/ ١٦٧)، و«المرأة العربية» (٢/ ٧٥).

(٢) رواه البخاري (٥٩٧٨) ، ومسلم (١٠٠٣).

فبلغها ذلك، فأقبلت على ابن أختها تلومه، ثم وعظتني موعظة بليغة، ثم قالت: أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك في بيت نبيه، ذهبت والله ميمونة ، ورمي بحبلك على غاربك! أما إنها كانت من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم[١] .

وعن يزيد : أن ذا قرابة لميمونة دخل عليها ، فوجدت منه ريح شراب ، فقالت : «لئن لم تخرج إلى المسلمين ، فيجلدوك ، لا تدخل علي أبدًا»[٢] .

كذلك تأثرت المرأة بأدب الإسلام ، وخرجت به عما احتكم بها في الجاهلية من عادة نافرة ، وتقليد ذميم[٣] .

● ● ●

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٩٩) ، والحاكم (٤/ ٣٢).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٩٩).

(٣) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٤٤ _ ٥٤٥).

المرأة ووقوفها مع زوجها

إن من المعاشرة بالمعروف أن تحسن المرأة تبعلها لزوجها ، وتنظر ما يحبه ؛ فتفعله ، وتبذل قصارى جهدها في ذلك ، وتنظر ما تكرهه ؛ فتكون أشد بعداً منه ، وتحاول أن تحقق معنى السكينة، التي في قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ [الروم: ٢١].

وصدق النبي ﷺ إذ يقول : «**الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة**»[١]

«أن تهيء للرجل زاوية أمن وسكون وراحة في هذه الدنيا المملوءة بالمتاعب والمشاق، وهذه الزاوية هي حياة المرء العائلية، التي قد تهاون بأمرها أهل الغرب لأجل المنافع المادية، والحال أن لهذه الشعبة من حياة المرء من الخطورة والأهمية ما لسائر شعب التمدن والعمران»[٢]

ولن نكثر من ذكر حقوق المرأة على زوجها ، وحقوق الزوج على زوجته»[٣] . فلو بذل كل منهما ما عليه تجاه الآخر لقويت الأسرة في ظل

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٧).

(٢) «الحجاب للمودودي» (٢٤٤) نقلاً عن «الأمومة» (١/ ١٣٣).

(٣) انظر ذلك بتوسع في «عودة الحجاب» (٢/ ٣٧٠ ـ ٤٩٨).

الحب والوئام ، وأنجبت أبطالاً يحملون راية هذا الدين فضلاً عن امتثالهم لأوامر رب العالمين ، وها نحن نضرب أروع الأمثلة لمساندة المرأة لزوجها على مر العصور.

*** خديجة بنت خويلد :**

ومؤازرتها للنبي ﷺ في دعوته إلى الله عز وجل ، تلك المرأة التي أدركت بعقلها ـ ولم ينزل وحي بعد ـ أن ما يتصف به النبي ﷺ من صفات حميدة ليس سببًا للخزي ، بل هي سبب للرفعة والسمو.

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي : الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال: «**اقرأ! قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني ، فقال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني ، فقال:﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم ﴾** [العلق: ١ - ٣].

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها قال: «**زملوني ! زملوني!**» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ : «**لقد خشيت على نفسي**»

فقالت خديجة: كلا ، والله ما يخزيك الله أبدًا ؛ إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ـ ابن عم خديجة ـ وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي ، فقالت له خديجة : يابن عم! اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يابن أخي! ماذا ترى، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، ياليتني فيها جذعًا ، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال: «أومخرجي هم» قال: نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي»[١] .

*** وعلى المرأة أن تلتمس سبل الراحة لزوجها ، وأن تقوم على خدمته وتدبير منزله.**

عن علي أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي ﷺ بسبي ، فانطلقت ، فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا ـ وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبت لأقوم فقال: «**على مكانكما**» ، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري ، وقال: «**ألا أعلمكما خيرًا مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعًا وثلاثين، وتسبحان ثلاثًا وثلاثين، وتحمدان ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**»[٢] .

---

(١) رواه البخاري (٣) ، ومسلم (١٦٠).

(٢) رواه البخاري (٣٧٠٥) ، ومسلم (٢٧٢٧) ، وانظر : «الإصابة» (٨/ ٥٨ ـ ٥٩).

*** أسماء بنت أبي بكر :**

ووقوفها مع زوجها الزبير بن العوام ﷺ وبُعدها عما يؤذي زوجها:

عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت: تزوجني الزبير ، وماله في الأرض من مال، ولا مملوك ، ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه ، وأستقي الماء وأخزر غربه وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار ، وكن نسوة صدق ، وكنت أنقل النوىٰ من أرض الزبير ـ التي أقطعه رسول الله ﷺ ـ علىٰ رأسي ، وهو مني علىٰ ثلثي فرسخ ، فجئت يومًا والنوىٰ علىٰ رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار ، فدعاني ، ثم قال: «إخْ ، إخْ» ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته ـ وكان أغير الناس ـ فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت ، فمضىٰ، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلىٰ رأسي النوىٰ ، ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب فاستحييت منه، وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوىٰ كان أشد علي من ركوبك معه ، قالت: حتىٰ أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسة الفرس ، فكأنما أعتقني»[1] .

ومما جاء في حيلة المرأة في الخير ما قالته أسماء ﷺ : «فجاءني رجل فقال يا أم عبدالله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك قالت: إن رخصت لك ، أبىٰ ذلك الزبير ، فتعال فاطلب إليّ والزبير شاهد ، فجاء فقال: يا أم عبدالله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك ،

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٤) ، ومسلم (٢١٨٢).

فقالت: مالك بالمدينة إلا داري ؟ فقال لها الزبير : مالكِ أن تمنعي رجلاً فقيراً يبيع ، فكان يبيع إلى أن كسب»[١].

قال النووي : قولها في الفقير الذي استأذنها في أن يبيع في ظل دارها ، وذكرت الحيلة في استرضاء الزبير هذا فيه حسن الملاطفة في تحصيل المصالح ومداراة أخلاق الناس في تتميم ذلك ، والله أعلم[٢]

لقد عرفت أسماء ﵄ طبيعة زوجها ، وما كان عليه من شدة الغيرة، وعز عليها أن تمنع الخير عن هذا الفقير المسكين، فحبكت القصة، ونجحت حيلتها، فأرضت ربها سبحانه وتعالى، ومن ثم لم تُغضب زوجها ﵁[٣]

وعلى المرأة أن تتخير الوقت المناسب لإخباره بالأخبار السيئة والتلطف في ذكر المصائب ، وانظري أختي المسلمة إلى هذه القصة الممتعة ، وحسن تصرف أم سليم مع زوجها عندما مات طفلهما.

عن أنس بن مالك ﵁ قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي ، فخرج أبو طلحة فقبض الصبي ، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء ، فتعشى ، ثم أصاب منها ، فلما فرغ قالت: وار الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «**أعرستم الليلة؟**» قال: نعم ، قال: «**اللهم بارك**

(١) رواه مسلم طرف حديث (٢١٨٢).

(٢) شرح مسلم (١٤ / ١٦٧).

(٣) «الأمومة» (٢/ ٥٦٨).

لهما في ليلتهما» فولدت غلامًا قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ، فأتى به النبي ﷺ، وأرسلت معه بتمرات فأخذه النبي ﷺ فقال: «أمعه شيء؟» قالوا: نعم تمرات فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذ من فيه فجعلها في فيّ الصبي وحنكه به وسماه عبدالله»[1].

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث مناقب لأم سليم رضي الله عنها من عظيم صبرها، وحسن رضاها بقضاء الله تعالى وجزالة عقلها في إخفائها موته على أبيه في أول الليل ليبيت مستريحًا بلا حزن، ثم عشته، وتعشت، ثم تصنعت له، وعرضت له بإصابته فأصابها، وفيه استعمال المعاريض عند الحاجة لقولها هو أسكن مما كان، فإنه كلام صحيح مع أن المفهوم منه أنه قد هان مرضه، وسهل، وهو في الحياة وشرط المعاريض المباحة أن لا يضيع بها حق أحد والله أعلم[2].

«فهلم يا أخواتنا، فاتخذن من أم سليم أسوة، وقدوة في مواقفها المشرفة العظيمة ... في أسلوبها وحكمتها ودعوتها.

ولا تضعن الأوقات في قيل وقال... في الغيبة في المعاصي.

يلتقي الرجال في مجال دعوة لله تعالى، وترى نساءهم قد اجتمعن على المعاصي، والحديث عن التعدد والاستهتار فيه، والطعن في أفاضل الرجال.

---

(١) رواه البخاري (٥٤٧٠)، ومسلم (٢١٤٤)، وقد جمع طرق الحديث العلامة الألباني في «أحكام الجنائز» (٢٦).

(٢) شرح مسلم (١٤ / ١٢٤).

ترىٰ هذا ـ وللأسف ـ ممن ينبغي أن يكن من الخيار ، فكيف حال الشرار؟!

هيا يا أخواتنا ! اتخذن من أم سليم رضي الله عنها قدوة ، أمًّا ، وزوجة ، ومربية فاضلة..

* تعلمن منها حب الإسلام.

* تعلمن منها حب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

* تعلمن منها الحكمة في الدعوة.

* تعلمن مَن تزوجن بناتكن ومَن ترفضنَ.

* تعلمن منها الصبر الجميل.

* تعلمن منها طاعة الزوج.

* تعلمن منها حسن تربية الأبناء.

* وأنتم يا إخواننا الأفاضل.

* ضعوا هذه القصة في قلوبكم، وأجعلوها في سلوككم ماستطعتم إلىٰ ذلك سبيلاً.

* وتحدثوا بهذه القصة لأزواجكم ليتأثرن بها ، وليسرن علىٰ طريقها»[1].

---

(١) «من مواقف الصحابة» (صـ ١٨٢ ـ ١٨٣).

وعلى المرأة ترقب أحوال زوجها ، وأن تنظر : هل يغضب مما يصدر منها أم لا ؟

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ ، فاستأذنت عليه ، وهو مضطجع معي في مرطي ، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، وأنا ساكتة، قالت: فقال لها رسول الله ﷺ : «**ألست تحبين ما أحب؟**» فقالت: بلى قال: «**فأحبي هذه**» قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله ﷺ ، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء، فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقالت فاطمة: والله إلا أكلمه فيها أبدًا، قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش ، زوج النبي ﷺ ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عنده، وأتقى لله، وأصدق حديثًا ، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى ، ماعدا سورة من حد كانت فيها تسرع منها الفيئة، قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها . على الحالة التي دخلت فاطمة عليها ، وهو بها ، فأذن لها رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت : ثم وقعت بي. فاستطالت علي، وأنا أرقب رسول الله ﷺ ، هل يأذن لي فيها ، قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر، قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها حين

أنحيت عليها قالت: فقال رسول الله ﷺ - وتبسم - : «إنها ابنة أبي بكر»[١].

وعلى المرأة أن تسعى لراحة زوجها ، وإزالة النكد عنه.

«وهذه سعدى زوج طلحة بنت عبيدالله تسعى لهذا الغرض مع زوجها ، قالت: دخلت يومًا على طلحة - تعني : ابن عبيدالله - فرأيت منه ثقلاً ، فقلت له: مالك؟ لعلك رابك منا شيء فنعتبك؟

قال : لا ، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت، ولكن اجتمع عندي مال، ولا أدري كيف أصنع به؟

قالت: وما يغمك منه؟ ادع قومك ، فاقسمه بينهم.

فقال: يا غلامُ ! علي بقومي.

فسألت الخازن : كم قسم؟

قال: أربع مئة ألف»[٢].

انظري أختي المسلمة حين قالت سعدى:

«لعلك رابك منا شيء ، فنعتبك».

كانت تشك في نفسها أنها السبب فيما هو فيه من ضيق وكرب.

لقد اتهمت نفسها مع أنها بريئة ، لا كشأن الكثير من نساء اليوم،

---

(١) رواه مسلم (٢٤٤٢).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٩٥) ، وإسناده حسن ، كما في «صحيح الترغيب» رقم (٩١٢) ، وانظر «السير» (٣٢٨) ، و«الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم (١/ ١٤٥).

يجلبن الهموم والغموم لأزواجهن، ومع ذلك فإنهن يبرئن أنفسهن، ويلصقن الاتهامات بأزواجهن ، وأنهم هم أسباب الكروب، وهن بذلك يصنعن البلاء والمصائب ، وأسباب الشقاء؛ لأنهن لا يفكرن في إصلاح أنفسهن، فقد حكمن مقدمًا في أي أمر ؛ على براءة أنفسهن ، واتهام أزواجهن.

أما اتهام الزوجة نفسها؛ فثمرته إصلاح نفسها، وتقويم اعوجاجها، وصفاء جو الأسرة، بحيث تستطيع تربية الأبناء تربية صالحة نافعة، وبذلك يصلح المجتمع ، وتصلح الأمة.

وماذا إذا حصل ما لا ينبغي حصوله من الزوجة؟

«. . . فنعتبك».

الاعتراف بالعيب ، والرجوع عن الذنب والإساءة ، لا الإصرار على ما هي عليه؛ لأنه أساء يومًا معها. فبإصراره وإصرارها تفتح أبواب الشقاء والعناء والبلاء. فلابد من الرجوع السريع عن الذنب والعيب والإساءة . قال : «لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت».

لنعم الزوجة أنت ، إنها زوجة صالحة طيبة مطيعة لزوجها ، وإنه لزوج صالح وفيٌّ لزوجته ، لا ينسى الجميل ، ولا المعروف، هذان مثال الزوجين الصالحين السعيدين اللذين تآلفت قلوبهما وتحابا وأخلصا لبعضهما ، وسعيا لمرضاة الله تعالى[1].

(١) «من مواقف الصحابة» (١٩٦ ـ ١٩٨).

وعلى المرأة أن تشكر له ما يجلب لها من طعام وشراب وثياب، وغير ذلك مما هو في قدرته، وتدعو له بالعوض والإخلاف. ولا تكفر نعمته عليها.

وأن تحرص على عدم إيذاء زوجها. وتعلم أن هذا الإيذاء سبب لدخولها النار. ودعاء الحور العين عليها.

وقد سبق حديث أبي سعيد الخدري. عن النبي ﷺ قوله: «**يا معشر النساء! تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» فقلن: وبم يا رسول الله؟! قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير ...**» الحديث[1].

وها هو الخليل إبراهيم عليه السلام ينصح ولده إسماعيل عليه السلام بفراق زوجته، لما وجدها ساخطة، بخيلة، غير محسنة لاستقبال الأضياف.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل. اتخذت منطقًا لتقفي أثرها على سارة... فذكر الحديث وفيه: وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشتهم، وهيئتهم، فقالت: نحن بِشَرٍّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك أقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألني عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك، قال: ذاك

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٢).

أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك ، فطلقها»(١).

وعن معاذ بن جبل ، عن النبي ﷺ قال: **«لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا ؛ إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»**(٢).

وإذا قَلَّ مال الزوج واحتاج ، فعليك بمساعدته ، وأسوتك في ذلك أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها حين واست زوجها رسول الله ﷺ بمالها ، وكذلك زينب امرأة ابن مسعود ، وقصة تصدقها على زوجها مشهورة ، وقد سبق ذكرها تحت باب «المرأة المتصدقة».

وعلى المرأة المسلمة أن تنظر إلى ما يحبه زوجها فتاتيه ، وما يبغضه فتتجنبه.

روي أن شريحًا القاضي قابل الشعبي يومًا ، فسأله الشعبي عن حاله في بيته، فقال له : من عشرين عامًا لم أر ما يغضبني من أهلي ، قال له : وكيف ذلك؟ قال شريح : من أول ليلة دخلت على امرأتي ، رأيت فيها حسنًا فتانًا، وجمالاً نادرًا ، قلت في نفسي: فلأطهر وأصلي ركعتين شكرًا لله، فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي ، وتسلم بسلامي ، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء؛ قمت إليها ، فمددت يدي نحوها ، فقالت: على رسلك يا أبا أمية ، كما أنت ، ثم

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦٤).

(٢) إسناده حسن . رواه الترمذي (١١٧٤) ، وابن ماجه (٢٠١٤) ، وقد توسعت في الكلام عليه في تحقيقي لـ «حادي الأرواح» (صـ ٢٨٦). ط دار ابن رجب.

قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلي على محمد وآله ، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتيه، وما تكره فأتركه، وقالت: إنه كان في قومك من تتزوجه من نسائكم، وفي قومي من الرجال من هو كفء لي ، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان مفعولاً، وقد ملكت ؛ فاصنع ما أمرك به الله، إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك .

قال شريح : فأحوجتني ـ والله يا شعبي ـ إلى الخطبة في الموضع ، فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلي على النبي وآله وأسلم، وبعد... فإنك قلت كلامًا إن ثبت عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها.

فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري ، فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ، ومن تكره فأكره؟ قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح : فبت معها بأنعم ليلة ، وعشت معها حولاً لا أرى إلا ما أحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فإذا بفلانة في البيت ، قلت: من هي؟ قالوا: ختنك ـ أي أم زوجة ـ فالتفتت إليّ، وسألتني : كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة، قالت: يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالين: إذا ولدت غلامًا ، أو حظيت عند زوجها . فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شرًا من المرأة المدللة، فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب . فمكثت معي

عشرين عامًا لم أعقب عليها في شيء إلا مرة ، وكنت لها ظالمًا(١).

وينبغي لأبوي المرأة ـ خصوصًا الأم ـ أن يعرفاها حق الزوج، وتبالغ الأم في وصيتها ، روي أن أسماء بن خارجة الفزاري(٢) قالت لابنته ـ عند التزوج ـ : إنك خرجت من العش الذي فيه درجت، فصرت إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضًا، يكن لك سماء، وكوني له مهادًا، يكن لك عمادًا، وكوني له أمة، يكن لك عبدًا، لا تلحفي به فيقلاك(٣)، ولا تباعدي عنه فينساك، إن دنا منك فاقربي منه، وإن نأى عنك فابعدي عنه، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشمن منك إلا طيبًا، ولا يسمع منك إلا حسنًا، ولا ينظر إلا جميلاً(٤).

وأوصى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال: إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب ، فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل ، فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء.

وقال رجل لزوجته:

خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في ثورتي حين أغضب

---

(١) انظر : «أحكام النساء لابن الجوزي» (صـ ١٣٤ ـ ١٣٥) ، و«أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ٤١٧) ، و«عودة الحجاب» (٢/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩).

(٢) انظر ترجمته في «الإصابة» (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦).

(٣) أي : لا تلحي عليه فيكرهك.

(٤) انظر : «أحكام النساء» لابن الجوزي (صـ ٧٣).

ولا تنقريني نقرك الدف مرة
فإنك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى
ويأباك قلبي والقلوب تقلب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وقال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء ستة : لا أنانة ، ولا منانة ، ولا حنانة، ولا تنحكوا حداقة ، ولا براقة ، ولا شداقة.

أما الأنانة : فهي التي تكثر الأنين والتشكي ، وتعصب رأسها كل ساعة، فنكاح المراضة ، أو نكاح المتمارضة لا خير فيه .

والمنانة : التي تمن على زوجها فتقول : فعلت لأجلك كذا وكذا.

والحنانة : التي تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر، وهذا أيضًا مما يجب اجتنابه.

والحداقة : التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه، وتكلف الزوج شراءه .

والبراقة : تحتمل معنيين : أحدهما : أن تكون طول النهار في تصقيل وجهها ، وتزيينه ؛ ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع، والثاني: أن تغضب على الطعام ، فلا تأكل إلا وحدها، وتستقل نصيبها

من كل شيء، وهذه لغة يمانية ، يقولون: برقت المرأة، وبرق الصبي الطعام، إذا غضب عنده.

والشداقة : المتشدقة الكثيرة الكلام(١).

وأوصت أمامة بنت الحارث ابنتها حين زفت إلى زوجها ، فقالت: أي بنية إن الوصية لو كانت تترك لفضل أدب، أو لتقدم حسب، لزويت ذلك عنك، ولأبعدته منه، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل.

أي بنية : لو أن المرأة استغنت عن زوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عن ذلك، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلقوا.

أي بنية : إنك قد فارقت الحِمى الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك مليكًا ، فكوني له أمة ؛ يكن لك عبدًا وشيكًا ، واحفظي له خصالاً عشرًا ، تكن لك ذخرًا.

أما الأولى والثانية : فالصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، فإن في القناعة راحة القلب ، وفي حسن المعاشرة مرضاة للرب.

وأما الثالثة والرابعة : فالمعاهدة لموضع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة : فالتعاهد لوقت طعامه، والتفقد لحين منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

---

(١) «الإحياء» (٤/ ٧١٢ ـ ٧١٣).

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشين له سراً ، ولا تعصين له أمراً، فإنك إن أفشيت سره ، لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، واتقي مع ذلك كله الفرح إذا كان ترحًا ، والاكتئاب إذا كان فرحًا ، فإن الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظامًا أشد ما يكون لك إكرامًا ، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة، واعلمي يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وتقدمي هواه على هواك فيما أحببت أو كرهت، والله يضع لك الخير وأستودعك الله[1]

وعلى المرأة المسلمة أن تتزين لزوجها استجابة لله ورسوله ، قال رسول الله ﷺ : «**خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها**»[2] .

فعلى المرأة أن تتزين لزوجها ، ومن حقه عليها أن تفعل [3]، وإن

---

(١) انظر : «الأحكام النساء» لابن الجوزي (صـ ٧٤ ـ ٧٨) ، و«عودة الحجاب» (١/ ٥٢٦ ـ ٥٢٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم ، كما في تفسير ابن كثير (١/ ٤٩١) وروى نحوه النسائي (٦/ ٦٨)، والحاكم (٢/ ١٦١)، وأحمد (٢/ ٢٥١ ، ٤٣٢، ٤٣٨) ، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٨٣٨).

(٣) وشرط تزين المرأة ألا تظهره لأجنبي ، وألا تكون الزينة محرمة كوصل الشعر، والنمص، والوشم، وتفليج الأسنان، وغيره مما نهى عنه الشارع، فلا يحل التزين به، ولو أمر به الزوج ، قال ﷺ : «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**».

تجاوزت الشطر الأعظم من عمرها، فذلك من أسباب الألفة والتودد، لكن لا تبالغ في ذلك حتى يضيع وقتها الثمين أمام المرآة، فهذا من ضعف العقل، وخلل التصور.

ومن الإشارات النبوية إلى أهمية التزين للأزواج وأثره في التواد والتحاب بين الزوجين: ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل، فقال: «**أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً - يعني: عشاءً - لكي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة**»[1]، وفي رواية للبخاري: «**إذا أطال أحدكم الغيبة، فلا يطرق أهله ليلاً**».

وفي هذا دليل على أنه يستحب التأني للقادم على أهله؛ حتى يشعروا بقدومه قبل وصوله بزمان يتسع لما ذكر من تحسين هيئات من غاب عنهن أزواجهن، وذلك لئلا يهجم على أهله، وهن في هيئة غير مناسبة، فيقع النفور عنهن، وفي هذا الحديث بيان أن المرأة مادام زوجها حاضراً مقيماً فهي دائمة التزين، ولا تهجر هذه الخصلة إلا في غياب زوجها[2].

---

(١) رواه البخاري (٩/٢٩٦ - ٢٩٧) في النكاح: باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة، وفي الحج، ومسلم رقم (٧١٥) في الإمارة: باب كراهة الطروق، وهو الدخول ليلاً، وأبو داود رقم (٢٧٧٦، ٢٧٧٨) في الجهاد: باب في الطروق، والترمذي رقم (١١٧٢) في الرضاع: باب رقم (١٧)، وفي الاستئذان رقم (٢٧١٣)، والشعثة: البعيدة العهد بالغسل، وتسريح الشعر والنظافة، والمغيبة: التي غاب عنها زوجها، وعن زينب امرأة عبدالله قالت: وكان عبدالله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح، وبزق، كراهية أن يجم منا على شيء يكرهه.

(٢) «عودة الحجاب» (٢/٢٨٧).

وكانت عُليه بنت المهدي كثيـرة الصلاة ، ملازمة للمحراب، وقراءة القرآن، وكانت تتزين ، وتقول: ما حرم الله شيئًا إلا وقد جعل فيما أحل عوضًا منه، فماذا يحتج العاصي؟ اهـ

وقال الأصمعي : رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر ، وهي مختضبة، وبيدها سبحة، فقلت : ما أبعد هذا من هذا! فقالت:

ولله مني جانب لا أضيعه

وللهو مني والبطالة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له [١]. اهـ

وقد راج بين العرب قـديمًا مثل يقول : «أطيب الطيب الماء» ؛ لأنه زينة المرأة عندهم هي : الـنظافة في الدرجـة الأولى ، ومن هنا فـإن من واجب الزوجة أن تسـعى إلى إرضاء زوجها ، وإدخال السـرور على قلبه إذ جاء بيته، فتستقبله مـتزينة متنظفة، لا تبدي تعبًا من عمل ، ولا نفورًا من أمر، متحرية إدخال السرور على قلبـه، فتحمل متاعه ، وتعينه على نزع ثيابه، وتقدم إليـه ما يلبس في بيته، وذلك مدعاة لسـروره وسعادته بامرأته.

ويؤكد ﷺ هذا المعنى بقوله فـيما رواه عنه عـبدالله بن عمرو رضي الله عنه:

(١) «أحكام النساء» (صـ ١٣٨).

«الدنيا كلها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»(١). أي أن الدنيا متاع زائل، وخير ما فيها من هذا المتاع: المرأة الصالحة؛ لأنها تسعد صاحبها في الدنيا، وتعينه على أمر الآخرة، وهي خير وأبقى.

وقد روي أن أبا الأسود الدؤلي قال لبنيه:

يا بنيَّ! قد أحسنت إليكم صغارًا، وكبارًا، وقبل أن تُولدوا. قالوا: كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات من لا تُسَبُّون بها(٢).

وشكا رجل لصديقه عقوق ولده له، وسوء معاملته، ودناءة طبعه، فقال: لا تلم أحدًا، ولكن توجه باللوم إلى نفسك؛ لأنك لم تتخير أمه، وقديمًا قال الناس: كادت المرأة أن تلد أخاها(٣).

وقال الأصمعي:

ما رفع أحد نفسه - بعد الإيمان بالله تعالى - بمثل منكح صدق، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله تعالى بمثل منكح سوء(٤).

وقال الشاعر:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٦٨)، ومسلم رقم (١٤٦٧) في الرضاع، والنسائي (٦/ ٦٩) في النكاح. وابن ماجه رقم (١٨٥٥)، والبيهقي (٧/ ٨٠) في النكاح.

(٢) «أدب الدنيا والدين» (صـ ٨٢).

(٣) «نظرات في الأسرة المسلمة» (صـ ١٤٣).

(٤) «مرآة النساء فيما حسن منهن وساء» (صـ ١٦٠).

وليس النبت ينبت في جنان
كمثل النبت ينبت في الفلاة

وهل يرجى لأطفال كمال
إذا ارتضعوا ثُدِيَّ الناقصات (١)

وقال الإمام ابن عبدالقوي في «منظومة الآداب»:

وخير النسا من سرت الزوج منظرا
ومن حفظته في مغيب ومشهد

قصيراً ألفاظ قصيراً بيتها
قصيرة طرف العين عن كل أبعد

عليك بذات الدين تظفر بالمنى الـ
ودود الولود الأصل ذات التعبد (٢)

ولله در من قال:

سعادة المرء في خمس إذا اجتمعت
صلاح جيرانه والبر في ولده

وزوجة حسنت أخلاقها وكذا
خل وفي ورزق المرء في بلده (٣) (٤)

---

(١) «أستاذ المرأة» (صـ ١٣٢) بتصرف

(٢) انظر : «غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب» (٢/ ٣٤٢ ـ ٣٥٠).

(٣) «مرآة النساء» (صـ ٢١).

(٤) «عودة الحجاب» (٢ / ٢٤٠ ـ ٢٤١).

وقد سئل إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ عن امرأة تبالغ في إكرام زوجها ، فتتلقاه، وتنزع ثيابه، وتقف حتى يجلس؟ فقال: أما التلقي فلا بأس به، وأما القيام حتى يجلس فلا، فإن هذا فعل الجبابرة، وقد أنكره عمر بن عبدالعزيز(١). اهـ

ولكن أكثر الزوجات الآن تلقى زوجها مشغولة بطبخها الذي تأخرت فيه، بذلة الثياب ، تعبة، ضيقة الصدر ، كثيرة الشكوى والضجر، ولا تلبث إحداهن بعد الأشهر الأولى من الزواج أن تنهمك في مراعاة المطبخ والأثاث، وتبذل في ذلك غاية وسعها، حتى تنصرف من حيث لا تشعر عن الاحتفاء بزوجها في الملبس أو الزينة، وإن كانت لا تغفل عن هذا الاحتفاء ، وتلك الزينة، لاستقبال أترابها ، وزيارة جاراتها، مما يكون عاملاً أساسيًا في نفرة الزوج وسخطه، فيدخل البيت مستعيذًا من شرها، ويفر منه مستجيرًا من ضرها، إذ يجد زوجه قد تحولت عنه، وتقمصت شخصية الخادم ، التي تحسن أن واجبها منحصر في خدمة البيت ، دون العناية بصاحب ذلك البيت ، أعني : الزوج»(٢).

وعلى الزوج كذلك أن يؤدي ما عليه تجاه زوجته ، فإن المرأة تحب ما يحبه الرجل ، وها هي كلمة طيبة عن الإمام الشافعي تجمع المعروف بين الزوجين.

قال الشافعي ﷺ : وجماع المعروف بين الزوجين كف المكروه،

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٥٠ ـ ٥١).

(٢) انظر : «نظرات في الأسرة المسلمة» للدكتور / محمد الصباغ حفظه الله (صـ ٧٠ ـ ٧١) ، كما في «عودة الحجاب» (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠).

وإعفاء صاحب الحق من المؤنة في طلبه ، لا بإظهار الكراهية في تأديته، فأيهما مطل بتأخيره ، فمطل الواجد القادر على الأداء ظلم بتأخيره[١] . اهـ.

وقال بعض الشافعية : كف المكروه : هو أن لا يؤذي أحدهما الآخر بقول أو فعل ، ولا يأكل أحدهما ، ولا يشرب ، ولا يلبس ما يؤذي الآخر[٢][٣] اهـ .

وها هي بعض مواقف الزوجة المسلمة مع زوجها ؛ لتكون نبراسًا للمؤمنات الصالحات .

عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لفلان نخلة ، وإنما أقيم حائطي بها ، فأمره أن يعطيني إياها حتى أقيم حائطي بها، فقال له النبي ﷺ : «**أعطها إياه بنخلة في الجنة**» فأبى ، فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي ، قال: ففعل ، قال: فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له ، وقد أعطيتكها ، فقال رسول الله ﷺ : «**كم من عذق رواح لأبي الدحداح في الجنة**» قالها مرارًا، قال: فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح ، أخرجي من الحائط ، مالي قد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع، أو كلمة تشبهها[٤] .

---

(١) «تكملة المجموع» (١٥/ ٢٨٩).

(٢) «السابق» (١٥/ ٢٩٠).

(٣) «عودة الحجاب» (٢/ ٤٣٢).

(٤) إسناده صحيح . رواه عبد بن حميد (١٣٣٢) ، وابن حبان كما في «موارد الظمآن» (٢٢٧١).

قال الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم:

«وعن محمد بن الحسين السلمي قال: قال أبو محمد الحريري: كنت عند بدر المغازلي، فكانت امرأته باعت داراً بثلاثين ديناراً، فقال لها بدر: نفرق هذه الدنانير في إخواننا، ونأكل رزق يوم بيوم، فأجابته إلى ذلك، وقالت: تزهد أنت، ونرغب نحن، هذا ما لا يكون»[1].

وقال أبو يوسف البزار:

تزوج رياح القيسي امرأة، فبنى بها، فلما أصبح قامت إلى عجينها، فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا، فقالت: إنما تزوجت رياحًا القيسي، ولم أرني تزوجت جباراً عنيداً، فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل، ثم نادته: قم يا رياح! فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته: فقالت: قم يا رياح! فقال: أقوم، فقالت: مضى الليل، وعسكر المحسنون، وأنت نائم! ليت شعري من غرني بك يا رياح؟ قال: وقامت الربع الباقي[2].

وقال رياح: اغتممت مرة في شيء من أمر الدنيا، فقالت: أراك تغتم لأمر الدنيا، غرني منكم شميط، ثم أخذت هدبة من قصعتها، فقالت: الدنيا أهون علي من هذه[3].

---

(١) «أحكام النساء» (صـ ١٤٧).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٤).

وقال الحسين بن عبدالرحمن:

حدثني بعض أصحابنا قال: قالت امرأة حبيب أبي محمد، وانتبهت ليلة، وهو نائم، فأنبهته في السحر، وقالت: قم يا رجل، فقد ذهب الليل، وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا(١).

وأجمع المؤرخون على أن جميع الأعمال الطيبة، والأفعال الحسنة التي قام بها المهدي فأكسبته الشهرة الفائقة، إنما كانت بتأثير زوجته «الخيزران»(٢).

وفي العصر المتأخر كان للزوجة العاقلة أكبر الأثر في نصرة أعظم حركة تجديدية شهدتها الأمة منذ أوائل القرن الثاني عشر الهجري حتى يومنا هذا.

إذ لما قدم شيخ الإسلام «محمد بن عبدالوهاب» رحمه الله إلى «الدرعية» ليعرض دعوته التجديدية الوليدة، أوعز تلميذ شيخ الإسلام الشيخ «أحمد بن سويلم العريني» إلى «ثنيان» و «مشاري» أخوي الأمير «محمد بن سعود»، وكان من أنصار الشيخ وأتباعه، أوعز إليهما أن يستكشفا رأي أخيهما الأمير محمد في شأن الشيخ، ويقفا على مدى استعداده لمناصرة دعوته، فلم يترددا في قبول طلبه، وخفا مسرعين إلى

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٣).

(٢) «مرآة النساء» (صـ ٨٦)، وهي أم الهادي، وهارون الرشيد، ملكة حازمة، عاقلة، لبيبة، دينة، خيرة، متفقهة، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي، كما في «الأعلام» (٢/ ٣٧٥).

دار أخيهما الأمير محمد، وشرعا أولاً بمفاوضة زوجته المسماة «موضى بنت أبي وهطان» من آل كثير ، وكانت امرأة مشهورة بوفرة الذكاء ، والنباهة ، وسعة الإدراك، وقد تحدث الأخوان إلى زوجة أخيهما طويلاً في المهمة التي جاءا من أجلها ، وعن الدعوة التي يدعو إليها الشيخ، ومدى فائدتها في محاربة البدع والخرافات، ومكانة الشيخ ، وما هو عليه من علم ومعرفة، وصفة ما يأمر به وينهى عنه، وأخيراً طلبا إليها أن تفاوض زوجها لمناصرة الشيخ، وشد أزره ، وإشهار السيف من غمده في سبيل نصرة الدعوة التي يدعو إليها، فوعدتهما خيراً ، وتم الاتفاق على ذلك، ونقلت السيدة «موضى» إلى زوجها ما دار بينها وبين أخويه من الحديث، ودعته إلى تأييد الشيخ، ونصرة دعوته، وقالت له: إن هذا الرجل قدم إلى بلدك ، وهو غنيمة ساقها الله تعالى إليك، فأكرمه ، وعظمه ، واغتنم نصرته، ثم رغبته ، وحسنت إليه القيام بزيارة خاصة إلى دار الشيخ «أحمد بن سويلم» لمقابلة الشيخ ؛ لتكون إعلانًا جهاراً للملأ بأنه على نصرته، وتحت حمايته ؛ لكي يعظمه الناس، ويكرموه، فوافق الأمير محمد على نصيحة زوجته ، وتم اللقاء بينهما ، حيث أفاض الشيخ في شرح دعوته إلى التوحيد ، ومحاربة الشر والبدع، وتمت البيعة ونصرة دعوته ، ودخل الشيخ البلد تلبية لدعوة الأمير، واتخذ له منزلاً بالقرب من دار الأمير محمد بن سعود[1] . اهـ

(١) انظر : «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب» لحسين خلف الشيخ خزعل (صـ ١٥٩ ـ ١٦١) ، وكذا «السعوديون والحل الإسلامي» (صـ١١٢) ، «مجلة البحوث الإسلامية» العدد السابع عشر (صـ ٣٦٠) عام (١٤٠٦ ـ ١٤٠٧) هـ.

وقد كان لهذه المـرأة الصالحة الصادقة أكبر الأثـر في مؤازرة زوجها وتشجيعـه ، وحثه على الصبر والسلوان حينمـا اندحر الجيش الذي قاده ولده عبدالعزيز ، وهزم هزيمة نكراء في «حائر»[1][2].

● ● ●

(١) «السابق» (صـ ٢٥٢) ومن فضائل هذه المرأة العاقلة أن في كنفـها وتحت عينها نشأ ابنها الإمام المجاهد ، والبطل المجالد ، أمير المسلمين في زمانه ، العلامة الزاهد العابد ، بقية السلف الصالح، تلميذ إمام الدعوة السلفية : عبدالعزيز بن محمد ابن سعود ، الملقب بـ «مهـدي زمانه» المقتول غدراً بيد رافـضي خبيث في صلاة العصـر ، وهو ساجـد سنة ١٢١٨ هـ ، رحمـه الله ، وعفا عنه ، وتقـبله في الشهداء.

(٢) «عودة الحجاب» (٢/ ٢٦٧ ـ ٢٧٠).

وفاء المرأة لزوجها [(١)]

إن الثبات على صدق الوفاء من أفضل ما تتحلى به النساء ، ولهذا درجت المرأة المسلمة على مواتاة زوجها ومصافاته، واستخلاص نفسها له، واحتمال نبوة الطبع منه، وأكثر ما كان صفاء نفسها ، وسماح خلقها، وعذوبة طبعها ، إذا استحال الدهر بالرجل فرزأهُ في ماله ، أو نكبه في قوته، أو بدله بكرم المنصب، وروعة السلطان، أعرافًا من السجن، وأصفادًا من الحديد.

بل لقد كان وفاؤها له بعد عفاء أثره، وإمحاء خبره، عديل وفائها له ، وهي بين أفياء نعمته، وأكناف داره، وكان إيثار الإسلام له بمد حدادها عليه أربعة أشهر وعشرة أيام، لا تتجمل في أثنائها ، ولا تزدان، ولا تفارق داره إلى دار أبيها ، سنة من سنن هذا الوفاء ، وآية من آياته.

ولذلك كانت المرأة المسلمة ترى الوفاء لزوجها بعد الموت، آثر مما تراه لأبيها وأمها وذوي قرابتها، فكانت تؤثر فضائله ، وتذكر شمائله في كل موطن ومقام ، بل ربما عرض ذكره ، وهي بين خليفته من بعده، فلا تتحرج في ذكر فضائله وتفضيله إن كانت ترى الفضل له[(٢)].

---

(١) هذا الفصل ـ بهامشه ـ من «عودة الحجاب» (٢/ ٥٣١ ـ ٥٣٨).

(٢) انظر : «المرأة العربية» (٢/ ٨٩).

ومن حديث ذلك أن أسماء بنت عُميس كانت لجعفر بن أبي طالب ثم لأبي بكر من بعده، ثم خلفهما عليٌّ رضي الله عنه، فتفاخر مرة ولداها محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، كل يقول: أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك، فقال لها عليٌّ اقضي بينهما يا أسماء، قالت: ما رأيت شابًّا من العرب خيرًا من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيرًا من أبي بكر، فقال علي: ما تركت لنا شيئًا، ولو قلت غير الذي قلت لمقتك[1]، فقالت أسماء: إن ثلاثًا أنت أقلهم لخيار[2].

وأوصى أبو بكر رضي الله عنه أن تغسله أسماء بنت عميس رضي الله عنها ففعلت، وكانت صائمة، فسألت من حضر من المهاجرين، وقالت: إني صائمة، وهذا يوم شديد البرد، فهل علي من غسل؟ فقالوا: لا، وكان أبو بكر رضي الله عنه قد عزم عليها لما أفطرت، وقال: هو أقوى لك، فذكرت يمينه في آخر النهار، فدعت بماء، فشربت، وقالت: والله لا أتبعه اليوم حنثًا[3].

ومن ذلك أيضًا ما روي من أن النساء قُمن - حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد يسألن الناس عن أهلهن، فلم يخبرن حتى أتين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا تسأله واحدة إلا أخبرها، فجاءته حمنة بنت جحش فقال: «يا

---

(١) وقيل: لعلها «لومقتك» أي: أحببتك.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٠٨ - ٢٠٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٧٦) وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨٦ - ٢٨٧)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أخرجه ابن السكن بسند صحيح عن الشعبي، اهـ من «الإصابة» (٧/ ٤٩١).

(٣) أي: أقسم عليها.

حمنة احتسبي أخاك عبد الله بن جحش» قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله ، وغفر له، ثم قال: «يا حمنة! احتسبي خالك حمزة بن عبدالمطلب» ، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله . وغفر له، ثم قال: «يا حمنة ! احتسبي زوجك مصعب بن عمير» فقالت: يا حرباه[1]، قال النبي ﷺ : «إن للمرأة لشعبة من الرجل ما هي له في شيء»[2] ولعمرك إن في قول رسول الله ﷺ لبلاغًا لما أوثرت المرأة به ، وأبرت فيه من فرط الحنو على زوجها ، وفضل الوفاء له بعد موته[3].

ولما تسور المجرمون الفسقة على أمير البررة، وقتيل الفجرة، عثمان رضي الله عنه وتبادروه بالسيوف ؛ ألقت زوجته «نائلة بنت الفرافصة» بنفسها حتى تكون له وقاء من الموت، فلم يرع القتلة الأثمة حرمتها ، وضربوه بالسيف ضربة انتظمت أصابعها ، ففصلتهن عن يدها، ونفذت إليه، فجندلته ، ثم ذبحوه رضي الله عنه[4] ولما خطبها أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه أبت وقالت:

---

(١) الحرب : السلب . وفي لفظ ابن ماجه (قالت: واحزناه).

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه» رقم (١٥٩٠) بلفظ : «إن للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء» . وكذا ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٧٥) ، وابن إسحاق في «السيرة» بلفظ: «إن زوج المرأة منها لبمكان» وضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجه» رقم (٣٤٧) (ص ١٢٠) . وكذا في «ضعيف الجامع» رقم (١٩٦٠).

(٣) ومن ثم قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى : «ولا ينبغي لوالدي المرأة ، ولا لجميع أهلها أن يطلبوا منها الميل إلى إيثارهم أكثر من ميلها إلى زوجها ، فإنها تميل إلى زوجها بالطبع، وقد أخبر عنها الشارع بذلك، فلتعذر في ذلك». اهـ من «أحكام النساء» (صـ ٧٠).

(٤) «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» (صـ ٥١٧) ، «المرأة العربية» (٢/ ١١٧).

والله لا قَعَدَ أحد مني مقعد عثمان أبدًا»[1].

ومع أن رغبة الأيم عن الزواج وكراهيتها له ، واعتكافها دونه، لم يكن من مبادئ الإسلام في شيء فقد قال تعالى : ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

وعن جابر ، عن أم مبشر الأنصارية : أن النبي ﷺ خطب أم مبشر بنت البراء بن معرور [2]، فقالت: إني اشترطت لزوجي ألا أتزوج بعده، فقال النبي ﷺ : «إن هذا لا يصلح»[3].

ومع الرخصة لهن في النكاح والتوسعة عليهن في أمره ؛ فإن كثير من الأيامى أَنِفْنَ أن يتبدلن ببعولتهن زوجًا آخر، وفاءً لهم، وبقين على ذكراهم، بل أملاً أن تمتد الزوجية بينهم في الدار الآخرة.

فقد كان مما بشر به الإسلام المرأة الصالحة ، أن المؤمن إذا دخل الجنة ، ألحق به أزواجه ، قال تعالى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣] ، فيجمعهم الله في الجنات منعمين، يتكئون في ظلالها مسرورين فرحين : ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ

(١) «العقد الفريد» لابن عبدربه ، كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن (ج٣) و«الأعلام» (٧/ ٣٤٣).

(٢) أي خطبها لزيد بن حارثة بعد أن مات أهله، كما في رواية البخاري في «التاريخ الكبير».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٤) و«الصغير» (٢/ ١٣٨) ، والحديث حسنة الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢١٩) ، وكذا حسنه الألباني بشاهده عند البخاري في «التاريخ الكبير» . انظر : «الصحيحة» حديث رقم (٦٠٨).

عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس: ٥٦]، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠].

وكان من آيات وفاء كثير من الصالحات لأزواجهن بعد موتهن إمساكهن عن الزواج، لا لغرض إلا ليكن زوجات لهم في الجنة.

فعن ميمون بن مهران قال: خطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أم الدرداء، فأبت أن تزوجه، وقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «المرأة في آخر أزواجها» أو قال: «المرأة لآخر أزواجها»(١).

وعن عكرمة: أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام، وكان شديدًا عليها، فأتت أباها، فشكت ذلك إليه، فقال: يا بنية اصبري، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح، ثم مات عنها، فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال لزوجته: إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة، فلا تزوجي بعدي، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا(٣).

---

(١) انظر: «المطالب العالية» (١٦٧٣)، و«كنز العمال» (٤٥٥٥٧، ٤٥٥٥٨)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ٢٢٨)، و«الفقيه والمتفقه» (٤٨)، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٢٨) بشواهده.

(٢) انظر: «الصحيحة» للألباني (٣/ ٢٧٦)، و«التذكرة» للقرطبي (صـ ٥٧٦).

(٣) أخرجه البيهقي في «سننه» (٧/ ٦٩ - ٧٠)، وتتمته: «فلذلك حرم الله على أزواج النبي ﷺ أن ينكحن بعده؛ لأنهن أزواجه في الجنة»، وفيه أبو إسحاق السبيعي.

قلت «أبو عبدالرحمن / محمد»: قد خرجت هذا الحديث وتلك الآثار في كتابي «صفة الجنة» تحت باب أسئلة منثورة بآخر الكتاب. ط دار الدليقان بالسعودية.

وعن جبير بن نفير ، عن أم الدرداء ؛ أنها قالت لأبي الدرداء: إنك خطبتني إلى أبوي في الدنيا ، فأنكحوك، وأنا أخطبك إلى نفسك في الآخرة ، قال: فلا تنكحين بعدي، فخطبها معاوية فأخبرته بالذي كان ؛ فقال: عليك بالصيام[1] .

وقال الأصمعي : خرج سليمان بن عبدالملك ، ومعه سليمان بن المهلب بن أبي صفرة من دمشق متنزهين، فمرا بالجبانة، وإذا امرأة جالسة على قبر تبكي، فهبت الريح، فرفعت البرقع عن وجهها، فكأنها غمامة جلَتْ شمسًا ، فوقفنا متعجبين ، ننظر إليها، فقال لها ابن المهلب: «يا أمة الله! هل لك في أمير المؤمنين بعلاً؟ فنظرت إليهما ؛ ثم نظرت إلى القبر؛ وقالت:

فإن تسألاني عن هواي فإنه
بملحود هذا القبر يا فتيان

وإني لأستحييه والترب بيننا
كما كنت أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجبون[2] .

وأخيراً : هذا مثل للزوجة المسلمة الفاضلة ينبغي لكل مسلمة أن تجعله نصب عينيها:

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٧٨).

(٢) «الدر المنثور» (صـ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) ، و«أخبار النساء» (صـ ١٣٨) ، وهذا الأخير منسوب خطأ لابن قيم الجوزية، كما حققه العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد في«ابن قيم الجوزية حياته وآثاره» (صـ ١٢١ ـ ١٢٦).

إن فاطمة بنت أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان كان لأبيها ـ يوم تزوجت ـ السلطان الأعظم على الشام والعراق والحجاز واليمن وإيران والسند وقفقاسيا والقريم وما وراء النهر إلى بخارا وجنوبًا شرقًا ، وعلى مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وإسبانيا غربًا، ولم تكن فاطمة هذه بنت الخليفة الأعظم وحسب، بل كانت كذلك أخت أربعة من فحول خلفاء الإسلام، وهم : الوليد بن عبدالملك، وسليمان بن عبدالملك، ويزيد بن عبدالملك، وهشام بن عبدالملك، وكانت فيما بين ذلك زوجة أعظم خليفة عرفه الإسلام بعد خلفاء الصدر الأول ، وهو أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز.

بنت الخليفة والخليفة جدها ، أخت الخلائف ، والخليفة زوجها[1] .

هذه السيدة التي كانت بنت خليفة، وزوجة خليفة، وأخت أربعة من الخلفاء، خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها يوم زفت إليه وهي مثقلة بأثمن ما تملكه امرأة على وجه الأرض من الحلي والمجوهرات، ويقال: إن من هذه الحلي قرطي[2] مارية اللذين اشتهروا في التاريخ ، وتغنى بهما الشعراء ، وكانا وحدهما يساويان كنزًا.

ومن فضول القول أن أشير إلى أن عروس عمر بن عبدالعزيز كانت في بيت أبيها تعيش في نعمة لا تعلو عليها عيشة امرأة أخرى في الدنيا

---

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ١٩٣).

(٢) وكان أبوها عبدالملك بن مروان رحمه الله قد أعطاها قرطي مارية ، والدرة اليتيمة، وكان أحب أخواتها إليه، وكان قد دعا لها قائلا: اللهم احفظني فيها، فتزوجها ابن عمها عمر بن عبدالعزيز . اهـ من «البداية والنهاية» (٩/ ٦٧).

لذلك العهد، ولو أنها استمرت في بيت زوجها تعيش كما كانت تعيش قبل ذلك لتملأ كرشها في كل يوم، وفي كل ساعة بأدسم المأكولات وأندرها وأغلاها، وتنعم نفسها بكل أنواع النعيم الذي عرفه البشر لاستطاعت ذلك، إلا أن الخليفة الأعظم عمر بن عبدالعزيز اختار ـ في الوقت الذي كان فيه أعظم ملوك الأرض ـ أن تكون نفقة بيته بضعة دراهم في اليوم [١]، ورضيت بذلك زوجة الخليفة التي كانت بنت خليفة وأخت أربعة من الخلفاء ، فكانت مغتبطة بذلك لأنها تذوقت لذة القناعة، وتمتعت بحلاوة الاعتدال، فصارت هذه اللذة وهذه الحلاوة أطيب لها وأرضى لنفسها من كل ما كانت تعرفه قبل ذلك من صنوف البذخ ، وألوان الترف، بل اقترح عليها زوجها أن تترفع عن عقيلة الطفولة، فتخرج عن هذه الألاعيب والسفاسف التي كانت تبهرج بها أذنيها وعنقها وشعرها ومعصميها، مما لا يسمن ، ولا يغني من جوع، ولو بيع لأشبع ثمنه بطون شعب برجاله ونسائه وأطفاله، فاستجابت له ، واستراحت من أثقال الحلي والمجوهرات واللآلئ والدرر التي حملتها معها من بيت أبيها، فبعثت بذلك كله إلى بيت مال المسلمين.

وتوفي عقب ذلك أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئًا ، فجاءها أمين بيت المال ، وقال لها: إن

---

(١) وقد خيرها عقب توليه الخلافة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها، وبين أن تلحق بأهلها، فبكت ، وبكى جواريها لبكائها ، فسمعت ضجة في داره ، ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحمهما الله . اهـ من «البداية والنهاية» (٩/١٩٨).

مجوهراتك يا سيدتي لا تزال كما هي ، وإني اعتبرتها أمانة لك، وحفظتها لذلك اليوم، وقد جئت أستأذنك في إحضارها.

فأجابته بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين ، ثم قالت: وما كنت لأطيعه حيًا وأعصيه ميتا.

وأبت أن تسترد من مالها الحلال الموروث ما يساوي الملايين الكثيرة، في الوقت الذي كانت محتاجة فيه إلى دريهمات ، وبذلك كتب الله لها الخلود ، وها نحن نتحدث عن شرف معدنها ، ورفيع منزلتها بعد عصور وعصور ، رحمهما الله ، وأعلى مقامها في جنات النعيم[1].

● ● ●

---

(١) مقدمة «آداب الزفاف في السنة المطهرة» للألباني (صـ ٨٤ ـ ٨٨) بقلم الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى طبعة سنة ١٤٠٩ هـ.

المرأة وتربية الأطفال

«لقد كرم الله سبحانه المرأة ورفع من شأنها فجعلها راعية بيت، ومسئولة عن رعيتها، وعما استؤمنت عليه؛ لذا كان الأمر بقرارها في بيتها لتؤدي واجبها على خير وجه، وتبقى الفضلى الطاهرة من كل دنس وخدش، تزكية وتطهيرًا لقلبها ونفسها وروحها، وتفرغًا لأداء مهمتها في إعداد الإنسان للإنسانية الذي يعمل على إعمار الكون وإشاعة العدل.

إن هذه المرأة هي التي تستطيع أن تخرج لنا الأجيال الصالحة التي تحقق الخلافة وتقيم الحكم بما أنزل الله، دون خوف أو قهر أو ذل؛ لأنهم إنتاج الطاهرات، العفيفات، المؤمنات، القويات، الفاضلات، وقد كانت أمهات المؤمنين النموذج الأمثل الذي يحتذى به قوة وفضيلة، وقد أعطتنا عائشة ابنة أم رومان رضي الله عنهما أكبر مثل وأعظمه في نضج المرأة وقوتها وفضيلتها، حتى إن أكابر الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألونها عن الفتيا، وكذلك سير الصحابيات رضي الله عنهن مليئة بما يدل على فضلهن، واعتزازهن بأنفسهن، وشعورهن بالمسؤولية الملقاة على عاتقهن»[1].

فإن التربية الحسنة تنتج أجيالاً يحملون راية الإسلام، ويصبرون على الشدائد والصعاب لتبليغ دعوة ربهم عز وجل، والدفاع عن هذه

(١) «الأمومة» (٢/٨٠٥).

الدعوة بالمال والنفس، فعلى الأم المسلمة أن تكدح لإخراج هذا الجيل، وتبذل قصارى جهدها في تعليم أبنائها، وتربيتهم التربية الحسنة استجابة لله ورسوله، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾** [التحريم: ٦].

وقال النبي ﷺ: **«كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته... فالمرأة راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها»**(١).

أما المرأة المنغمسة في الدنيا والإفراط في المبيحات فضلاً عن الحرام تنجب البطَّالين والكسالى الذين يصبحون عالة على المجتمع الإسلامي يهدمون أكثر مما يصلحون.

ومنه إذا كانت الأم غير محتجبة ولا محتشمة، وإذا كانت خراجة ولاجة، وإذا كانت متبرجة سافرة أو حاسرة، وإذا كانت تغشى مجتمعات الرجال الأجانب عنها وما إلى ذلك، فهي تربية فعلية للبنت على الانحراف، وصرف لها عن التربية الصالحة ومقتضياتها القويمة من التحجب والاحتشام والعفاف والحياء، وهذا ما يسمى «التعليم الفطري»، ومنه يعلم ما للخادمة والمربية في البيت من أثر كبير على الأطفال سلبًا وإيجابًا.

(١) رواه البخاري (٥٢٠٠)، ومسلم (١٨٢٩).

ولهـذا قرر العلمـاء أنه لا حضـانة لكافر ولا لفـاسق ؛ لخطر تلك المحاضن على الأولاد في إسلامهم وأخلاقهم واستقامتهم [(١)].

وابتداءً... على المرأة أن تحنو على أولادها ، وأن تتفقد أحوالهم في كل وقت ، وفي كل حين؛ من حيث الصـحبة والأعمال والأقـوال وغير ذلك، وقد مدح رسول الله ﷺ المرأة الحانية على أولادها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«خير نساء ركبن الإبل صالح نسـاء قـريش ، أحناه علـى ولدٍ في صـغـره ، وأرعـاه على زوج في ذات يده»**[(٢)] .

قال الشيخ محمد بن إسماعيل عند ذكر حقوق الزوج على زوجته:

ومن حقه عليها : أن تحسن القـيام على تربية أولادها منه في صبر وحلم ورحمة فلا تغضب على أولادها أمامه ، ولا ترفع صوتها عاليًا في مخاطبة أولادها أو زجرهم، حتى يسمع خارج المنزل، ولا تدعو عليهم، ولا تسبهم، أو تضـربهم، فإن ذلك قد يؤذيه منها، ولربما اسـتجاب الله تعالى دعاءها عليهم، فيكون مصابها بذلك عظيمًا.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعـوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خـدمكم، ولا تدعوا على أمـوالكم، لا توافـقوا من الله سـاعـة نيل فيـهـا عطاء ، فيـستجـيب لكم»**[(٣)] .

---

(١) «حراسة الفضيلة» (صـ ١١٠).

(٢) رواه البخاري (٥٠٨٢) ، ومسلم (٢٥٢٧).

(٣) رواه أبو داود رقم (١٥٣٢) في الصـلاة ، وهو قطعة من حديث جـابر الطويل ، وقصة أبي اليسر عند مسلم رقم (٣٠٠٦) ، وكذا ابن حبان (٢٤١١).

وقد تفننت نساء بعض البلاد في اللعن تفننًا غـريبًا ، فتسمع الدعاء الفظيع ينهـال على الولد البريء الذي تصـرف تصرفًا صـبيانـيًا لم يوافق هوى أمه ورضاها، إنهـا تدعو عليه أحيانًا بـأن يرسل الله عليه الحمى ، والأوجاع المتعددة، وتدعو عليـه أحيانًا أن يقتل بالرصاص، أو أن تذهب به داهية الدهس، أو أن يصـيبه العـمى، تدعو عليه بذلك وغـيره، وهو ابنها وفلذة كبـدها، وهي لا تدري أنه قد توافق دعواتها سـاعة الإجابة، فتندم ولات ساعة مندم، وقد قيل: إن الدعوات كالحجارة التي يرمى بها هدف ، فمنها ما يصيب ، ومنها ما يخطئ[1] .

وعليها أن تربي أولادها علـى الطهارة والنظافة والعفة والشـجاعة، والزهد في سـفاسف الأشيـاء، وملاهي الحـياة، كي ينشأوا مـسلمين ، يعيـشون بالإسلام وللإسـلام، يكثر الله تعـالى بهم الخير في المجـتمع، ويتباهى بهم وبأمثالهم رسول الله ﷺ غداً[2] .

وعليها أن تراعي الأمور الآتية حتى تنجح العملية التربوية:

أولاً : أن لا تتصرف أمام أبنائها بصورة توحي بأن سياستها التربوية تخالف سياسة الأب.

ثانيًا : أن لا تعـتـرض المرأة على زوجـهـا أثناء تأديبـه أولاده وبحضرتهم ، فإن كان ولابد ، فلها أن تـبدي رأيها في أمور التربية على

---

(١) انظر : «أضـواء البـيان» (٣/ ٤١٧) ، «نظرات في الأسـرة المسلمـة» (صـ ١٦١ ـ ١٦٢).

(٢) ومن خير ما يسترشد به الأبوان في هذه التـربية كتاب «منهج التربية النبوية للطفل» لمؤلفه محـمد نور سويد جزاه الله خيـراً ، فإنه في جملته من خيـر ما يسد هذه الثغرة.

انفراد به، وعليهما الخروج بسياسة تربوية محددة.

ثالثًا : أن تحرص على الصدق مع زوجها ، وتصارحه بالحقيقة في أمورها كلها ، وأن تعلمه بالأحداث التي تتم في غيبته ، ولا تتستر على أخطاء أولادها الجسيمة، والتي يجب معرفة الأب بها.

رابعًا : أن لا تأذن ، ولا تعطي ولدها عند غياب أبيه ما منعه منه.

خامسًا : أن لا تبدي الزوجة أمام أبنائها أي إشارة رفض أو ضجر من بعض عادات الأب أو تصرفاته ، وأن تحذر أن تخطئ أقواله وأفعاله، أو أن تنتقص منه ، أو أن تتظلم لأولادها منه قبالتهم[1] .

ويتحدث الأستاذ المودودي رحمه الله عن أمنع القلاع للحضارة الإسلامية فيقول: إن الحريم هو الملجأ الأخير الذي يدافع فيه «الإسلام» عن مدنيته وحضارته، ولا ريب أن من المصالح الكبرى التي جعل الإسلام المرأة من أجلها من وراء الحجاب ، أن يتطهر على الأقل ذلك الصدر الذي يتغذى بلبانه الطفل المسلم، فيبقى مشرقًا بنور الإسلام ، وأن يحفظ على الأقل ذلك الحِجر الذي يتربى فيه الطفل المسلم من تأثير الكفر والضلال وفساد الأخلاق والأعمال، وأن يقام حول ذلك المهد الذي يجتاز فيه الجيل المسلم منازل حياته البدائية جو إسلامي خالص ، وأن تحرص من فعل المؤثرات الخارجية، تلك الحدود بالبيئية ـ على الأقل ـ التي ترتسم فيها على ذهن الطفل ، وقلبه الصافي، أولى نقوش التعليم والتربية والمشاهدة «فالحريم البيتي» إذن هو أحكم وأمنع قلعة للحضارة

---

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١).

الإسلامية بنيت في الحقيقة لأجل أن تلجأ إليها هذه الحضارة، حتى انهزمت ونكصت من الميدان الخارجي[١]. [٢]

● ● ●

(١) «نحن والحضارة الغربية» (صـ ٢١٤ ـ ٢١٥) نقلاً عن «الأمومة» (١/٩٨).

(٢) ويتجنب الأخطاء التي وقع فيها أبو علي المودودي في كتبه ، وقد ذكر بعضها الشيخ محمد بن ناصر في رسالته «فتنة التكفير والحاكمية» صـ (٨٥).

من مواقف الأم المسلمة[1]

في قرن وبعض قرن، وثب المسلمون وثبة ملأوا بها الأرض قوة وبأسًا، وحكمة وعلمًا، فراضوا الأمم، وهاضوا الممالك، وركزوا ألويتهم في قلب آسيا وهامات إفريقية، وأطراف أوروبا، وتركوا دينهم وشرعهم ولغتهم وعلمهم وأدبهم تدين لها القلوب، وتنقلب بها الألسنة ، بعد أن كانوا فرائق بددًا لا نظام ، ولا قوام، ولا علم ، ولا شريعة.

ففي أي المدارس درجوا ؟ ومن أي المعاهد خرجوا؟

لقد قطع المسلمون تلك المرحلة التي سَهَم لها الدهر ، ووجم لروعتها التاريخ، ولم يقيموا معهدًا ، أو ينشئوا جامعة... أستغفر الله! بل لقد كانت خصاصهم وخيامهم، ودورهم وقصورهم، معاهد ومدارس، وما شئت من مغارس حكمة، ومغاوص آداب، وَلِيَ أمرها أمهاتُ صدق، أقامهن الله على نشئه، واستخلفهن على صنائعه ، وائتمنَهُنَّ على دُعاة خلقه، فكن أقوم خلفائه بواجبه، وأثبتهن على عهده، وأنهضهن بالفادح الشديد من أمره.

لقد كان الله سبحانه وتعالى أبر بهؤلاء القوم من أن يُخرجهم

(١) مقتبس من كتاب «عودة الحجاب» لفضيلة الشيخ محمد بن إسماعيل (٢/ ١٩١ - ١٩٨).

مخرجًا سيئًا ، أو ينبتهم منبتًا فاسدًا، أو يضمهم إلى صدور واهية، وقلوب سقيمة، ثم يسومهم أشرف مطالب الحياة، ويوردهم أسمى مقاصدها؛ لأن الأم من الأمة بمثابة القلب من الجسد، فهي غذاء أرواحها، ومران أعوادها، ومفيض مداركها، ومبعث عواطفها، فإن وهنت كان كل أولئك ضعيفا.

لقد كانت نهضة المسلمين غريبة ، فريدة؛ لأن المرأة كذلك كانت غريبة، فريدة، وإذا كانت المرأة الحديثة قد أنصتت لـ «لنكولن» زعيم الجمهورية الأمريكية، وهو يقول لمهنئيه بمنصب من مناصب الدنيا : لا تهنئوني ، وهنئوا أمي ، فهي التي رفعتني إلى مقامي هذا، فإن المرأة المسلمة كانت تستمع لأشباه هذا الكلام من أشباه «لنكولن» فلا ينثني جيدها، ولا يهتز عِطفها لطول ما سمعته وألفته[1].

ودونك هذه المواقف للأم المسلمة لترى مصداق هذا الحديث:

بطل قريش يرتجف أمام أمه:

لما كانت موقعة أحد أغرت هند بنت عتبة بحمزة بن عبدالمطلب من خالسه فصرعه ـ وكان قد قتل آلَهَا يوم بدر ـ ثم نفذت إليه فبقرت بطنه ، ونزعت كبده، وجدعت أنفه، وصلمت أذنيه، وجاء بعدها أبو سفيان ، فأخذ يطعنه بالرمح في فمه حتى مزقه ... انقضت الموقعة ، وجثمان حمزة تكاد تحيل معالمه لفرط ما مُثِّل به، فلما وقف به رسول الله ﷺ اشتد حزنه لما أصاب عمه البطل الكريم، ووقف بنجوة منه، ثم أبصر

(١) انظر: «المرأة المسلمة» لعبدالله عفيفي (٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦).

فوجد عمته صفية بنت عبدالمطلب مقبلة لتنظر ما فعل القوم بأخيها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : «**دونك أمك فامنعها**» وأكبر همه ألا يجد بها الجزع لما ترى ، فلما وقف ابنها يعترضها قالت:

«دونك ، لا أرض لك ! لا أمَّ لك!».

وهنالك رجفت أحناء بطل قريش ، وزلزلت قدماه، واعتقل لسانه، وكَرَّ راجعًا إلى رسول الله ﷺ فحدثه حديث أمه ، فقال: «**خل سبيلها**».

كذلك انفرجت صفوف الناس لعمة رسول الله ﷺ ، فسارت حتى أتت أخاها فنظرت إليه، فصلَّت عليه، واسترجعت ، واستغفرت له، وقالت لابنها : قل لرسول الله : ما أرضانا بما كان في سبيل الله! لأحتسبن ، ولأصبرنَّ إن شاء الله»[1].

فانظر إلى موقف البطل المسلم حيال أمه، وقد أمره رسول الله ﷺأن يقف دونها فيعترضها ! ولو سامه النبي ﷺ أن يعترض الجيش اللهام لوقف في سبيله غير هائب ولا مدفوع، وماله لا يعنو وجه، ولا ترتجف أضالعه لعظمة الأمومة وعظمة الخُلُق؟!

لبث عبد الله بن الزبير [2]على إمرة المؤمنين ، ودانت له العراق والحجاز ، واليمن ثماني سنين، ثم أخذ عبدالملك بن مروان يقارعه ،

---

(١) السابق (٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠) ، وانظر : «الروض الأنف» للسهيلي (٣/ ١٧٢).

(٢) ابن الزبير رضي الله عنهما أبوه حواري رسول الله ﷺ ، وأمه بنت الصديق ، وخالته عائشة حبيبة حبيب الله، وجدته صفية عمة رسول الله، وعمة أبيه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، انظر : «البداية والنهاية» (٨/ ٣٣٤).

فانتقض منه العراق ، ورماه بعد ذلك بالحجاج بن يوسف ، فأخذ يطوي بلاده عنه ، حتى انتهى إلى مكة فطوقهـا، ونصب المجانيق على الكعبة، وأهوى بالحجارة عليها ، وفي الكعبة يومئذ أسماء بنت أبي بكر ﷺ.

وكان عبد الله يقاتل جند الحجاج مسنداً ظهره إلى الكعبة ، فيعيث فيهم ، ويروِّعُ أبطالهم ، وليس حوله إلا القوم الأقلون عدداً، والحجاج بين ذلك كله يرسل إليه يمنيه الخير ، ويعده بالإمارة في ظل بني أُميَّة لو أغمد سيفه ، وبسط للبيعة يده.

دخل عبد الله على أثر ذلك على أمه فقال: «يا أُمه! خذلني الناس، حتى أهلي وولدي، ولم يبق معي إلا اليسير ، ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار، وقد أعطاني القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: «الله... الله يا بني ! إن كنت تعلم أنك على حق تدعو إليه ، فامض عليه، ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية فيلعبوا بك، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن معك، وإن قلت إني كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت نيتي، فليس هذا فعل الأحرار، ولا من فيه خير، كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن ما يقع بك يا ابن الزبير، والله لضربة بالسيف في عِز أحب إلي من ضربة بالسوط في ذلك، فقال: يا أماه أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني، قالت: يابني إن الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح، فامض على بصيرتك، واستعن بالله، فقبل رأسها ، وقال لها: هذا والله رأيي ، والذي قمت به داعياً إلى الله ، والله ما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله عز وجل وتهتك محارمه، ولكني أحببت أن أطلع على رأيك فيزيدني

قوة وبصيرة مع قوتي وبصيرتي، والله ما تعمدت إتيان منكر، ولا عملاً بفاحشة، ولم أجر في حكم ، ولم أغدر في أمان ، ولم يبلغني عن عمالي حيف فرضيت به، بل أنكرت ذلك، ولم يكن شيء عندي آثر من رضاء ربي، اللهم إني لا أقول ذلك تزكية لنفسي، ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلو عني ، فقالت: والله إني لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً ، إن تقدمتني احتسبتك، وإن ظفرت سررت بظفرك، اخرج حتى أنظر إلام يصير أمرك، ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة، وبره بأمه، اللهم إني قد سلمت فيه لأمرك ، ورضيت فيه بقضائك ، فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين، قال: يا أمه لا تدعي الدعاء لي قبل قتلي ولا بعده، فقالت: لا أدعه ، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق، فتناول يدها ليقبلها، فقالت: هذا وداع فلا تبعد، فقال لها: جئت مودعًا لأني أرى هذا آخر أيامي من الدنيا ، قالت: امض على بصيرتك، وادن مني حتى أودعك، فدنا منها فعانقته ، وقبلته ، فوقعت يدها على الدرع ، فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريد، فقال: ما لبستها إلا لأشد متنك، قالت: إنها لا تشد متني، فنزعها ، ثم درج لِمته ، وشد قميصه وجبته، وخرج وهو يقول:

أبى لابن سلمى أن يعير خالداً
ملاقي المنايا أيَّ صرف تيمَّما

فلست بمبتاع الحياة بسبَّة
ولا مرتق من خشية الموت سُلَّما

وقال لأصحابه: احملوا على بركة الله، وليشغل كل منكم رجلاً، ولا يلهينكم السؤال عني، فإني على الرعيل الأول، ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون، وهنالك رماه رجل من أهل الشام بحجر فأصاب وجهه، فأخذته منه رعدة، فدخل شعبًا من شعاب مكة يستدمي، فبصرت به مولاة له فقالت:

وا أمير المؤمنينا! فتكاثر عليه أعداؤه عند ذلك فقتلوه، وصلبه الحجاج، فأقام جثمانه على الجذع، حتى إذا أمر عبدالملك بإنزاله، أخذته أمه فغسلته بعد أن ذهبوا برأسه، وذهب البلى بأوصاله، ثم كفنته، وصلت عليه ودفنته(١).

وروي ابن حزم بسنده عن صفية بنت شيبة قالت: دخل ابن عمر المسجد فأبصر ابن الزبير مطروحًا قبل أن يصلب، فقيل له: هذه أسماء، فمال إليها وعزاها، وقال: إن هذه الجثث ليست بشيء، وإن الأرواح عند الله عز وجل، فقالت له أسماء: وما يمنعني، وقد أهدي رأس يحيى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل(٢).

قال عروة: دخلت أنا وأخي قبل أن يُقتل على أمنا بعشر ليال، وهي وجعة، فقال عبد الله كيف تجدينك؟ قالت: وجعة، قال: إن في الموت لعافية، قالت: لعلك تشتهي موتي، فلا تفعل، وضحكت، وقالت: والله ما أشتهي أن أموت، حتى تأتي على أحد طرفيك، إما أن تُقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقر عيني، إياك أن تُعرض على خُطة فلا

---

(١) السابق (٢/ ١٣٠ - ١٣٢) بتصرف، وانظر «البداية والنهاية» (٨/ ٣٢٩ - ٣٤٥).

(٢) «المحلى» (٢/ ٢٢)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥).

توافق فتقبلها كراهية الموت، قال: وإنما عنى أخي أن يقتل فيحزنها ذلك[١].

وعن ابن عيينة: حدثنا أبو المُحيَّاة، عن أمه، قال: لما قتل الحجاج ابن الزبير، دخل على أسماء، وقال لها: يا أمه! إن أمير المؤمنين وصاني بك، فهل لك من حاجة؟ قالت: لست لك بأم، ولكني أم المصلوب على رأس الثنية، وما لي من حاجة، ولكن أحدثك: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج من ثقيف كذاب ومُبير**» فأما الكذاب فقد رأيناه ـ تعني المختار ـ وأما المبير فأنت، فقال لها: مبير المنافقين[٢].

وعن يعلى التيمي قال: دخلت مكة بعد قتل ابن الزبير بثلاث ـ وهو مصلوب ـ فجاءت أمه عجوز طويلة عمياء، فقالت للحجاج: أما آن للراكب أن ينزل؟ فقال: المنافق؟ قالت: والله ما كان منافقًا، كان صوامًا قوامًا برًا، قال: انصرفي يا عجوز! فقد خرفت، قالت: لا والله! ما خرفت منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**في ثقيف كذاب ومبير...**»[٣] الحديث.

هكذا كان أول ما لقنت المرأة من أدب الله ورسوله ﷺ الاعتصام بالصبر، إذا دجا الخطب، وجل المصاب.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩٣).

(٢) «السابق» (٢/ ٢٩٤).

(٣) «السابق».

أو لم تر إلى الخنساء ، وما ذهب به الدهر من حديث جزعها، وتصدع قلبها، واضطرام حشاها على أخيها، لقد استحال كل ذلك إلى صبر أساغه الإيمان، وجمَّله التقي ، فلم تأس على فائت من متاع الحياة الدنيا.

أولئك أبناؤها ، وهم أشطار كبدها، ونياط قلبها ، خرجوا إلى القادسية وكانوا أربعة، فكان مما أوصتهم به قولها : يا بني إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجنت حسبكم، وما غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية.

اصبروا ، وصابروا ، ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت نارًا على أرواقها، فيمموا وطيسها[1] ، وجالدوا رسيسها [2]، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة».

فلما كشرت الحرب عن نابها ، تدافعوا إليها، وتواقعوا عليها ، وكانوا عند ظن أمهم بهم، حتى قُتلوا واحدًا في أثر واحد.

ولما وافتها النعاة بخبرهم ، لم تزد على أن قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة»[3].

---

(١) الوطيس : المعركة أو الضرب.

(٢) الرسيس : الأصل.

(٣) «الإصابة» (٨/ ٦٦ ـ ٦٧) .

ذلك أبعد مدى تبلغه المرأة من جلال الصبر وقوة الإيمان!

وعن جويرية بن أسماء عن عمه أن إخوة ثلاثة شهدوا يوم تستر، فاستشهدوا، فخرجت أمهم يومًا إلى السوق عن أمور بنيها، فقال: «استشهدوا» فقالت: «مقبلين أو مدبرين؟» قال: مقبلين، قالت: الحمد لله نالوا الفوز، وحاطوا الذمار، بنفسي هم وأبي وأمي اهـ من «جمهرة الخطباء»[١]. اهـ

كل ذلك وأشباهه مما جعل للأم المقام الأوفى والمنزلة الأسمى، وهذا هو سر عظمة القوم، وسبيل نهضتهم، ومنبعث قوتهم، وإليه مرجع استبسالهم واستماتتهم.

خلفت جيلاً من الأبطال سيرتهم
تضوع بين الورى روحًا وريحانًا

كانت فتوحهموا برًا ومرحمة
كانت سياستهم عدلاً وإحسانًا

لم يعرفوا الدين أورادًا ومسبحة
بل أشبعوا الدين محرابًا وميدانًا[٢]

---

(١) «المنحة المحمدية في بيان العقائد السلفية» للشيخ محمد بن أحمد بن عبدالسلام خضر ص (٢٢١).

(٢) انظر: «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ٢٩٨).

الأم المسلمة وراء هؤلاء العظماء(١)

إذا قلَّبْتَ صفحات تاريخنا الإسلامي ، فلا تكاد تقف على عظيم ممن ذلَّتْ لهم نواصي الأمم، ودانت لهم الممالك وطبق ذكرهم الخافقين، إلا وهو ينزع بعرقه وخلقه إلى أم عظيمة، وكيف لا يكون ذلك والأم المسلمة قد اجتمع لها من وسائل التربية ما لم يجتمع لأخرى ممن سواها؟ مما جعلها أعرف خلق الله بتكوين الرجال ، والتأثير فيهم، والنفاذ إلى قلوبهم، وتثبيت دعائم الخلق العظيم بين جوانحهم، وفي مسارب دمائهم.

فالزبير بن العوام: فارس رسول الله ﷺ الذي بلغ بسالته وبطولته، أن عدل به الفاروق ﷺ ، ألفًا من الرجال، حين أمد به جيش المسلمين في مصر، وكتب إلى قائدهم عمرو بن العاص ﷺ يقول:

أما بعد : فإني أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألفٍ رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن خالد.

وقد صدقت فِراسة الفاروق ﷺ وسجل التاريخ في صفحاته أن الزبير لا يعدل ألفًا فحسب، بل يعدل أمة بأسرها، فقد تسلل إلى الحصن الذي

(١) مقتبس من «عودة الحجاب» (٢/ ١٩٩ ـ ٢١٢).

كان يعترض طريق المسلمين، وصعد فوق أسواره، وألقى بنفسه بين جنود العدو ، وهو يصيح صيحة الإيمان الله أكبر ، ثم اندفع إلى باب الحصن، ففتحه على مصراعيه ، واندفع المسلمون ، فاقتحموا الحصن، وقضوا على العدو قبل أن يفيق من ذهوله.

هذا البطل العظيم إنما قامت بأمره أمه صفية بنت عبدالمطلب عمة النبي ﷺ ، وأخت حمزة أسد الله ، فقد شب في كنفها ، ونشأ على طبعها، وتخلق بسجاياها.

والكملة العظماء: عبدالله ، والمنذر ، وعروة أبناء الزبير، كانوا ثمرات أمهم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وما منهم إلا له الأثر الخالد ، والمقام المحمود.

وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تنقل في تربيته بين صدرين من أملأ صدور العالمين حكمة وأحفلها بجلال الخلال ، فكان مغداه على أمه فاطمة بنت أسد، ومراحه على خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ .

وعبدالله بن جعفر ، سيد أجواد العرب ، وأنبل فتيانهم، تركه أبوه صغيراً ، فتعاهدته أمه أسماء بنتُ عُميس ، ولها من الفضل والنبل ما لها.

وأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أريب العرب وألمعيها، ورث عن هند بنت عتبة همة تجاوز الثريا، وهي القائلة ـ وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها : إن عاش معاوية ساد قومه ـ : ثكلته إن لم يسد

إلا قومه، ولما نعي إليها ولدها يزيد بن أبي سفيان قال لها بعض المعزين: إنا لنرجو أن يكون معاوية خلف منه، فقالت: أوَ مثل معاوية يكون خلفًا من أحد؟ والله لو جمعت العرب من أقطارها ، ثم رمي به فيها لخرج من أيها شاء.

وكان معاوية ﷺ إذا نوزع الفخر بالمقدرة ، وجوذب بالمباهاة بالرأي ، انتسب إلى أمه فصدع أسماع خصمه بقوله : «أنا ابن هند»[1].

وعبدالله بن زيد المازني : الذي حكى وضوء رسول الله ﷺ والذي قتل مسيلمة الكذاب بسيفه[2] ، وقتل هو يوم الحرة.

وأخوه حبيب بن زيد بن عاصم المازني : الذي أخذه مسيلمة فقطعه، قطعة قطعة.

كلاهما كان ثمرة أم فاضلة مجاهدة هي : أم عُمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية ﵂ كان أخوها عبد الله بن كعب المازني من البدريين ، وكان أخوها عبدالرحمن من البكائين ، شهدت ليلة العقبة، وشهدت أحدًا ، والحديبية ، ويوم حنين، ويوم اليمامة، وجاهدت، وفعلت الأفاعيل[3].

---

(١) «المرأة العربية» (٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤) بتصرف ، وانظر «معاوية بن أبي سفيان» لمنير الغضبان ص (٣١).

(٢) هكذا ذكره الحافظ الذهبي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) ، وهو يخالف ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله في قصة مقتل مسيلمة الكذاب في «البداية والنهاية» (٦/ ٣٤١ ، ٦/ ٢٦٨) من أن الكذاب قتله وحشي بن حرب، وأبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري.

(٣) انظر : «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٨٢) .

وعبدالملك بن مروان : أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وكان لها من مضاء العزم، وذكاء القلب ، ونفاذ الرأي ما لم يكن بعض الرجال في شيء منه، وهي التي يعنيها ابن قيس الرقيات في قوله لعبدالملك:

أنت ابن عائشة التي
فضلت أروم (١) نسائها
لم تلتفت للداتها(٢)
ومشت على غلوائها (٣)
ولدت أغر مباركًا
كالشمس وسط سمائها (٤)

وأبو حفص عمر بن عبدالعزيز : أروع الملوك وأعدلهم وأجلهم، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، أكمل أهل دهرها كمالاً وأكرمهن خلالاً ، وأمها تلك التي اتخذها عمر لابنه عاصم، وليس لها

---

(١) الأروم : جمع الأرومة : الأصل.

(٢) لدات : جمع لدة ، واللدة : التِّرْبُ ، من وُلِد معك.

(٣) الغلواء : الغلو ، وأول الشباب وسرعته.

(٤) «العقد الفريد» (٢/ ٢١٦) ط . بولاق ، وانظر «السير» للذهبي (٤/ ٢٤٩).

ما تعتز به من نشب ونسب إلا ما جرى على لسانها قول الصدق في نصيحتها لأمها[١] ، وهي التي نزعت به إلى خلائق جده الفاروق ﵁ .

وأمير المؤمنين عبدالرحمن الناصر : الذي ولي الأندلس وهو ولاية تميد بالفتن ، وتشرق بالدماء ، فما لبثت أن قرت له ، وسكنت لخشيته، ثم خرج في طليعة جنده ، فافتتح سبعين حصنًا في غزوة واحدة، ثم أمعن بعد ذلك في قلب فرنسا، وتغلغل في أحشاء سويسرا، وضم أطراف إيطاليا ، حتى ريض كل أولئك له ، ورجف لبأسه ، فكان أعظم أمراء بني أمية في الأندلس ، حكم مدة خمسين سنة وستة أشهر، وبعدما كانت قرطبة إمارة، أصبحت مقر خلافة يحتكم إليها عواهل أوروبا وملوكها ، ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم وفلاسفتها .

أتدري ما سر هذه الهمة، وما مهبط وحيها؟ إنها المرأة وحدها! فقد نشأ عبدالرحمن يتيمًا قتل عمُّه أباه وعمره واحد وعشرون يومًا، فتفردت أمه بتربيته وإيداع سر الكمال وروح السمو في ذات نفسه، فكان من أمره ما علمت[٢] .

---

(١) حكى الميداني أن عمر ﵁ مرَّ بسوق الليل ـ وهي من أسواق المدينة ـ فرأى امرأة معها لبن تبيعه، ومعها بنت لها شابة ، وقد همت العجوز أن تمذق لبنها ـ أي تخلطه بالماء ـ فجعلت الشابة تقول : يا أمه لا تمذقيه ، ولا تغشيه، فوقف عليها عمر فقال: من هذه منك؟ قالت: ابنتي، فأمر عاصمًا فتزوجها ، وهي جدة عمر بن عبدالعزيز لأمه.

(٢) «المرأة العربية» (٢/ ١٣٦) بتصرف ، وانظر «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٢٤).

وسفيان الثوري : وما أدراك ما سفيان الثوري [(١)]؟

إنه فقيه العرب ومحدثهم ، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنه أمير المومنين في الحديث الذي قال فيه زائدة : الثوري سيد المسلمين، وقال الأوزاعي: ولم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضا إلا سفيان، وما كان ذلك الإمام الجليل، والعَلَم الشامخ ، إلا ثمرة أمٍّ صالحة، حفظ التاريخ لنا مآثرها، وفضائلها، ومكانتها، وإن كان ضنَّ علينا باسمها.

روى الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله بسنده عن وكيع قال: قالت أم سفيان الثوري ـ لسفيان ـ : يا بني! اطلب العلم ، وأنا أكفيك بمغزلي [(٢)]، فكانت ـ رحمها الله ـ تعمل ، وتقدم له ، ليتفرغ للعلم، وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة، قالت له ذات مرة ـ فيما يرويه الإمام أحمد أيضًا ـ : يا بني ! إذا كتبت عشرة أحرف ، فانظر ، هل ترىٰ في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك [(٣)].

فهل من غرابة بعد هذا أن نرىٰ سفيان يتبوأ منصب الإمامة في الدين، كيف وهو قد ترعرع في كنف مثل هذه الأم الرحيمة، وتغذىٰ بلبان تلك الأم الناصحة التقية؟!

والإمام الثقة الثبت إمام أهل الشام وفقيههم، أبو عمرو الأوزاعي:

يقول فيه أبو إسحاق الفزاري : ما رأيت مثل رجلين: الأوزاعي

---

(١) انظر «الإمام سفيان الثوري» للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني ص (٣٦ ـ ٣٧).

(٢ ، ٣) «صفة الصفوة» (٣/ ١٨٩).

والثـوري ، فأمـا الأوزاعي ، فكان رجل عـامـة ، والثوري كـان رجل خاصة، ولو خيرت لهذه الأمة ؛ لاخـترت لها الأوزاعي ؛ لأنه كان أكثر توسـعًا، وكان والله إمـامًا ، إذ لا نصـيب اليـوم إمامًا ، ولـو أن الأمة أصابتـها شدة، والأوزاعي فـيهم ؛ لرأيت لهم أن يفزعـوا إليه[1]، وقال الخريبي : كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه.

وقال بقـية بن الوليد : إنا لنـمتحن الناس بالأوزاعي ، فـمن ذكره بخير عرفنا أنه صاحب سنة.

وقال العجلي : شامي ثقة من خيار المسلمين.

وقال الشافعي : ما رأيت أحدًا أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعي[2].

قال النووي رحمه الله : وقد أجـمع العلماء على إمامة الأوزاعي ، وجلالته، وعلو مرتبته، وكمال فضله، وأقاويل السلف رحمهم الله كثيرة مشـهورة مصرحـة بورعه ، وزهده، وعبـادته ، وقيامه بالحق ، وكـثرة حديثـه ، وغزارة فقـهه، وشدة تمسكه بالسنة، وبراعـته في الفصـاحة، وإجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له، واعترافهم بمرتبته[3].

وعن سفيان الثوري : أنه لما بلغه مقدم الأوزاعي ، خرج حتى لقيه بذي طوى ، فحل سفيان رأس البعيـر عن القطار، ووضعه على رقبته ،

---

(١) يعني : كي يفيدوا من علمه وقضائه وورعه.

(٢) انظر : «تهذيب التهذيب» (٦/ ٢٣٨ ـ ٢٤٢).

(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٢٢٩).

وكان إذا مر بجماعة قال: الطريق للشيخ[١].

وذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في الطبقات أن الأوزاعي سئل عن الفقه ـ يعني استفتي ـ وله ثلاث عشرة سنة[٢].

ذلك الحبر البحر كان أيضًا ثمرة أم عظيمة.

قال الذهبي رحمه الله: قال العباس بن الوليد: فما رأيت أبي يتعجب من شيء في الدنيا تعجبه من الأوزاعي، فكان يقول: سبحانك تفعل ما تشاء! كان الأوزاعي يتيمًا فقيراً في حجر أمه، تنقله من بلدٍ إلى بلد، وقد جرى حكمك فيه أن بلغته حيث رأيته، يا بني! عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدب الأوزاعي في نفسه، ما سمعت منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكًا قط حتى يُقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد، أقول في نفسي: أترى في المجلس قلب لم يبك[٣]؟

قال أبو مسهر: وكان الأوزاعي رحمه الله يحيي الليل صلاة وقرآنًا وبكاء، وأخبرني بعض إخواني من أهل بيروت، أن أمه كانت تدخل منزل الأوزاعي، وتتفقد موضع مصلاه، فتجده رطبًا من دموعه في الليل[٤]. اهـ

وهذه أم «ربيعة الرأي» شيخ الإمام مالك: أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار، خلفها زوجها عندها، وخرج إلى الغزو، ولم

(١، ٢) «السابق» (١/ ٣٠٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١١٠).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٢٠).

يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة والمشيخة، وكانت أمه قد اشترتهما له بمال الرجل، فأحمد الرجل صنيعها، وأربح تجارتها في قصة طويلة ساقها ابن خلكان، قال:

(وكان فروخ أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية، وربيعة حمل في بطن أمه، وخلَّف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسًا، وفي يده رمح، فنزل ودفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، وقال: يا عدو الله أتهجم على منزلي؟ فقال فروخ: يا عدو الله أنت دخلت علي حرمي؟ فتواثبا حتى اجتمع الجيران، وبلغ مالك بن أنس فأتوا يعينون ربيعة، وكثر الضجيج، وكل منهما يقول: «لا فارقتك»، فلما بصروا بمالك سكتوا، فقال مالك: أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري، وأنا فروخ، فسمعت امرأته كلامه، فخرجت وقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلَّفه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعًا وبكيا، ودخل فروخ المنزل، وقال: هذا ابني؟ فقالت: نعم، قال: أخرجي المال الذي عندك، قالت ـ تعرض ـ: قد دفنته، وأنا أخرجه، ثم خرج ربيعة إلى المسجد، وجلس في حلقته، فأتاه مالك والحسن وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به، فقالت أمه لزوجها فروخ: اخرج فصل في مسجد رسول الله ﷺ، فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها، فوقف عليها، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه قلنسوة طويلة، فشك أبوه فيه، فقال: من هذا الرجل؟ فقيل: هذا ربيعة ابن أبي عبدالرحمن، فقال: لقد رفع الله ابني، ورجع إلى منزله، وقال

لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحدًا من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: فأيما أحب إليك : ثلاثون ألف دينار ، أو هذا الذي هو فيه؟ فقال: لا والله بل هذا، فقالت: أنفقت المال كله عليه، قال: فوالله ما ضيعتيه[1]. اهـ

إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله:

قال مطرف : قال مالك : قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالبس ثياب العلم ، فألبستني مسمرة ووضعت الطويلة على رأسي ، وعممتني فوقها ، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن، وكانت تقول: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه»[2]. اهـ

ثم إذا نشرنا صفحة العهد العباسي ، بل صفحة العهد الإسلامي لا نجد في تضاعيفها امرءًا دنت له قطوف العلم والحكمة، ودانت له نواصي البلاغة والفصاحة .

محمد بن إدريس الشافعي ، فهو الشهاب الثاقب الذي انتظم حواشي الأرض، فملأ أقطارها علمًا وفقهًا، ذلك أيضًا ثمرة الأم العظيمة.

فقد مات أبوه وهو جنين أو رضيع ، فتولته أمه بعنايتها ، وأشرقت عليه بحكمتها، وكانت امرأة من فضليات عقائل الأزد [3]، وهي التي تنقلت به من غزة مهبطه إلى مكة مستقر أخواله، فربته بينهم هنالك.

---

(١) «من أخلاق العلماء» للشيخ محمد بن سليمان (صـ ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٢) نقله عن «مقدمة كتاب الديباج المذهب» لابن فرحون ، الأستاذ محمد نور سويد في كتابه «منهج التربية النبوية للطفل» صـ (٢٣٥).

(٣) «طبقات الأدباء» (٦/ ٣٧٨)، «المجموع» للنووي (١/ ١٤).

وكانت أم الشافعي رحمها الله ـ باتفاق النقلة ـ من العابدات القانتات، ومن أزكى الخلق فطرة [١]، ومن طريف ما يحكى عنها من الحذق والذكاء : أنها شهدت عند قاضي مكة هي وأخرى[٢] مع رجل فأراد أن يفرق بين المرأتين فقالت له أم الشافعي: ليس لك ذلك ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: **﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾**[٣] فرجع القاضي لها في ذلك[٤].

قال الحافظ ابن حجر [٥]: وهذا فرع غريب ، واستنباط قوي.

وعن وكيع قال: كان **الحسن بن صالح وأخوه** وأمهما قد جزءوا الليل ثلاثة أجزاء ، فكل واحد يقوم ثلثًا ، فماتت أمهما ، فاقتسما الليل، ثم مات علي، فقام الحسن الليل كله[٦].

وكان **جعفر بن يحيى** وزير الرشيد أرفق الناس برياضة القول ، وأعرفهم بفنون الكلام، وكان إذا عقب رسالة، أو وقع تحت كتاب فإليه مباءة البلاغة، ونهاية الإيجاز، حتى لقد يتدافع الكُتّاب على بابه فيشترون من حُجابه كل توقيع بدينار.

---

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي (٢/ ١٧٩).

(٢) هي أم بشر المريسي كما في «السابق» (٢/ ١٧٩).

(٣) من الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.

(٤ ,٥) «توالي التأسيس» لابن حجر صـ (٤٦).

(٦) «حلية الأولياء» (٧/ ٣٢٨) ، وانظر : «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٦١) وما بعدها.

«كل ذلك ورثه جعفر عن أمه لا عن أبيه»(١).

وعن سفيان بن عيينة قال: قالت أم طلق لطلق: ما أحسن صوتك بالقرآن! فليته لا يكون عليك وبالاً يوم القيامة، فبكى حتى غشي عليه(٢).

أم إبراهيم البصرية العابدة:

حُكي أنه كان بالبصرة نساء عابدات، وكان منهن أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فانتدب الناس للجهاد، فقام عبدالواحد بن زيد البصري في الناس خطيبًا، فحضهم على الجهاد، وكانت أم إبراهيم هذه حاضرة مجلسه، وتمادى عبدالواحد في كلامه، ثم وصف الحور العين، وذكر ما قيل فيهن، وأنشد في وصف حوراء:

غادة ذات دلال ومرح
يجد الناعت فيها ما اقترح

خلقت من كل شيء حسن
طيب فالليث فيها مطرح

زانها الله بوجه جمعت(٣)
فيه أوصاف غريبات الملح

---

(١) «البيان والتبيين» (١/ ٥٩).

(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٧).

(٣) الملحة: واحدة الملح من الأحاديث.

وبعين كـحلها من غنجـها[1]
وبخد مسكه فيه رشح

ناعم يجري على صفحته
نضرة الملك ولألاء الفرح

أثري خاطبها يسمعها
إذ تدير الكأس طوراً والقدح

في رياض مونق نرجسها
كلما هبت له الريح نفخ

وهي تدعوه بود صادق
ملئ القلب به حتى طفح

يا حبيبًا لست أهوى غيره
بالخواتيم يتم المفتتح

لا تكونن كمن جد إلي
منتهى حاجته ثم جمح

لا فما يخطب مثلي من سها
إنما يخطب مثلي من ألح

---

(١) الغنج : بالضم ، وبضمتين ، والغناج : الشكل : الدلال ، يقال: غنجت الجارية وهي غنجة.

قال : فماج الناس بعضهم في بعض ، واضطرب المجلس ، فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس ، وقالت لعبد الواحد : «يا أبا عبيد! ألست تعرف ولدي إبراهيم، ورؤساء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم، وأنا أضربه عليهم، فقدوالله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عروسًا لولدي، فكرر ما ذكرت من حسنها وجمالها ، فأخذ عبدالواحد في وصف حوراء، ثم أنشد:

تولد نور النور من نور وجهها
فمازج طيب الطيب من خالص العطر

فلو وطئت بالنعل منها على الحصى
لأعشبت الأقطار من غير ما قطر

ولو شئت عقد الخصر منها عقدته
كغصن من الريحان ذي ورق خضر

ولو تفلت في البحر شهد رُضابها [1]
لطاب لأهل البر شرب من البحر

يكاد اختلاس اللحظ يجرح خدها
بجارح وهم القلب من خارج الستر

---

(١) الرضاب : الريق المرشوف، وفُتات المسك ، وقطع السكر، والبرد ، ولعاب العسل.

فاضطرب الناس أكثر، فوثبت أم إبراهيم ، وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد ! قد والله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عروسًا لولدي، فهل لك أن تزوجه منها هذه الساعة، وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار، ويخرج معك في هذه الغزوة، فلعل الله يرزقه الشهادة ، فيكون شفيعًا لي ولأبيه في القيامة؟ فقال لها عبدالواحد لئن فعلت لتفوزن أنت وولدُك وأبو ولدك فوزًا عظيمًا، ثم نادت ولدها : يا إبراهيم! فوثب في وسط الناس ، وقال لها : لبيك يا أماه! قالت: أي بني! أرضيت بهذه الجارية زوجة ببذل مهجتك في سبيله؟ وترك العود في الذنوب؟ فقال الفتى : إي والله يا أماه!، رضيت أيَّ رضًا ، فقالت: اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي هذا من هذه الجارية، ببذل مهجته في سبيلك، وترك العوُد في الذنوب، فتقبله مني يا أرحم الراحمين، قال: ثم انصرفت فجاءت بعشرة آلاف دينار ، وقالت: يا أبا عبيد! هذا مهر الجارية تجهز به، وجهز الغزاة في سبيل الله تعالى ، وانصرفت فابتاعت لولدها فرسًا جيدًا، واستجادت له سلاحًا ، فلما خرج عبدالواحد ، خرج إبراهيم يعدو ، والقراء حوله يقرءون : ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾، قال: فلما أرادت فراق ولدها، دفعت إليه كفنًا وحنوطًا ، وقالت له: يا بني! إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن، وتحنط بهذا الحنوط، وإياك أن يراك الله مقصرًا في سبيله، ثم ضمته إلى صدرها ، وقبلته بين عينيه ، وقالت له: يا بني ! لا جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة.

قال عبدالواحد: فلما بلغنا بلاد العدو ، ونودي في النفير ، وبرز

الناس للقتال ، برز إبراهيم في المقدمة، فقتل من العدو خلقًا كثيرًا، ثم اجتمعوا عليه فقتل.

قال عبدالواحد: فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابي: لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها، حتى ألقاها بحسن العزاء، لئلا تجزع فيذهب أجرها، قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقوننا ، وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج ، قال عبدالواحد: فلما نظرت إليَّ قالت: يا أبا عبيد! هل قبلت مني هديتي فأهنأ، أم ردت علي فأعزى؟ فقلت لها: قد قُبلت هديتك، إن إبراهيم حيٌّ مع الأحياء يُرزق[1] ، قال: فخرت ساجدة لله شكرًا ، وقالت: الحمد لله الذي لم يخيب ظني، وتقبل نسكي مني، وانصرفت فلما كان من الغد أتت إلى مسجد عبدالواحد ، فنادت : السلام عليك يا أبا عبيد بشراك، فقال: لازلت مبشرة بالخير، فقالت له: رأيت البارحة ولدي إبراهيم ، في روضة حسناء ، وعليه قبة خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ، وعلى رأسه تاجٌ وإكليل ، وهو يقول: يا أماه أبشري ، فقد قبل المهر ، وزفت العروس[2] .

كذلك كانت النساء في ذلك العهد الكريم مبعث كل شيء في

---

(١) الصحيح أن يدعو له بالشهادة، أو يستثني فيقول: إن شاء الله، انظر «فتح الباري» (٦/ ٨٩).

(٢) ذكر هذه القصة الشيخ محمود العالم رحمه الله في مختصره : «فكاهة الأذواق مشارع الأشواق ، إلى مصارع العشاق، ومثير الغرام إلى دار السلام» صـ (٢٦ ـ ٢٩) ، للعلامة المجاهد أحمد بن إبراهيم النحاس رحمه الله.

نفوس أبنائهن ، والأمر في ذلك ما قال رافع بن هريم:

فلو كنتم لمكيسة لكاست
وكيس الأم يعرف في البنينا

أما بعد ...

فأولئك هن الأمهات اللواتي انبلج عنهن فجر الإسلام ، وسمت بهن عظمته، وصدعت بقوتهن قوته، وعنهن ذاعت مكارمه، ورسخت قوائمه، وهكذا كانت الأم في عصور الإسلام الزاهية، وأيامه الخالية، مهبط الشرف الحر ، العز المؤثل، والمجد المكين، وصدق الشاعر:

الأم مدرسة إن أعددتها
أعددت شعبًا طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا
بالري أورق أيما إيراق

الأم أستاذ الأساتذة الألى
شغلت مآثرهم مدى الآفاق

يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي في مبحث تحت عنوان التربية العسكرية على مبادئ الإسلام : إنكم إذا شاهدتم في بعض المعارك من بعض الجنود والضباط العسكريين أعمالاً بطولية، ولمستم فيهم عاطفة عارمة للجهاد المقدس، وشوقًا متدفقًا للاستشهاد في سبيل الله ، واستعدادًا مدهشًا للاستماتة . فليس مصدر هذا النوع من التربية هو

حصن الأمهات المسلمات اللواتي ألقين في روع هؤلاء المجاهدين البواسل اسم الله ورسوله في نعـومة أظفارهم ، أو مـصدرها المجتـمع الإسلامي الذي رسمت البـقية الباقـية من تقاليده في قلوب هؤلاء البـواسل تصور الإلـه ، وتصور الرسول ، وتصور الجـهاد المقدس، وتصور الشهادة في سـبـيل الله، وبذرت في أذهانهم بذور الإسـلام، الأمـر الذي يخلو منه نظامنا للتدريب»[1].

●●●

(١) دور الطلبة في بناء مستقبل الأمة» (صـ ٤٠ ـ ٤١).

المرأة وصواب رأيها

قد ضربت المرأة أروع الأمثلة في رجحان عقلها وصواب رأيها في أمور كثيرة، فها هما فتاتان أهل مدين ابنتا الرجل الصالح، وقد طلبت إحداهما من أبيها أن يؤجر موسى عليه السلام وذكرت له من الصفات الحسنة التي تؤهله إلى ذلك : ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** (٢٦)﴾ [القصص: ٢٦].

وها هي خديجة رضي الله عنها تقول للنبي ﷺ - عندما جاءه جبريل وهو في غار حراء ، (... الحديث ، وفيه: فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «**زملوني زملوني**» فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - : «**لقد خشيت على نفسي**» فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى - ابن عم خديجة - وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي ، فقالت له خديجة: يابن عم! اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يابن أخي! ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله

ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ياليتني فيها جذعًا ، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك؟ فقال رسول الله ﷺ : «**أومخرجي هم؟**» قال: نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي)[١] . فقد أدركت خديجة رضي الله عنها ـ بكمال عقلها ـ أن مَن يتصف بهذه الصفات ، لا يخزيه الله أبدًا

«وانظري أختي المسلمة إلى أم سلمة رضي الله عنها تلك المرأة التي استطاعت أن تنقذ المسلمين من موقف العصيان لله ورسوله، فقد دخل عليها رسول الله ﷺ خائفًا على أمته من عذاب الله سبحانه ، حين خالفوا أمره ﷺ ، ذلك إنه لما فرغ رسول الله ﷺ من كتابة الكتاب في صلح الحديبية ، كما في مسند الإمام أحمد ، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أيها الناس انحروا واحلقوا**» قال: فما قام أحد ، قال: ثم عاد بمثلها ، فما قام رجل، فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة فقال: «**يا أم سلمة! ما شأن الناس؟**» قالت : يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت ، فلا تكلمن منهم إنسانًا ، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره ، واحلق ، فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحد ، حتى أتى هديه فنحره ، ثم جلس فقام الناس ينحرون ويحلقون ، قال : حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق فنزلت سورة الفتح[٢] .

وهل هناك فطنة وعقل وحنان أكثر مما فطنت له أم أيمن رضي الله عنها حين أتى

---

(١) رواه البخاري (٣) ، ومسلم (١٦٠).

(٢) مسند الإمام أحمد (ج٤) ص (٣٢٦).

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يزورانها ، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ ـ لعمر رضي الله عنه : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها ، كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ ، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها[1] .

لقد وعت أم أيمن رضي الله عنها معنى نزول الوحي من السماء، فآلمها انقطاعه، وافتقدت هدايته، وعرفت بعقل المؤمنة الناضجة أن هذا الوحي خير للمجتمع المسلم، وكأنها استشفت بعقلها وبصيرتها ما سيؤول إليه حال الأمة الإسلامية من الفتن بانقطاع الوحي، الذي توقف عن مواكبة الأحداث وتفسيرها والحكم عليها، فكيف لا تبكي وتبكي وتستبكي غيرها رضي الله عنها.

وفي موقف الحجيج، يتساءل الصحابة أصائم أم مفطر رسول الله ﷺ فتسرع أم الفضل لتريح العقول التواقة إلى معرفة حكم صيام يوم عرفة للحاج، مقدمة قدح اللبن إلى رسول الله ﷺ فيشربه ﷺ[2] .

وقد استطاعت المرأة المسلمة في عصر الرسول ﷺ وما بعده أن تعبر عن رأيها وذاتها ووجودها بكل حرية وعزة وشجاعة في كل الأمور

(١) مسلم (ج٤) كتاب فضائل الصحابة ، وباب من فضائل أم أيمن ص ١٩٠٧ ح ٢٤٥٤ ..

(٢) رواه البخاري (١٦٥٨).

وفي الزواج خاصة بكل أدب وحياء وقوة رأي ، فهذه بنت خذام رضي الله عنها تقول: إن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك ، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحه(١)»(٢).

وها هي سعدى ، عندما رأت ما يغم زوجها قائلاً : اجتمع عندي مال ، ولا أدري كيف أصنع به؟ قالت: وما يغمك منه؟ ادع قومك ، فاقسمه بينهم ، فقال: يا غلام! عليَّ بقومي ، سألت الخازن : كم قسم؟ قال: أربع مئة ألف(٣).

وقد استشار النبي ﷺ النساء في أمور خاصة ، فقد سأل بريرة واستشارها في أمر عائشة رضي الله عنها عندما وقعت حادثة الإفك(٤) ، ونحو ذلك مسطور في كتب السير والتواريخ.

●●●

(١) رواه البخاري (٥١٣٨) .

(٢) انظر «الأمومة» (٢/ ٥١٣ ـ ٥١٥).

(٣) قد سبق تخريجه وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٩١٢).

(٤) رواه البخاري «فتح» (٨/ ٤٥٢) ، ومسلم (صـ ٢١٢٩).

المرأة والكرم وقيامها على الأضياف

الكرم صفة حميدة شرعًا وعرفًا ، والبخل صفة ذميمة يكرهها كل إنسان ، وإن كان متصفًا بها ، وللضيف حق قد دعا إليه رسولنا ﷺ في قوله : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»[1] .

وما أخرجه البخاري من حديث عقبة بن عامر ، وفيه : «**إن نزلتم بقوم فأمر لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف**»[2] .

وقد سبق فيما مضى الحديث عن الكرم بشيء من التوسع تحت باب المرأة المتصدقة .

وها نحن نُذكِّر الأخت المسلمة بمن سبقها من نساء السلف الصالح وحسن قيامهن على الأضياف ، وكثرة البذل والعطاء .

فقد قال فريق من المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿ وامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾ [هود: ٧١]، أي : قائمة على خدمة أضياف زوجها، وعلى ذلك جملة أمثلة أخرى .

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨) ، ومسلم (٤٧).

(٢) رواه البخاري (٢٤٦١) ، ومسلم (١٧٢٧).

وقد كان هناك عروس تخدم أضياف زوجها على عهد رسول الله ﷺ(١).

وانظري إلى هذا المثل الرائع من أمثلة الإيثار والكرم.

أخرج البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك، لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: «**من يضيف هذا الليلة، رحمه الله**» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله! فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنَّا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**»(٢).

وإكرامكِ للأضياف يجلب لكِ محبة الله سبحانه وتعالى، لامتثالك أمره وطاعتك لرسله عليهم الصلاة والسلام، ثم هو أيضًا يجلب لكِ محبة المخلوقين، وثناءً عطرًا فيهم، ولا تظني أن إكرامكِ للضيف سيسبب لكِ الفقر، وسيذهب بمالكِ، ولكن احتسبي الأجر

(١) انظر: البخاري (٥٥٩٧)، ومسلم (حديث ٢٠٠٦).

(٢) رواه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

والثواب عند الله، وأيقني بقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ : ٣٩].

فلا تخشي من فقر ولا تتحرجي من ضيف ، فالبركة من الله سبحانه، وطعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية، كما قال رسول الله ﷺ(١) .

وانظري إلى هذه القصة وتبيني ما فيها من خير وبركة.

أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال أبو طلحة لأم سليم : قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم ، فأخرجت أقراصًا من شعير ، ثم أخذت خمارًا لها ، فلفت الخبز ببعضه ، ثم دسته تحت ثوبي ، وردتني ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ ، قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : «**أرسلك أبو طلحة؟**» قال: قلت : نعم ، فقال: «**آالطعام؟**» فقلت : نعم ، فقال رسول الله ﷺ لمن معه : «**قوموا**» قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا، فقال رسول الله ﷺ : «**هلمي ما عندك يا أم سليم**» فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ففُتَّ وعصرت عليه أم سليم عكة لها فأدَّمته ، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول ، ثم قال:

(١) وفي «الصحيحين» (٥٣٩٢) ، ومسلم (٢٠٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة**».

«**ائذن لعشرة**» فأذن لهم فأكلوا ، حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال: «**ائذن لعشرة**» حتى أكل القوم كلهم ، وشبعوا ، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون[١][٢].

وفي صحيح مسلم[٣] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما حضر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصًا فانكفأت إلى امرأتي، فقلت لها : هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصا شديدًا ، فأخرجت لي جرابًا فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن، قال: فذبحتها وطحنت ففزعت إلى فراغي ، فقطعتها في برقها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه، قال: فجئته فساررته ، فقلت: يا رسول الله! إنا قد ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعًا من شعير كان عندنا ، فتعال أنت في نفر معك، فصاح رسول الله ﷺ وقال: «**يا أهل الخندق! إن جابرًا قد صنع لكم سودًا ، فحيهلا بكم**» وقال رسول الله ﷺ : «**لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء**».

فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بك ، وبك فقلت: قد فعلت الذي قلت لي ، فأخرجت له عجينًا فبصق فيها ، وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ، ثم قال: «**ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها**» وهم ألف ،

---

(١) البخاري (٣٥٧٨) ، ومسلم (٢٠٤٠).

(٢) وانظر فقه الأخلاق لشيخنا أبي عبدالله مصطفى بن العدوي (٤/ ١٢٥ ـ ١٢٧).

(٣) مسلم حديث (٢٠٣٩).

فأقسم بالله ، لأكلوا حتى تركوه وانحـرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجينتنا ـ أو كما قال الضحاك ـ لتختبز كما هو.

وقد أمر خليل الرحـمن ولده إسماعيل بفراق زوجـته ؛ لما وجدها ساخطة بخيلة غـير محسنة لاسـتقبال الأضيـاف ، في «الصحيح»[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتقفي أثرها على سارة... فذكر الحديث ، وفيه: وماتت أم إسمـاعيل فجاء إبراهيم بـعدما تزوج إسمـاعيل يطالع تركتـه، فلم يجد إسمـاعيل ، فسأل امـرأته عنه فقالت: خـرج يبتغي لنا ، ثم سـألها عن عيشـهم وهيئتهم، فـقالت: نحن بِشَرّ ، نحن في ضيـق وشدة، فشكت إليه ، قال: فإذا جـاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له يغيـر عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شـيئًا ، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم ! جـاءنا شيخ كذا وكـذا ، فسألنـا عنك فأخبـرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا في جهد وشدة ، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت نعم! أمرني أن أقرأ عليك السـلام، ويقول: غيِّر عتـبة بابك، قال: ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك فطلقها.

• • •

---

(١) البخاري حديث (٣٣٠٤).

المرأة الصابرة

على المرأة المسلمة أن تصبر على طاعة الله عز وجل ، وأن تكف النفس عن معصية الله ، وأن ترضى بقضاء الله وقدره ، وكل ذلك بنفس راضية غير ساخطة طالبة للجنة خائفة من عقاب الله عز وجل، وتعلم أن ما أصابها لم يكن ليخطئها وأن ما أخطأها لم يكن ليصيبها .

والمرأة أكثر جزعًا أمام المصائب منهن من تلطم الخدود وتشق الجيوب وتدعو بدعوى الجاهلية، وهذا محذور شرعًا ، ومنهن من تقنط من رحمة الله ، وتتلفظ بكلام يرديها جهنم والعياذ بالله.

فعليها أن تذكر قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

ونُذكِّر بما أخرجه مسلم[١] من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي ، واخلف لي خيراً منها ؛ إلا أخلف الله له خيراً منها» .

---

(١) مسلم حديث (٩١٨).

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ.

قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت: إن لي بنتًا وأنا غيور، فقال: «**أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة**».

وفي رواية لمسلم[1] من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله، وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها؛ إلا أجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها**».

قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيرًا منه رسول الله ﷺ.

ثم إن أهل الميت قد يكونون في حاجة إلى شيء من التعليم والتوجيه والإرشاد، ففي الذهاب إليهم نفع من هذا الباب كذلك.

أخرج مسلم[2] من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حضرتم المريض، أو الميت، فقولوا خيرًا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**» قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! إن أبا سلمة قد مات، قال: «**قولي: اللهم اغفر لي وله،**

---

(١) مسلم ص ٦٣٣ .

(٢) مسلم حديث (٩١٩).

وأعقبني منه عقبى حسنة» قالت: فقلت، وأعقبني الله من هو خير لي منه محمد ﷺ.

قال الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم:

«وكان من أول ما لقنت المرأة من أدب الله تعالى ورسوله ﷺ: الاعتصام بالصبر، إذا دجا الخطب، وجل المصاب.

وقد تقدم ذكر خبر الخنساء، وما ذهب به الدهر من حديث جزعها، وتصدع قلبها، واضطرام حشاها على أخيها، لقد استحال كل ذلك إلى صبرٍ أساغه الإيمان، وجمَّله التقى، فلم تأس على فائت من متاع الحياة الدنيا.

أولئك أبناؤها، وهم أشطار كبدها، ونياط قلبها، خرجوا إلى القادسية وكانوا أربعة، فكان مما أوصتهم به قولها: يا بني! إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجنت حسبكم، وما غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية.

اصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت نارًا على أرواقها، فيمموا وطيسها (١)، وجالدوا رسيسها(٢)، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة».

---

(١) الوطيس: المعركة، أو الضرب فيها.

(٢) الرسيس: الأصل.

فلما كشرت الحرب عن نابها ، تدافعوا إليها، وتواقعوا عليها، وكانوا عند ظن أمهم بهم، حتى قتلوا واحدًا في أثر واحد.

ولما وافتها النعاة بخبرهم ، لم تزد على أن قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة(١).

ذلك أبعد مدى تبلغه المرأة من جلال الصبر ، وقوة الإيمان، ولعل أبعد منه:

ما حدَّث أنس بن مالك ، عن أمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية زوج أبي طلحة زيد بن سهل قال: مرض أخ لي من أبي طلحة يدعى أبا عمير، فبينا أبو طلحة في المسجد مات الصبي، فهيأت أم سليم أمره، وقالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه، فرجع من المسجد، وقد تطيبت له وتصنعت، فقال: ما فعل ابني؟ قالت: هو أسكن مما كان، وقدمت له عشاءه ، فتعشى هو وأصحابه الذين قدموا معه، ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة، فأصاب من أهله، فلما كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة؟ ألم تر إلى آل فلان! استعاروا عارية(٢)، فتمتعوا بها، فلما طلبت إليهم شق عليهم؟ قال: ما أنصفوا، قالت: فإن ابنك فلانًا كان عارية من الله فقبضه إليه، فاسترجع ، وحمد الله ، وقال: والله لا أدعك تغلبينني على الصبر، حتى إذا أصبح غدا على رسول الله ﷺ ، فلما رآه قال: «**بارك الله لكما في ليلتكما**» فاشتملت منذ تلك الليلة على عبدالله بن أبي طلحة

---

(١) انظر : «الاستيعاب» لابن عبدالبر (٤/ ٢٩٧) ، و«الإصابة» (٧/ ٦١٥ ـ ٦١٦) و«المرأة العربية» (٢/ ٧٩ ـ ٨٠).

(٢) العارية : إباحة الانتفاع بعين من أعيان المال ، مع بقاء عينها.

ولم يكن في الأنصار شاب أفضل منه، وخرج منه رجل كثير، ولم يمت عبدالله حتى رزق عشر بنين، كلهم حفظ القرآن، وأبلى في سبيل الله[(١)].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: شهدت أم سليم «حنينًا» مع رسول الله ﷺ ومعها خنجر قد حزمته على وسطها، وإنها يومئذ حامل بعبدالله بن أبي طلحة، فقال أبو طلحة: يا رسول الله! إن أم سليم معها خنجر، فقالت: يا رسول الله أتخذه إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه، أقتل به الطلقاء، وأضرب أعناقهم إن انهزموا بك، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «**يا أم سليم! إن الله قد كفى وأحسن**»[(٢)].

وعن عبدالمؤمن بن عبدالله القيسي قال: ضربت أم إبراهيم العابدة دابة فكسرت رجلها، فأتاها قوم يعزونها، فقالت: لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة مفاليس[(٣)].

وقال أبو الفرج ابن الجوزي في «عيون الحكايات»: قال الأصمعي: خرجت أنا وصديق لي البادية، فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق، فقصدناها، فسلمنا، فإذا امرأة ترد علينا السلام، قالت:

---

(١) «الإصابة» (٨/ ٢٢٩)، و«الطبقات الكبرى» (٨/ ٣١٦)، وقد استشهد عبدالله بفارس، وأصل الحديث في الصحيحين، وغيرهما، وله عدة روايات جمعها العلامة الألباني في «أحكام الجنائز وبدعها» (صـ ٢٤ ـ ٢٦).

(٢) «الطبقات» (٨/ ٣١١)، وصححه الحافظ في «الإصابة» (٨/ ٢٢٩).

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ١٩٠).

ما أنتم؟ قلنا: قوم ضالون عن الطريق أتيناكم فأنسنا بكم . فقالت: يا هؤلاء ولوا وجوهكم عني حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل، ففعلنا فألقت لنا مسحًا[1] فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني، ثم جعلت ترفع طرف الخيمة وتردها[2] إلى أن رفعتها ، فقالت: أسأل الله بركة المقبل أما البعير فبعير ابني، وأما الراكب فليس بابني[3] ، فوقف الراكب عليها، فقال: يا أم عقيل! أعظم الله أجرك في عقيل، قالت: ويحك مات ابني؟ قال: نعم، قالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر، فقالت: انزل فاقض ذمام[4] القوم، ودفعت إليه كبشًا ، فذبحه وأصلحه ، وقرب إلينا الطعام ، فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها، فلما فرغنا خرجت إلينا وقد تكورت فقالت: يا هؤلاء هل فيكم من يحسن من كتاب الله شيئًا؟ قلت: نعم، قالت: اقرأ علي من كتاب الله آيات أتعزى بها، قلت: يقول الله عز وجل في كتابه: **﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾** قالت: آلله إنها لفي كتاب الله هكذا؟ قلت: آلله إنها لفي كتاب الله هكذا، قالت:

---

(١) المسح : الفراش.

(٢) يعني ترتقب قدوم ولدها.

(٣) يعني أنها تفرست وحدثت نفسها بوقوع مكروه لولدها ، لما رأت غيره راكبًا بعيره.

(٤) الذمام : الحرمة ، والحرمة ما لا يحل انتهاكه، والمقصود هنا أنها قالت له في أشد حزنها أن يعطي القوم حقهم في الضيافة.

السلام عليكم، ثم صفت قدميها وصلت ركعات، ثم قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون عند الله أحتسب عقيلاً، تقول ذلك ثلاثًا ، اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما وعدتني»[1].

ولما مات عبدالله بن الفرج لم تُعْلِم زوجته لإخوانه بموته، وهم جلوس بالباب ينتظرون الدخول عليه في علته، فغسلته، وكفنته في كساء كان له، فأخذت فرد باب من أبواب بيته، وجعلته فوقه، وشدته بشريط، ثم قالت لإخوانه: قد مات، وقد فرغت من جهازه، فدخلوا فاحتملوه إلى قبره، وأغلقت الباب خلفهم[2] اهـ»[3].

وعلى المرأة أن تصبر على طاعة الله ورسوله وإن خالف ذلك هواها، وأن تقدم حب الله ورسوله فوق كل حب، وأن تصبر على ذلك.

فهذه أم مسطح ﵂ تعبر عن صدق الإيمان حين يصطدم مع أمومتها في حادثة الإفك، وهل أغرب من أنها شتمت ابنها دون أن تعلم بعد بحقيقة الحادثة، تقول عائشة ﵂ في روايتها لقصة الإفك: «فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي دهم... نمشي فعثرت في مرطها ... فقالت: تعس مسطح، فقلت لها بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا؟ فقالت: أي

---

(١) «المنحة المحمدية» للشيخ محمد عبدالسلام الشقيري رحمه الله ص (٢٠٨ - ٢٠٩).

(٢) «الغرباء» للآجري صـ (٦٧).

(٣) «عودة الحجاب» (٢/٥٤٦ - ٥٤٩).

هنتاه ولم تسمعي ما قال[١].

لقد عرفت بإيمانها الصادق أن مثل هذا خطر على الدعوة الإسلامية كلها؛ لأنه قصد به بيت النبوة، فشتمت ابنها وغضبت مما قاله قبل علمها الخبر اليقين.

وتقف أم رومان رضي الله عنها من زاوية أخرى، تمسك فمها عن أن ينطق بما يريده قلبها وهواها، من تبرئة عائشة رضي الله عنها المفجوعة بأثمن ما عندها، وأغلى ما تملك، وأعز ما تحب، شرفها وعرضها ودينها، وزوجها رسول الله ﷺ فتبكي حتى تكاد كبدها أن تتفطر، ومن حين لآخر تستجدي أمها بكلمات عسى أن تجيب عنها فتبرئها أمام زوجها الحبيب رسول الله ﷺ.

تقول عائشة رضي الله عنها - حين أخبرها رسول الله الخبر - : قلت لأبي أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي أجيبي عند رسول الله ﷺ فيما قال: قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ[٢].

ثم تقول عائشة رضي الله عنها وأنا جارية حديثة السن[٣].

إنها صغيرة السن لا تحسن الحجة والدفاع عن نفسها ومواجهة هذا الموقف الذي يضعف أمامه أشد الرجال.

---

(١) البخاري الصحيح م ٣ ج ٥ كتاب المغازي، باب حديث الإفك صـ ٦٨، ح (٤١٤١)، مسلم، الصحيح ج ٤ كتاب التوبة باب في حديث الإفك ص ٢١٢٩ ح ٢٧٧٠ ص ٧٠.

(٢) البخاري المرجع السابق ص ٧٠.

(٣) البخاري المرجع السابق.

ومع ذلك ما لانت أم رومان رضي الله عنها ولا استجابت لنداء قلبها وحرقة أمومتها، بل كان الصدق مع الله سبحانه فوق كل هذا.

والأم المسلمة قدوتها هؤلاء الصحابيات، في طاعتهن لله عز وجل، وامتثالهن لأمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله ﷺ[١].

ولتصبر المرأة على كل بلاء يصيبها، ولتعلم أن هذا إما تكفيراً للخطايا والمعاصي والسيئات، وإما رفعة للدرجات.

وها هي الصديقة بنت الصديق ابتليت ببلاء عظيم ورميت بالفاحشة، وصبرت حتى فرج الله همها، ونزلت البراءة من فوق سبع سموات بقرآن يتلى إلى يوم القيامة[٢].

وقد أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...**» فذكر الحديث، وفيه: «**وبينا صبي يرضع مع أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة، وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع**».

قال: **فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها.**

---

(١) «الأمومة» (٢/ ٦٩٧ ـ ٦٩٩).

(٢) انظر: حادثة الإفك.

(٣) البخاري حديث (٣٤٦٦)، ومسلم (٢٥٥٠).

قال : «ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون : زنيت سرقت ، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فهناك تراجعا الحديث فقالت: حلقي! لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت سرقت ، فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت: اللهم اجعلني مثلها، وقال: إن ذاك الرجل كان جباراً ، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه ـ يقولون لها زنيت ـ ولم تزن ، وسرقت ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها».

فهذه الجارية اتهمت زوراً وبهتانًا ، ومع ذلك صبرت واحتسبت ، وكانت تقول: حسبي الله ونعم الوكيل ، وها هي جارية أخرى اتهمت بالسرقة فصبرت حتى كشف الله الكربة.

عن عائشة أن وليدة كانت سوداء الحي من العرب فأعتقوها ، فكانت معهم ، قالت: فخرجت حبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور، قالت: فوضعته ـ أو وقع منها ـ فمرت به حدياة وهو ملقى ، فحسبته لحمًا فخطفته، قالت: فالتمسوه فلم يجدوه ، قالت: فاتهموني به، قالت: فطفقوا يفتشون حتى فتشوا قبلها ، قالت: والله إني لقائمة معهم إذ مرت الحدياة فألقته، قالت: قالت: فوقع بينهم ، قالت : فقلت: هذا الذي تهمتمني به زعمتم ، وأنا منه بريئة ، وهو ذا هو ، قالت: قالت: فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ، قالت عائشة:

فكان لها خبـاء في المسجد ، أو حفش ، قالت: فكانت تأتيني فـتحدث عندي.

قالت: فلا تجلس عندي مجلسًا إلا قالت:

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني.

قالت عائشة: فـقلت لها : ما شأنك ؟ لا تقعدين مـعي مقعدًا إلا قلت هذا؟ قالت: فحدثتني بهذا الحديث.

وفيما سبق من أمثلة يظهر لنا أن الله لا يتخلى عن المظلوم ، ولابد من نصره وخذل ظالمه، وإظهار الحق يومًا، وإن طال الأمد، فعلينا جميعًا بالصبـر الجميل مع الدعـاء والتضرع لله عـز وجل لكشف الكرب وإزالة المحن ونصرة الحق.

● ● ●

المرأة والحياء

إن المرأة كان يضرب بها المثل في الحياء، وخاصة العذراء ، قال أبو سعيد : «كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها»(١).

وقد قال الله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) ﴾ [القصص: ٢٥].

قال عمر رضي الله عنه جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها، ليست بسلفع من النساء دلاجة ولاجة خراجة(٢).

إن الإسلام حصن المرأة في بيتها ، وجعل لها فيه قرارًا وسكنًا، وأغناها عن كل السبل التي تتسبب في خروجها من مملكتها ، فضمن لها الكفالة والرعاية والتعليم ملزمًا الرجل بكل هذا في أهل بيته، وهي إن احتاجت للخروج لم يمنعها الإسلام من ذلك ، ولكن وضع لها الآداب التي يجب أن تتحلى بها عند خروجها ، والمرأة السليمة الفطرة تحس في أعماقها بضرورة ذلك وتشعر في قرارة نفسها أنها حين تخرج من بيتها قد فتحت أمامها أبوابًا للشيطان فلتضع لها الأسوار والحواجز.

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٥٢١) «فتح» ، ومسلم (٤/ ١٧٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم ـ كما ذكره ابن كثير وصحح إسناده ، والحاكم (٢/ ٤٠٧).

وأهم هذه الأسوار سور الحياء الفطري الذي زودت به الأنثى ، فإذا تهدم هذا السور من نفسها فقد هيأ السقوط لما بعده.

قال رسول الله ﷺ : «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[١]، وقال ﷺ : «**...إن الحياء من الإيمان**»[٢].

ذلك أن الحياء يمنع صاحبه من فعل القبائح والمنكرات ، ويدفعه إلى الخير قولاً وعملاً، ويزجره عن مواطن الشبهات ، كما كان من ابنتي شعيب عليهم السلام ، قال الله تعالى : ﴿**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ**﴾ [القصص:٢٥]. فقد منع الحياء ابنتي شعيب ﷺ من الاختلاط بالرجال ، حيث بدا ذلك في مشية إحداهما حين أتت موسى عليه السلام تبلغه رسالة أبيها العجوز الذي أقعده الكبر عن رعاية هؤلاء النسوة.

﴿**وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣)**﴾ [القصص:٢٣].

لقد عللتا سبب خروجهما والحال التي هما فيها ، بعجز الرجل الوالد عن الذود عنهما.

فالإسلام قد نهى عن اختلاط المرأة بالرجال، بكل السبل

---

(١) البخاري « الصحيح م ٤ ، ج٧ « كتاب النكاح « باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، صـ ١٣١ « ح ٦١٢٠).

(٢) المرجع السابق: م ١ ج١ كتاب الإيمان « باب الحياء من الإيمان صـ ١٣ ح (٢٤).

والوسائل. حتى أنه قد أعفى المرأة من واجب صلاة الجماعة ، وفرضية صلاة الجمعة، وشهود الجماعات إلا العيدين، بالرغم من أهمية صلاة الجماعة في الإسلام.

وحتى حين كانت تدخل المرأة الصحابية رضي الله عنها المسجد كانت تبتعد عن الاختلاط ومزاحمة الرجال، فقد كن يخرجن ليلاً رضي الله عنهن ، وكان الرجال يستأخرون قليلاً حتى تخرج النساء ، مع أنه خصص لهن باب في مسجد الرسول ﷺ ، ينهى الرجال عن الدخول منه، وكانت المرأة في غدوها ورواحها تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق به، استجابة لأمر الرسول ﷺ في أن يستأخرن عن الرجال ، ويلزمن حافات الطريق، وقد بلغ أمر الإسلام بإبعاد الرجال عن النساء أنه ﷺ رغب النساء في الصلاة في الصفوف الأخيرة ، قال ﷺ : **«خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»**[1] .

وحين كانت تخرج المرأة في صدر الإسلام إلى المسجد ، حتى في الجماعات التي أكد الرسول ﷺ الأمر على الأمة بضرورة شهود النساء لها كالعيدين ، فإن ذلك كان في منأى عن الرجال.

وقد قيل لابن عباس رضي الله عنهما أشهدت العيد مع النبي قال: نعم، ولولا مكاني من الصغر ما شهدته ، حتى أتى العَلَم الذي عند دار كثير بن الصلت، فصلى، ثم خطب ثم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن، وذكرهن وأمرهن بالصدقة فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه في ثوب بلال[2].

---

(١) مسلم الصحيح ، ج١ كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف ص ٣٢٦ ح ٤٤.

(٢) البخاري . الصحيح م ١ ج٢٢ كتاب العيدين . باب العلم الذي بالمصلى ص ١٠ ح (٩٧٧).

لقد خرج عبدالله بن عباس ﷺ إلى مكان النساء لصغره ﷺ وقوله: «ثم أتى النساء» : يشعر بأن النساء كن في غير جماعة الرجال، وقوله: «ومعه بلال» يدل على أن الآداب في مخالطة النساء في الموعظة والحكم وغيره، ألا يحضر من الرجال إلا من تدعو الحاجة إلى حضوره من معلم وشاهد ونحوه فبلال ﷺ خادم رسول الله ﷺ ، ومتولي قبض الصدقة[١][٢].

قال الشيخ بكر أبو زيد :

«إن العفة حجاب يمزقه الاختلاط ، ولهذا صار طريق الإسلام التفريق والمباعدة بين المرأة والرجل الأجنبي عنها، فالمجتمع الإسلامي كما تقدم مجتمع فردي لا زوجي، فللرجال مجتمعاتهم، وللنساء مجتمعاتهن، ولا تخرج المرأة إلى مجتمع الرجال إلا لضرورة أو حاجة بضوابط الخروج الشرعية.

كل هذا لحفظ الأعراض ، والأنساب ، وحراسة الفضائل، والبعد عن الريب والرذائل ، وعدم إشغال المرأة عن وظائفها الأساس في بيتها، ولذا حرم الاختلاط ، سواء في التعليم أم العمل ، والمؤتمرات ، والندوات ، والاجتماعات العامة ، والخاصة ، وغيرها، لما يترتب عليه

(١) انظر : ابن حجر ، «فتح الباري» ج ٢ صـ ٤٦٥ .

(٢) «الأمومة» (٢/٧٠٦ ـ ٧٠٨).

من هتك الأعـراض، ومـرض القلوب ، وخـطرات النفـوس ، وخنوثة الرجال ، واسترجـال النساء ، وزوال الحياء ، وتقلص العفـة والحشمة ، وانعدام الغيرة[1].

● ● ●

(١) «حراسة الفضيلة» صـ (٨١).

المرأة وحسن التوكل

وصدق اللجأ والتوسل إلى الله عز وجل

إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يُعتمد عليه ، ويتوسل إليه، وكل من توكل على غيره فعاقبته وخيمة في الدارين ثم إنه لا ينال مراده إلا إذا أراد الله عز وجل، ومن سواه يعتريه الموت والمرض والضعف ونحو ذلك، ولذا قال جل جلاله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقد ضربت هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام المثل السامق في حسن التوكل على الله عز وجل والاعتماد عليه في أحلك الأمور ، وأضيقها ، ففرج الله عنها، وقد ترعرع في حجرها ذاك الغلام: إسماعيل عليه السلام ربته على الاستسلام لأوامر ربه عز وجل، وطاعة أبويه والبر بهما.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

«أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ،

ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء، فقالت له: ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه فقال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ـ حتى بلغ ـ يشكرون﴾.

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء؛ حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ـ أو قال : يتلبط ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليها، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا ، فلم تر أحدًا ، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا ، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : «فذلك سعي الناس بينهما» فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صه ـ تريد نفسها ـ ثم تسمعت أيضًا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعد ما تغرف، قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : «يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم ـ أو قال لو لم

تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عينًا معينًا» قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم ـ أو أهل بيت من جرهم ـ مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريًا أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا ـ قال: وأم إسماعيل عند الماء ـ فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **«فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس»** فنزلوا، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم، وهيئتهم فقالت: نحن بِشَرٍّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك

قال: ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك . فطلقها . وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت: نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله، فقال : ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم: قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال النبي ﷺ : «ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه»، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومريه يثبت عتبه بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة ـ وأثنت عليه ـ فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخير ، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك أبي! وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحةٍ قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال: يا إسماعيل ! إن الله يأمرني بأمر ، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك ، قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا ـ وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ـ قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة . وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ربنا تقبل

منا إنك أنت السميع العليم﴾ ، قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : **﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾**(١) .

والله عز وجل خير من يتوسل إليه في كل شيء ، وقد ضربت سارة أروع الأمثلة في توسلها بالإيمان بالله ورسوله إلى الله عز وجل ؛ فاستجاب لها ، وحفظها من الفاجر الذي أراد أن يقع بها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة ، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك ـ أو جبار من الجبابرة ـ فقيل : دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء ، فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي، ثم رجع إليها فقال: لا تكذبي حديثي ، فإني أخبرتهم أنك أختي، والله إن على الأرض من مؤمن غيري وغيرك، فأرسل بها إليه فقام إليها، فقامت توضأ وتصلي فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليّ هذا الكافر، فغط حتى ركض برجله**» قال عبدالرحمن : قال أبو سلمة : قال أبو هريرة : فقالت: «**اللهم إن يمت فيقال هي قتلته فأرسل في الثانية أو في الثالثة فقال: والله ما أرسلتم إليّ إلا شيطانًا، أرجعوها إلى إبراهيم ، وأعطوها آجر، فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام، فقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليده**»(٢) .

وإذا وقعت المرأة في نحو من هذا فعليها باللجوء إلى الله والوعظ والتذكير لمن خافت منه، فهذه مريم عليها السلام لما جاء إليها جبريل عليه

(١) رواه البخاري (٣٣٦٤).

(٢) رواه البخاري (٢٢١٧).

السلام في صورة بشر ، وخافت في بداية الأمر لأنها لم تعرفه فذكرته بالله عز وجل فقالت: ﴿**إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا**﴾.

[مريم : ١٨]

وها هي قصة أصحاب الغار الثلاثة التي أخرجها البخاري ومسلم[(١)] وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم** ... » فذكر الحديث ، أن أحدهم قال : «**اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ وأني راودتها عن نفسها فأبت ، إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت ، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار**».

●●●

(١) البخاري (٣٤٦٥) ، ومسلم (٢٧٤٣).

المرأة وحفظ اللسان

إن أكثر ما يقع فيه النساء الغيبة والنميمة والكلام في أعراض المسلمين ، والمسلمات ، وكل هذا من المهلكات، فاحفظي أختي المسلمة هذا اللسان واجعليه دائمًا رطبًا بذكر الله عز وجل آمرًا بالمعروف متحدثًا بالخير.

وقد قال النبي ﷺ : **«وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم»**(١) .

وفي قول النبي ﷺ : **«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»**(٢) .

وفي قوله ﷺ : **«إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»**(٣) .

---

(١) صحيح لشواهده ، أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا، وانظر الحاكم (٤/ ٢٨٦) المستدرك.

(٢) البخاري (٦٤٧٧) ، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وانظري ـ أختي المسلمة ـ إلى تلك الكلمة التي قالتها عائشة في حق صفية ، وماذا قال لها رسول الله ﷺ؟ عن عائشة ، قالت: قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا ـ قال غير مسدد: تعني قصيرة، فقال: «**لقد قلت كلمة لو مُزج بها البحر [لو مزجت بماء البحر] لمزجته**...» الحديث(١) .

فكوني ـ أيتها المسلمة ـ ورعة لا يخرج منكِ إلا الخير فتحفظي بهذا الورع ، وانظري إلى هذا الحديث حديث الإفك، وفيه أن عائشة قالت: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: «**يا زينب! ماذا علمت أو رأيت؟**» فقالت: يا رسول الله ! أحمي سمعي وبصري ، ما علمت إلا خيراً ـ قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع... الحديث(٢) .

●●●

(١) رواه أبو داود (٤٨٧٥) ، والترمذي (٢٥٠٢).

(٢) رواه البخاري (٨/ ٤٥٢) «فتح» ، ومسلم (صـ ٢١٢٩).

واجبات المرأة المسلمة[1]

اعلمي - أيتها المؤمنة - أن عليك واجبات كثيرة ، وهي قوام حياتك، ومصدر كمالك، وعليها مدار سعادتك، فانهضي بها في إخلاص ، وأديها في صدق .

وإليك تلك الواجبات إزاء سبعة أرقام ، فاستعيني الله تعالى على فهمها، وتطبيقها ، وإنها يسيرة إن يسرها الله تعالى عليك:

١ - المحافظة التامة على الصلوات الخمس بأدائها في أوقاتها، تطمئنين في الركوع ، والقيام ، والسجود ، والجلوس ، وتخشعين بسكون أعضائك، وخفض بصرك لتنظري في موضع سجودك، والإتيان بالذكر[2] الوارد بعدها، وهو أستغفر الله ثلاثًا ، اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، قائلة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك ثلاثًا، لا إله إلا الله وحده لا

(١) نختم هذا الكتاب بما ذكره الشيخ أبو بكر الجزائري في كتابه «المرأة المسلمة» (٧٩ - ٨٨). تحت أبواب «واجبات المرأة المسلمة وآداب المرأة المسلمة وخلق المرأة المسلمة».

(٢) هذه الأذكار واردة في الصحاح والسنن، وما هناك حاجة إلى تخريج أحاديثها.

شريك له ، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، لا إلـه إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه، لـ النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن الجميل ، وهو على كل شيء قدير.

وتقولين سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين والله أكبر ثلاثًا وثلاثين، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك ، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مرة واحدة.

وتصلين الرواتب ، وهي ركعتان قبل الظهر، وركعتا بعدها، وركعتان قبل العصر، وركعتان بعد المغرب، وثلاث ركعات بعد العشاء.

٢ ـ طاعة زوجك إن كان لك زوج[1] ، أو أبويك أو أحدهما إ كنت غير متزوجة، وهذه الطاعة هي الاستجابة لهم، وإنفا أمرهم، والقول الحسن لهم، وخفض الصوت عندهم، وعد مشاكستهم، أو مغاضبتهم، والاعتذار عند التقصير لهم وطلب العفو منهم ، مع الهش لهم، والبش في وجوههم.

٣ ـ تربية أولادك إن كان لك أولاد، وذلك بتعليمهم ما ينفعهم وتهذيب أخلاقهم، وتعويدهم على الجميل من القوا

(١) طاعة الزوجة لزوجها لا خلاف في وجوبها ، ولكن في المعروف ، وما ذكر لك من وجوب الطاعة ومواطنها هو من المعروف الذي لا خلاف فيه.

والعمل، كالوفاء بالوعد، وصدق الحديث، وترك قول السوء وفعله، مع المحافظة على سلامة أبدانهم ، ونظافة ثيابهم.

٤ - القيام بشئون بيتك من نظافته ، وترتيب أدواته، وإعداد الفراش، وإصلاح الطعام والشراب ، وما يتبع ذلك من ترقيع ثوب ، وغسل، وتطيب مجلس، وتطهيره، والعمل على أن يكون سكنًا مريحًا، خاليًا من الضجيج والصياح، بعيدًا عما يقلق الراحة ، ويجلب الهم والحزن.

٥ - بر الوالدين ، وصلة أرحامك ، إن هذا واجب من آكد الواجبات إذ بر الوالدين كصلة الرحم مما أمر الله تعالى به في كتابه، وعلى لسان رسوله محمد ﷺ قال تعالى : ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ ، وقال : ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ ، وقال: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ ، وقال رسول الله ﷺ في بيان أكبر الكبائر : «**الشرك بالله، وعقوق الوالدين**»[1]، وقال : «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»[2].

وبر الوالدين يكون بطاعتهما في المعروف ، وكف الأذى عنهما ، والإحسان إليهما ، وصلة الأرحام تكون بالسؤال

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٤) ، ومسلم (١/ ٦٤) ، واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (٨/ ٦) ، ومسلم (٨/ ٨) واللفظ له.

عنهم، وزيارتهم ، ومساعدتهم ، ومشاركتهم في أفراحهم، وأحزانهم، مع كف كل أذىٰ عنهم سواء كان قولاً أو فعلاً.

٦ - صون عرضك بغض بصرك، وخفض صوتك ، وعدم خروجك من بيتك إلا من ضرورة، وترك الوقوف بالأبواب، والإطلال من النوافذ ، والإشراف من السطوح والشرفات، مع عدم السماح لأقربائك غير محارمك بكشف الحجاب عنك، والخلوة بك، كلميهم من وراء حجاب ، وسلمي عليهم بقولك، ولا تصافحيهم بيدك؛ لأنهم أقارب غير محارم ، ولا يسمعن ضيفك في البيت صوتك، فإن الديوثة من النساء من يسمعن ضيفها صوتها ، وهي في حجرتها، هكذا روي عن عائشة أم المؤمنين ﵂ وسأل رسول الله ﷺ فاطمة أي شيء خير إلىٰ النساء قالت: «**أن لا يرين الرجال ، ولا يراهن الرجال**».

٧ - الإحسان إلىٰ جاراتك بالسؤال عنهن، والإحسان إليهن، وعدم أذيتهن ، ومساعدتهن إذا احتجن إلىٰ ذلك والإهداء إليهن ، ولو فرسن شاه كما قال رسول الله ﷺ: «**لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة**»[1] فإن الله تعالىٰ أوجب للجار حقًا فقال تعالىٰ : ﴿**والجار ذي القربى والجار الجنب**﴾، وقال

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٩٠) ، والفرسن : عظم قليل اللحم ، والمراد به ولو شيئًا يسيرًا.

رسول الله ﷺ : «**مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[1] كانت هذه واجباتك أيتها المؤمنة، فاستعيني بالله على أدائها والنهوض بها، **والله** معك ، ولن يترك عملك.

● ● ●

(١) رواه البخاري (٨/ ١٢) ، ومسلم (٨/ ٣٧) ، واللفظ له.

آداب المرأة المسلمة

اعلمي - أيتها المؤمنة - أن لمثلك من نساء المؤمنين آدابًا شرعية ، عليها أن تقوم بها ،وتحيا عليها طوال الحياة ، وهي كثيرة ، وإني ذاكر لك طرف منها ، فاعرفيه ، والتزمي به فإنه خير ما تتجملين به ، وتكملين عليه ، واليك ذلك:

١- ذكرك اسم الله تعالى على كل عمل تشرعين في القيام به إذ كان رسول الله ﷺ وهو أسوة المؤمنين في هذا الحياة: يذكر الله تعالى على كل أحيانه[١] .

فاذكري اسم الله قائلة : بسم الله عند الأكل، والشرب، واللباس، والطهي ، والغسل ، وعند الوضوء ، والغسل ، وعند دخول الحمام، والخروج منه[٢] .

٢- التزمي بنظافة ثوبك ، وجسمك ، ومسكنك ، ومضجعك فإن النظافة من الإيمان لحديث: «**الطهور شطر الإيمان**»[٣] . والأقذار والأوساخ تتنافي مع طهر المؤمنة ، وطيب أردانها ، وكذا نظافة

(١) رواه مسلم(١/ ١٩٤).

(٢) يستحب من الخروج من الحمام قول: الحمد لله الذي اذهب عني الاذي وعافاني .

(٣) رواه مسلم (١/ ١٤٠).

أبنائك ثيابًا ، وأبدانًا ، وألسنة، فـإنك مسئولة عنهـم ، وصلاحهم عائد إليك ، سعادة في الدنيا والآخرة وكرامة فيها .

٣- إطالة ثوبك حتى يستـر قدميك ، وتخمير رأسك حتى يسـتر شعرك هذا في بيتـك وبين أهلك من أخ ووالد وولد، أما خـارج المنزل فلا يرى منك وجه، ولاكف ، ولاقدم ، ولا يشم منك ريحة طيبة، ولا يرى عليك ثوب زينة . لحديث: «**أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة**» [1].

٤- لا تكثري الخروج من بيـتك فإن الولاجة الخراجة من النساء مـذمومة غير محمودة ، إذ يؤدي بها ذلك إلى فقد الحياء والحياء أخو الإيمان، وإذا ذهب الحياء ذهب الإيمان ، وأجمل ما في المرأة المؤمنة الحياء فإذا فقدته فقدت كل خير، وأي قيمة لامرأة لا خير فيها.

٥- إن خرجـت لأمر ضروري اسـتدعى خـروجك كزيـارة أقارب ، أو شهـود دعوة خير كـصلاة في المسجـد ، أو استسقـاء في مصلى ، فاخـرجي وأنت مسـتورة من قمـة رأسك إلى أخمص قـدميك ولا تكشـفي عن حلة تلبسـينها ، أو حلة تتـحلين بها، فـإن ذلك مناف لحـجاب المؤمنة ، مـؤدبها إلى الخـروج عن آدابهـا التي هي مصـدر كمالها ، ومنبع فضائلها ، وطريق سعادتها .

٦- عدم الاستـشراف للناس بالوقوف عند البـاب ، ولا بالإشراف على السطوح ، والشرفات ، فإن ذلك مـخل بالأدب ، مسبب للتعب ،

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٣٤).

موجب للفتن ، مورث للألم والمحن. فالزمي بيتك راضية برضا ربك ، قانعة بعطائه، مستسلمة لقضائه إذ قال لنساء نبيه وهن أمهات المؤمنين ، وأفضل نساء العالمين ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

٧- كوني غضيضة الصوت ، شريفة القول، طيبة الروح ، خفيفتها، بحبك الخير، ومساعدتك عليه، وكراهيتك للشر ، ونفرتك منه، إذا مشيت في الشارع لأمر تطلب ذلك فالزمي جانب الطريق ، ولاتأكلي ، ولا تتكلمي وأنت في طريقك إلى حاجتك ، أو بيتك، فإن ذلك مخل بكرامتك ، معرض لشرفك ، ماس بدينك ، ولا تغتري بما عليه أكثر النساء اليوم من المشي في الشوارع كاشفات الوجوه ، يتحدثن، ويأكلن في الشوارع ، وأمام الدكاكين ، فإن هولاء قد قلدن الكافرات ، وائتسين بغير المؤمنات الشريفات فأصبحن مثل سوء والعياذ بالله تعالى.

● ● ●

خلق المرأة المسلمة

اعلمي ايتها المرأة المسلمة أن الخلق الحسن هو قوام حياتك ، وعليه مدار سعادتك فان رزقته فقد رزقت كل خير ، وإن حرمته فإنك حرمت من كل خير، والرسول ﷺ يقول لمن جاء يسأل عن البر « **البر حسن الخلق** »[(١)]، وقال ﷺ كما سئل عن أكثر ما يدخل الجنة فقال « **تقوى الله تعالى، وحسن الخلق** »[(٢)]، وقال ﷺ في بيان شرف حسن الخلق : « **ان من أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا** »[(٣)] ، وقال « **إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل ، وإنه لضعيف العبادة** »[(٤)] . والأخلاق الفاضلة تكتسب بالرياضة ، والمواظبة والتعود ، وإليك جملة صالحة منها، فروضي نفسك عليها ، وتعودي

---

(١) رواه مسلم (٨/ ٧).

(٢) الترمذي وصححه (٤/ ٣٦٣).

(٣) روي البخاري (٨/ ٣٤) ، إن من أحبكم إلي أحسنكم خلقا، وباقي الرواية في الترمذي (٤/ ٣٧٠)،وأحمد (٤/ ١٩٣، ١٩٤).

(٤) رواه الطبراني وسنده جيد.

التخلق بهـا ، وواظبي عليها تـفوزين إن شاء الله تعـالى بحسن الخلق ، وحسبك خيرا وشرفا حسن الخلق.

١- الصبـر وهو أن تحبـسي نفسك علي الطاعـات ، وفعل الخـيرات بلا ضجر ولا ملل، كما تحبسينها بعيدة عن المعاصي وعن كل خلق سيء كالكذب والخيانة والغش والخسة، والكبر، والعجب، والبخل والشح والجزع ، بإظهار عدم الرضا بحكم الله ، ومجاري أقداره في عباده.

٢- الصفح والإعـراض عن كل ما تسـمعين من كلمـة نابية ، أو حـركة عنيفـة فلا تردي على السيئـة بالسيئة ، ولكن بالحـسنة وهي الكلمة الطيبـة ، قـابلي الجـفـاء والغلظة من أفـراد عـائلـتك بالعطف ، والرحمة، واللين، إن علت أصواتهم اخـفضي صوتك، وإن قبحت كلمـاتهم جـملي لفظك، رطبي كلمـاتك ، بهـذا تملكين قلوبهم ، وتظفرين بودهم، وقـربهم ، وحسن معاملتـهم ، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ

(١) الآية من سورة الأعراف (١٩٩) ، وقـد تضمنت أصول الخلق الفـاضل ، فقوله: «خـذ العفـو» أمـر بأن لا يكلف المؤمن أخـاه ما لايقـدر عليـه من الأعمـال ، والأقوال، وما ليس عنده من أدب ، وحسن خلق. وقوله: «وأمر بالعرف» يريد وأمر الناس بـالمعروف دون غلظة ، ولا شـدة ، وبالمعروف من القـول والفعل، وهو خلاف الباطل ، والمنكر . وقوله: « وأعرض عن الجاهلين» أمر بالصفح ، ومقابلة الغلظة والجفاء بالعطف واللين والعفو ، وعدم المؤاخذة . وكفى بهذه ، أخلاقا فاضلة تثمر الخير والبر ، وتهدي إلى سبل السلام .

عَظِيمٍ﴾.

وقال لرسوله ﷺ ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

٣- الحياء والاحتشام فألزمي نفسك بهذا الخلق فإنه أخو الإيمان ، وجماع البر والإحسان ، فاستحي من الله تعالى حق الحياء ، فلا يراك على ما يكره، واستحي من الملائكة فلا تتكشفي في خلوتك ما استطعت واستحي من زوجك وأهلك ومن سائر الناس ، فلا تقولي البذاء ، ولا تنطقي بالفحش، ولاتعملي عملا ، أو تقولي قولا يجانب الحشمة والحياء.

إن الحياء كله خير ، ولا يأتي إلا بالخير(١) فاستري محاسنك ، ولا تتبذلي أمام أقاربك. حسني كلماتك ، وغضي بصرك ، وأطيلي ثيابك ، ولا تكشفي رأسك ، فلا يفارقك خمارك ، ولا عجارك إلا إذا خلوت بزوجك في عقر دارك.

٤- كوني سخية فلا تبخلي بفضل طعام ، أو شراب ، أو كساء ، أو دواء ، ابذلي المعروف ، وتصدقي من مال زوجك بعد استئذانه واذنه فتشاطرينه (٢) الأجر والمثوبة ، وتسلمي من العقوبة إن الله تعالى يقول: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾

(١) « الحياء كله خير » « الحياء من الإيمان» « والحياء لا يأتي إلا بخير» كلها أحاديث صحيحة ، طالعيها إن شئت في جامع الاصول (٣/٦١٦- ٦٢٣) ، وصحيح مسلم (١/٤٦،٧٠).

(٢) في البخاري « إن المرأة إذا تصدقت من مال زوجها بإذنه لها نصف الأجر وللزوج النصف»

فاحذري الشح ، واتقيه بالصدقة القليلة ،الكثيرة . أحسني الى جارتك كما تحسنين الى أقاربك ، واعلمي ان الله تعالى مع المحسنين.

٥- عليك بالإيثار فآثري أهل بيتك على نفسك ، فإن الإيثار من أخلاق الصالحين ، وصفات الصديقين قال تعالى: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** .
جوعي ليشبع أهل بيتك، واظمئي ليرووا ، واتعبي ليستريحوا ، ولا تحسبي هذا نقصا فيك بل هو الكمال ، والجمال ، والجلال . انك بإيثارك الخير تصبحين سيدة، والسيدة خير من المسودة ، وفي الحديث الشريف « **خادم القوم سيدهم**»[١] وقيل لأحدهم : « بم ساد فيكم فلان؟ قال: احتجنا إليه، واستغنى عنا». فاعرفي هذا الخلق، واكسبيه بالرياضة للنفس، والمجاهدة لها.

٦- الصمت ، وحسن السمت ، الزمي هذا الخلق فقللي من الكلام ، ولا تتكلمي إلا بخير لقول الرسول ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**» [٢]، وإذا تكلمت فأوجزي في الكلام ، وقولي المعروف فقط ، قال تعالى في تأديب نساء النبي ﷺ : **﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾**
والزمي حسن السمت في لباسك ، ومشيك وقعودك ، وفي عملك،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري (٨/ ١٣١) ، ومسلم (١/ ٤٩).

(٣) الأشر : البطر والمرح فرحا. والبطر : غمد الحق وغمض الناس.

وقولك ، فتأني واحلمي، ولا تغضبي ولا تضجري، ولا تفرحي فرح الأشر والبطر[٣] ، ولكن احمدي الله تعالى ، وأثني عليه بنعمه، وأكثري من شكره وحمده.

٧ ـ أنصفي من نفسك فإن الإنصاف من حسن الإسلام [١] تصنعي لزوجك كما تحبين أن يتصنع لك، واكرهي لغيرك ما تكرهينه لنفسك، وأحبي لأهلك ، وأقاربك ، وسائر المؤمنين ما تحبين لنفسك، وفي الحديث الصحيح . « **لايؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب نفسه**»[٢] .

إن من الإنصاف المأمور به أن تعاملي غيرك بما تحبين أن يعاملوك به، فلا تري لنفسك الأثرة على غيرك ، وكما تريدين أن يقال لك من جميل اللفظ وكريم القول فقولي أنت لغيرك ذلك، وكما تكرهين أن تؤذي في عرضك ، أو بدنك ، أو مالك فاكرهي ذلك لغيرك . وبذلك تظفرين بخلق الإنصاف من النفس ، وهو من حسن الخلق، وكريم الشيم، وطيب النفس.

تلك أيتها المؤمنة جملة من الأخلاق الفاضلة فتحلي بها ، وتجملي باكتسابها وعيشي عليها ، تكملي وتسعدي ، والله معك ولا يتركك فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون[٣] .

«والقول الجامع في آداب المرأة ، أن تكون قاعدة في قعر بيتها ،

---

(١) هذا بعض حديثه في صحيح البخاري(١/ ١٥) تعليقا.

(٢) رواه البخاري (١/ ١١) ، ومسلم (١/ ٤٩).

(٣) «المرأة المسلمة» (٧٩ ـ ٨٨).

لازمة لمنزلها ، لا يكثر صعودها واطلاعها، قليلة الكلام لجيرانها، لا تدخل عليهم ، إلا في حال يوجب الدخول ، تحفظ بعلها في غيبته ، وتطلب مسرته في جميع أمورها ، ولا تخونه في نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه ، فإن خرجت بإذنه فمختفية في هيئة رثة، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق ، محترزة من أن يسمع صوتها ، أو يعرفها بشخصها ، لا تتعرف إلى صديق بعلها في حاجاتها، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه، همها صلاح شأنها، وتدبير بيتها، مقبلة على صلاتها وصيامها ، وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب ، وليس البعل حاضراً ، لم تستفهم، ولم تعاوده في الكلام، غيرة على نفسها وبعلها، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها ، متنظفة في نفسها ، مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء ، مشفقة على أولادها، حافظة للستر

---

(١) «الإحياء» (٤/٧٤٩ ـ ٧٥٠) ، وانظر «عودة الحجاب» (٢/٥٢٩ ـ ٥٣٠).

الخـــاتمـــة

عليهم، وقصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج»(١).

* * *

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبقدرته يُلهم الإنسان غايته.

وبعد...

فهذا ما قدره الله عز وجل لي من جمع هذه المادة في «علو الهمة عند المرأة» لاسيما ونحن في أشد الاحتياج - خاصة في هذا الزمان - إلى المرأة المسلمة العالمة المربية الفاضلة التي تُنشئ أجيال الغد ورجال المستقبل الذين يحملون راية الإسلام خفاقة عالية فوق كل الرايات، ولتعلم أنها على ثغر من ثغور الإسلام، فإياك أيتها المسلمة أن يؤتى العدو من قِبلك خاصة وأنهم قد رشقوا سهامهم المسمومة حولك بعد أن زينوها بعبارات برَّاقة من المساواة والحرية، ونحو ذلك، شعارات خدَّاعة، لا رأس لها، ولا ساق، وإنما أشكال لا حقائق لها، وها هي المرأة في الغرب تذوق ويلات ما يدندنون حوله، وما ينادون به من العهر والاختلاط والفواحش والمنكرات. والله المستعان، وعليه التكلان.

هذا، وإن الإسلام لم ينج في عصر من العصور من المحاربين والأعداء والمنافقين الذين حاربوه بكل صورة من الصور، لكنَّ الله سبحانه حمى الإسلام بكمال أودعه في شرعه، ثم برجال قيضهم لدينه،

وقال سبحانه لهؤلاء الرجال ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٨] فحفزهم على الاستمساك بذلك الدين والعمل به، وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل ما سطرته حجة لي لا عليَّ وعونًا لأخواتي المسلمات في تمسكهن بدينهن وسيرهن على منهج نساء سلفهن الصالح وتحفيزًا للرجال الذين تركوا ميدان العلم والعمل والدعوة إلى الله عز وجل ، بأن يبذلوا قصارى جهدهم في الحرص على هذا الدين والعمل به، وكيف يُسبقوا من هؤلاء النسوة وهم كاملي العقل والفكر، فهبوا جميعًا لنصرة دين الله في الأرض ، مخلصين لله رب العالمين ، طالبين جنته، خائفين من ناره ، والله معكم يؤيدكم ويرعاكم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

أبو عبدالرحمن / محمد بن علي العلاوي

منية سمنود ـ دقهلية ـ مصر

الفهرست

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة
١- المقدمة:	٣
■ بين يدي الكتاب	٥
● كرم الإسلام المرأة أمًّا	[illegible]
● كرم الإسلام المرأة أختًا	٨
■ كرم الإسلام المرأة بنتًا	٩
■ كرم الإسلام المرأة زوجة	١١
٢- توطئة:	١٥
● صورة المرأة في القيم القبلية	١٥
■ صورة المرأة في القيم الغربية	١٩
● صورة المرأة في الإسلام	٢٤
٣- المرأة وعلو همتها.	٣١
٤- المرأة المؤمنة:	٣٣
■ امرأة فرعون.	٣٣
● ماشطة بنت فرعون	٣٥
■ قصة الساحر والراهب والغلام	٣٦

- سمية بنت خباط رضي الله عنها ٣٧
- خديجة رضي الله عنها ٣٩

٥ـ المرأة العالمة: ٤٣

- الآداب والشروط التي تلتزم بها المرأة في خروجها لطلب العلم ٤٣
- الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما ٥٣
- عمرة بنت عبدالرحمن ٥٧
- حفصة بنت سيرين ٥٨
- معاذة العدوية ٥٩
- أم الدرداء الصغرى ٥٩
- فاطمة بنت السمرقندي ٦١
- بنت الإمام مالك ٦٢
- بنت سعيد بن المسيب ٦٢
- لطيفة عن والدة الشافعي ٦٣
- أم زينب فاطمة بنت عباس ٦٣
- عُلية بنت حسان ٦٥
- أمة الواحد وجمعة بنت أحمد وأمة السلام ٦٨
- فاطمة بنت علي الدقاق ٧٠

■ عائشة بنت حسن الأصبهانية ٧١
■ عائشة بنت محمد البسطامية ٧٢
■ بيبي بنت عبدالصمد ٧٢
■ كريمة بنت أحمد المروزية ٧٣
■ امرأة تعرض نفسها على عالم لتخدمه ٧٦
• دعاء والد بأن يزوج الله عالمًا من ابنته ٧٧
■ عائلة الحافظ ابن حجر العسقلاني ٧٩
■ زبيدة زوجة هارون الرشيد ٨٢
■ وقاية ٨٣
• نساء شنقيط والمغرب ٨٣
٦- المرأة العابدة: ٨٧
■ مريم البتول ٨٧
• حفصة بنت عمر ٨٩
• زينب بنت جحش ٨٩
• أم الصهباء معاذة العدوية ٩١
• حفصة بنت سيرين ٩٤
• أم الدرداء الصغرى ٩٦
• بنت أم حسان الأسدية ٩٦

• رابعة العدوية ٩٧

• عجردة العمية ٩٨

• حبيبة العدوية ٩٩

• عفيرة ١٠٠

• عمرة امرأة حبيب العجمي ١٠١

• شعوانة ١٠٢

• ريحانة ١٠٣

• منيفة بنت أبي طارق ١٠٣

• بردة الصريمية ١٠٤

• أم طلق ١٠٥

• أم حيان السلمية ١٠٥

• حسانة العابدة ١٠٥

• غصنة وعالية ١٠٦

• غنضكة ١٠٧

• امرأة أبي عمران الجوني ١٠٧

• جارية عبد الله بن الحسن العنبري ١٠٧

• المارودية ١٠٨

• عابدة وأيتامها ١٠٨

• عابدة من البصرة ١٠٩

• ماجدة القرشية ١٠٩

• لبابة العابدة ١١٠

• فاطمة بنت عبدالرحمن بن عبدالغفار ١١٠

• هنيدة رحمها الله ١١١

• البيضاء بنت المفضل ١١١

• امرأة الهيثم بن جماز ١١٣

• جوهرة العابدة البراثية ١١٤

• فاطمة بنت بزيع ١١٤

• امرأة رياح القيسي ١١٤

• عابدة ١١٦

• سرية العابدة ١١٨

• فخرية بنت عثمان البصرية ١١٩

• عبدة البصرية ١١٩

• جارية الحسن بن صالح ١٢٠

٧ـ المرأة المتصدقة: ١٢٣

• زينب بنت جحش ١٢٥

• زينب امرأة ابن مسعود ١٢٥

• أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان ١٢٧

٨- المرأة الداعية: ١٢٩

▪ امرأة أبي طلحة الرميصاء بنت ملحان ١٢٩

▪ امرأة كانت سببًا في إسلام قومها ١٣١

• أم شريك تدعو النساء إلى الإسلام ١٣٢

▪ فتاة أمريكية تدعو إلى الإسلام ١٣٥

٩- المرأة المجاهدة: ١٣٩

▪ صفية بنت عبدالمطلب ١٤٤

• امرأة من بني دينار ١٤٦

▪ أم سعد بنت معاذ ١٤٨

• أم عمارة نُسيْبة بنت كعب ١٤٨

▪ موقف النساء مع الجنود في موقعة اليرموك ١٥٢

• خولة بنت الأزور ١٥٦

▪ فتاة أسبانية وتَحَمُّل العذاب من أجل الدين ١٥٨

١٠- المرأة المهاجرة. ١٦٣

١١- المرأة ووقوفها مع زوجها: ١٦٩

▪ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ١٧٠

• فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ١٧١

● أسماء بنت أبي بكر ١٧٢
● أم سليم زوج أبي طلحة ١٧٣
١٢ ـ صفات المرأة مع زوجها. ١٨٠
١٣ ـ من مواقف المرأة مع زوجها. ١٩١
١٤ ـ وفاء المرأة لزوجها. ١٩٧
١٥ ـ المرأة وتربية الأطفال. ٢٠٧
١٦ ـ من مواقف الأم المسلمة: ٢١٣
● بطل قريش يرتجف أمام أمه «صفية بنت عبدالمطلب». ٢١٤
● الخنساء ٢٢٠
● الأم المسلمة وراء هؤلاء العظماء. ٢٢٣
● الزبير بن العوام ٢٢٣
● عبد الله، والمنذر، وعروة أبناء الزبير ٢٢٤
● أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٢٢٤
● عبد الله بن جعفر ٢٢٤
● أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم ٢٢٤
● عبد الله بن زيد المازني ٢٢٥
● أخوه حبيب بن زيد بن عاصم المازني ٢٢٥

• وعبد الملك بن مروان ٢٢٦
• أبو حفص عمر بن عبدالعزيز ٢٢٦
• أمير المؤمنين عبدالرحمن الناصر ٢٢٧
• سفيان الثوري ٢٢٨
• أبو عمرو الأوزاعي ٢٢٨
• ربيعة الرأي ٢٣٠
• مالك بن أنس ٢٣٢
• الشافعي ٢٣٢
• الحسن بن صالح ٢٣٣
• جعفر بن يحيى ٢٣٣
• قصة أم إبراهيم البصرية العابدة. ٢٣٤

١٧ - المرأة وصواب رأيها. ٢٤١

١٨ - المرأة والكرم وقيامها على الأضياف. ٢٤٥

١٩ - المرأة الصابرة. ٢٥١

٢٠ - المرأة والحياء. ٢٦٣

٢١ - المرأة وحسن التوكل وصدق اللجأ والتوسل إلى الله عزوجل. ٢٦٩

٢٢ - المرأة وحفظ اللسان. ٢٧٥

٢٣ـ واجبات المرأة المسلمة. ٢٧٧

٢٤ـ آداب المرأة المسلمة. ٢٨٣

٢٥ـ خلق المرأة المسلمة ٢٨٧

٢٦ـ الخاتمة. ٢٩٣

٢٧ـ الفهرست. ٢٩٥

• • •

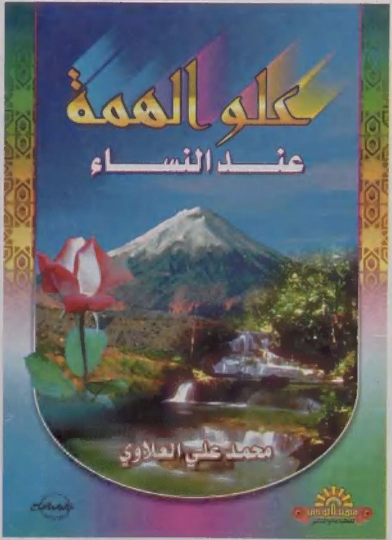

32091 / 25 SR